



تأليف : مجموعه من كتاب الهوسا

مأساة العبيد

(وقصص أخرى)

ترجمة : مصطفى حجازي السيد
تقديم : محمود فهمي حجازي

المشروع القومى للترجمة

مأساة العبيد (وقصص أخرى)

تأليف : مجموعة من كتاب الموسى

ترجمة : مصطفى حجازى السيد

تقديم : محمود فهمى حجازى

المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

. العدد : ٢٩٨

. مأساة العبيد (وقصص أخرى)

. مجموعة من كتاب الهوسا

. مصطفى حجازى السيد - محمود فهمى حجازى

. الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت : ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس : ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel: 7352396 Fax:7358084 E.Mail: G.ASF0UR@starnet.com.eg

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة

تقديم

يطيب لى أن أقدم للقارئ العربى هذه المجموعة القصصية الأفريقية مترجمة إلى اللغة العربية ، إنها أول جهود تنشر فى مصر فى هذا المجال، وتعد باكورة حركة الترجمة الأدبية من لغة الهوسا والدراسات الأفريقية فى اللغات والآداب المنشورة بلغات هذه القارة ، ولنشأة الاهتمام باللغات الأفريقية قصة مهمة ، كانت البداية عام ١٩٦٩ عندما كان التفكير فى تحويل معهد الدراسات السودانية - التابع فى ذلك الوقت لكلية الآداب - إلى معهد كامل يدرس القارة كلها ، ولا يقتصر على الجغرافيا والتاريخ بفروعهما ، بل يستوعب كل مجالات الدراسات العليا للقارة من حيث اللغات والآداب والتاريخ والنظم السياسية والموارد الاقتصادية والأنثروبولوجيا .

وفى مناقشة علمية مع المرحوم الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب اتفق الرأى على أهمية الاهتمام باللغات الأفريقية، وكان صاحب رؤية لغوية جعلته فيما بعد عضواً بمجمع اللغة العربية، فكلفنى المعهد بتدريس مقرر عام فى هذا المجال لكل طلاب المعهد، وهكذا كنت أول من درّس تعريفاً بالفصائل اللغوية واللغات الأفريقية وقضاياها لمدة عام دراسى واحد ١٩٦٩ / ١٩٧٠، ولكن الاتجاه

العلمى إلى مزيد من الاهتمام باللغات الأفريقية أدى فور ذلك إلى إنشاء قسم كامل للغات الأفريقية على مستوى الدراسات العليا، وهكذا بدأ تكون أول مجموعة مصرية متخصصة فى لغة الهوسا وآدابها بالجامعات المصرية .

وفى هذا الإطار كان دور الصديق الدكتور مصطفى حجازى السيد حجازى كبيراً ، لقد تخرج فى قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٥٨ ، وبدأ منذ وقت مبكر الاهتمام بتاريخ القارة وثقافتها ولغاتها ، فحصل على دبلوم معهد الدراسات الأفريقية عام ١٩٦٩ ، ثم كان أول من حصل على الدكتوراه فى لغة الهوسا من جامعة القاهرة عام ١٩٧٦ ، وكان موضوع رسالته " دراسة نحوية وصفية للغة الهوسا " ، وهو أول من درس هذه اللغة وقام بتدريسها فى الجامعات المصرية والعربية ، وقد قام بسلسلة من الأبحاث نشر أكثرها فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تناول فيها الأثر العربى فى هذه اللغة من حيث الأصوات والصرف والدلالة، إلى جانب ذلك كله له مؤلفات فيها طبعت فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وقد تدرج فى عدة وظائف فى معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ، فشغل وظيفة مدرس للغة الهوسا بقسم اللغات الأفريقية، ثم كان أستاذاً مساعداً ورئيساً للقسم فوكيلاً للمعهد لشئون خدمة المجتمع والبيئة ، وأخيراً عضواً باللجنة الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين بالمجلس الأعلى للجامعات

وجامعة الأزهر في مجال تخصصه ، كما أنشأ مركزاً للتعليم اللغة العربية للأفارقة ، وفي هذا الإطار أشرف على عدد من الرسائل الجامعية تمثل بداية الاهتمام بلغة الهوسا وآدابها في الجامعات العربية ؛ لقد مكنه تخصصه في لغة الهوسا من دراسة آدابها وإبراز الأثر العربي فيه ، وما هو اليوم يقوم بترجمة هذه المجموعة من القصص من لغة الهوسا مباشرة، وهو أول عربي يقوم بهذا العمل .

وقد كان الأديب الراحل على شلش مهتماً بالأدب الأفريقي، إلا أن اهتمامه كان منصباً على ما كتب باللغات الأوربية ، وكان يلاحظ أن أحداً لم يتناول الأدب الأفريقي الذي كتب باللغات المحلية الأصلية ، كالهوسا والسواحيلية حتى تقابل الأديب الراحل — وكان منتدباً لتدريس الأدب الأفريقي في معهد الدراسات الأفريقية مع المترجم — فطلب منه أن يقوم بترجمة قصة " الشيخ عمر " لأبي بكر تفاقوا — أول رئيس لوزراء نيجيريا بعد الاستقلال ، كان الأستاذ على شلش يرى أنها ترجمة لحياة أبي بكر ، إلا أن المترجم كان مشغولاً في هذا الوقت بأعمال علمية أخرى ظهر أكثرها في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تناولت الصلة بين العربية ولغة الهوسا ، أما رغبة المثقفين التي عبر عنها صديقنا الأديب على شلش فقد بدأت تتحقق ونشرت هذه القصة ضمن كتاب " أدب الهوسا الإسلامى " الذى قامت بنشره حالياً جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وأن القصة بمعناها المعاصر لم تعرفها الهوسا إلا بعد

سنة ١٩٣٤ ، وهى فى حاجة إلى الدراسة والبحث شأنها شأن الشعر ، فما زال الأدب بوجه عام حقلاً بكرًا يتسع للعشرات من الدارسين والباحثين.

ويسعدنى أن أقدم هذه المجموعة لقراء العربية مع التمهيد الذى كتبه المترجم لها ، بالتعريف بلغة الهوسا ومتكلميها وعلاقاتها باللغة العربية وتأثيرها من حيث الشكل والصور والأفكار ، وبعد ذلك تأتى القصص المترجمة .

القصة الأولى التى أطلق عليها المؤلف اسم " الشيخ عمر " وأطلقت عليها اسم " مأساة العبيد "؛ لأن أحداثها تدور حول طفل صغير ، سرقه أحد النخاسين وظل يبيع من نخاس إلى نخاس، حتى خدّم فى بيت رجل يتعامل مع أحد التجار العرب ، الذى أعجب به فطلب شراءه ، وفعلاً اشتراه وعاد به إلى مصر ، حيث علمه وأدخله الأزهر ، ولما كبر طلب من سيده أن يصطحبه معه فى رحلة إلى نيجيريا ليجتث عن أمه التى افتقدها وتوالت الأحداث .

القصة الثانية : المغامر (Gandoki) ، هى أول ما ظهر من قصص الهوسا بعد إنشاء دار جسكيا (Gaskiya) للنشر ، سنة ١٩٤٣ ، ومؤلفها هو الحاج محمد بللو ، وتصور وصول الإنجليز إلى شمال نيجيريا ، وما أظهره الوطنيون من مقاومة عنيفة ، وتسرد جانباً من البطولات التى كان يقوم بها القادة والمحاربون فى ميدان القتال ، إلا أن الأسلحة والبنادق القديمة

التي كان يستعملها المواطنون لم تستطع الصمود أمام أسلحة الإنجليز الحديثة ، فأخذت هذه الأسلحة القديمة تسقط الواحدة بعد الأخرى حتى يئس بطل هذه القصة الأسطوري من التغلب على الإنجليز ، فخرج مع ابنه إلى الخلاء ، فأخذته سينة من النوم استيقظ بعدها فوجد نفسه في جزيرة سيلان بين يدي ملك الجبل الذي أكرمه وضمه إلى جنده ، فأخذ يحارب في صفوفهم ، ويقوم بالبطولات الخارقة حتى قضى على كل أعداء ملك الجبل ، وبعد ذلك تجد البطل يعود إلى نيجيريا فيجد مجموعة من الجنود تتدرب على إطلاق المدافع واستعمال أجهزة اللاسلكي فيقف أمامهم مبهوراً ، وهكذا تمثل هذه القصة ربطاً بارعاً بين الأحداث والثقافة الشعبية الأفريقية .

القصة الثالثة : هي الماء الشافي (Ruwan Bagaja) ومؤلفها أبو بكر إمام، من كبار كتاب الهوسا ، وفيها يتضح الجانب الشعبي الأفريقي مع تأثيرات عربية.

والقصة الرابعة هي: إيليا الابن القوى من تأليف أحمدو إنجاوا (Ahmadu Ingawa) .

ويبدو في هاتين القصتين الأثر العربي الواضح في أدب الهوسا ، ولأسيما قصص " ألف ليلة وليلة " التي كان لها أثر بعيد عند المتقنين الأفريقيين .

أما القصة الخامسة : وهي قصة Wusasa Tafida فهي توضح عادة الشعوب الأفريقية في الاعتقاد في السحر ، وتدور

أحداثها حول شاب يحب فتاة منذ الطفولة ، ويتفق معها على الزواج فيأتي أحد أثرياء المدينة الذي لم يرزق ولداً ، فيرى في منامه أنه إذا تزوج هذه الفتاة فسيرزق بالطفل ، ويهيم على وجهه في الأرض حتى يصل إلى أكبر ساحر ، وبعد أن يجتاز المخاطر والأهوال يكون السحر سبباً في إفساد ابن الثرى .

هذه نماذج من الأدب الأفريقي المكتوب بلغة الهوسا الذي وصلت إليه القصة في قارتنا الأفريقية السوداء ، نضعها أمام الباحثين والدارسين وجمهور القراء .

إن هذه المجموعة القصصية نرجو أن تكون بداية اهتمام أدبي وثقافي بالشعوب المختلفة في القارة الأفريقية ، ولقد كتب الأقارقة جنوب الصحراء إنتاجهم الفكري تارة باللغة العربية وتارة أخرى بلغاتهم المحلية ، مدونة بالحرف العربي ، ولكنهم أخذوا بعد تغيير نظام الكتابة إلى الحرف اللاتيني - في عدة مواقع - في تأليف أدبي له طابع جديد ، واستمر الحرف العربي في مواقع أخرى كثيرة ، ولغة الهوسا مثال لكل هذه الأنماط ، وكلها تستحق الاهتمام الجاد بحثاً وتأصيلاً ومقارنة ، وإذا كان العالم المعاصر قد أصبح قرية اتصالية كبيرة ، فإن الوعي بالذاتية الثقافية للشعوب الأفريقية يصبح مطلباً جاداً .

ومن هنا تأتي أهمية هذه المجموعة القصصية التي لم يكن من الممكن أن تظهر من قبل ؛ فقد فرض مترجمها الأستاذ الدكتور / مصطفى حجازي السيد على نفسه في بداية شبابه أن

يسافر إلى نيجيريا مع معرفته بالصعوبات، كان مخاطرا
ومغامرا رغبة منه في إتقان لغة الهوسا ، وظل هناك عدة
سنوات وله هدف لغوى واحد حققه على خير وجه ، وعاد إلى
مصر ليكون أول مصرى تخصص فى هذه اللغة ، ثم كون جيلا
من الباحثين فى هذه اللغة ، يستطيعون المشاركة العلمية
والثقافية فى حياتنا من خلال تخصصهم ، وهذا كله يمثل لونا
من العمل الجاد فى نسق جامعة القاهرة ، والأمل كبير أن تنتظم
هذه الجهود من أجل معرفة متوازنة بأداب الشعوب المتعددة فى
أفريقيا وآسيا فى ثوابتها ومتغيراتها ، فى ماضيها وحاضرها ،
فى مشكلاتها الداخلية وعلاقتها بنا ، وطموحها نحو المستقبل،
ويطيب لى فى ختام هذه المقدمة أن أشكر الأستاذ
الدكتور / مصطفى حجازى السيد على هذا العمل ، ونأمل المزيد
من العطاء فى هذا المجال ، بقلمه وجهود طلابه الذين يشكلون
أول مجموعة مصرية متخصصة فى اللغات الأفريقية وآدابها.

والله ولى التوفيق

محمود فهمى حجازى

مأساة العيد (الشيخ عمر)

تأليف : أبو بكر تفاو ابليو

مقدمة :

مؤلف هذه القصة هو الحاج أبو بكر تڤاوا بليو أول رئيس لوزراء نيجيريا في عهد الاستقلال ، ولد في عام ١٩١٢م من أسرة مسلمة في بلدة تڤاوا بليو — جرت العادة في شمال نيجيريا أن يذكر اسم القرية أو الحي بدلا من اسم الأب — وهي قرية صغيرة في إقليم ليري Lere في أمانة بوتشي ، تلقى تعليمه الأولى في إقليم بوتشي (١٩٢٥ — ١٩٢٨م) ثم التحق بكلية تدريب المعلمين كتسينا (١٩٢٨ — ١٩٣٣م) وبعد تخرجه عين مدرسا ثم مديرا لمدرسة كتسينا المتوسطة ، وفي سنة ١٩٤٣م كان أحد مؤسسي حلقة المناقشة Discussion Circle الشهيرة في بوتشي ، ثم التحق بمعهد التربية في جامعة لندن للحصول على شهادة التخصص التربوي (١٩٤٥ — ١٩٤٦م) وبعد عودته إلى وطنه اختارته الإدارة المحلية في بوتشي لتمثيلها، ثم اختير عن طريق هذا المجلس كعضو يمثل اجتماع المجلس Northern House of Assembly الإقليم الشمالي في المجلس التشريعي النيجيري Nigerian Legislative Council ، وفي عام ١٩٤٨م أنشأ اتحاد مدرسي الشمال، وكان صادقا في نقده للمؤسسات الحكومية ونظام الحكم على كل المستويات، فبرز بصفته المعبر الأول عن آراء أهل الشمال في السياسة ونظام الحكم.

وفى أغسطس سنة ١٩٥٠م تعرض لعداوة بعض الأمراء فى الوقت الذى نال فيه مركزا ساميا بين مؤسسى نيجيريا الحديثة ؛
ففى إحدى اجتماعات المجلس الشمالى اقترح تعيين لجنة مستقلة
لوضع توصيات لتحديث وإصلاح نظام الحكم المحلى ، وفى
إحدى خطبه الشهيرة نادى بإلغاء هذا النظام الذى كان يراه
مستبدا ومخالفا للتقاليد ، حيث كانت السلطة مركزة فى يد الأمير
أو الرئيس المحلى ، ويخضعان اسميا للحكومة المركزية ، وكان
هذا مقدمة للقانون الذى أتاح الفرصة أمام هؤلاء الأمراء
والرؤساء للعمل ضمن المجلس المركزى ، وقد فاز هذا
الاقتراح بأغلبية صوت واحد (٢٠ - ١٩) وهذا دليل على
قوة التيار المعارض له ومدى مقاومة الإصلاحات التى كانت
ترمى إلى بسط نفوذ الحكومة المركزية على الأقاليم المختلفة
والقبائل المتعددة ، وقد حاول بعض هؤلاء الأمراء أن يحول دون
انتخابه فى المجلس التشريعى سنة ١٩٥٠م ، وقد أخذ يكافح فى
سبيل هذه الإصلاحات التى كانت ترفع من شأن الإقليم الشمالى
ذى الأغلبية المسلمة حتى نالت نيجيريا استقلالها على يده ويبد
أحمد بللو أمير سكوتو ، فكان الأول رئيسا للوزراء والثانى
رئيسا للجمهورية مما أثار حقد بعض العناصر المتعصبة فى
الجيش فقاموا بثورة دموية سنة ١٩٦٦م قتل على أثرها
الاثنان وتولى يعقوب جون بعدها رئاسة الجمهورية.

* * *

الله سبحانه وتعالى أعلى من كل الملوك ، وأظهر من كل المخلوقات ، وهو الملك الذى لا شبيه له ، بالقرب من مدينة بوتشى بشمال نيجيريا كانت توجد مدينة صغيرة تسمى "روتا" Rauta وفى هذه المدينة الصغيرة كان يعيش أحد العلماء النابغين ، على علم بالنجوم والقرآن وكتب الدين ، وإلى جانب ذلك فهو على خلق كريم ومتمسك بالدين ، هذا العالم كان من الرجال المعدودين فى أفريقيا الذين وهبهم الله حضور البديهة وسرعة إدراك الأمور ، كان يسمى الشيخ عمر ، ولعمق علمه ، ورجاحة عقله ، ذاعت شهرته وأخباره فى كل البلاد المجاورة لمدينته ؛ لذلك أخذ كثير من الناس يغدون إليه من البلاد المجاورة طلبا للعلم على يديه ، ولم يمض وقت طويل حتى صار عدد المريدين يزداد يوما بعد يوم وضافت المدينة الصغيرة بهم ، وصار من العسير على الوافدين الجدد العثور على المنازل التى ينزلون فيها ، فكان عليهم أن يبحثوا عن منازل لهم فى القرى المجاورة لمدينة روتا .

لم يحدث مرة واحدة أن لاحظ أحد الطلاب الذين يتلقون العلم على يد الشيخ عمر أنه غضب مرة ، ولم يسمعوا منه مرة واحدة منذ أن وفدوا عليه أنه قال لهم إننى متعب اليوم ، حتى ولو بدا عليه الإعياء من كثرة العمل لا تقعه الآلام ، لقد كان الشيخ عمر رجلا فريدا ، لا مثيل له فى أى مكان آخر ، وكان إذا أصابته مصيبة لا يقول إلا " إنا لله وإنا إليه راجعون " لا يغضب مطلقا فقد كان طلق الوجه دائما ، ولا يتدخل مطلقا فى

أمر لا يعنيه ، ولا يجادل أحداً بالباطل ، بل إنه لم يكن يحب الجدل ، لذلك لم تنشأ بينه وبين أى إنسان أية مشكلة ، لكل ذلك أخذ كثير من الناس يقولون إنه من أولياء الله الصالحين .

وذات يوم بعد أن ألقى الشيخ عمر دروسه على طلابه بعد العصر . جلسوا يتحدثون فى أمور الحياة الدنيا؛ فسأله أحد تلاميذه قائلاً " يا معلمى إني أريد أن أسألك سؤالاً ، ولكنى أخشى فى نفسى أن تظن أننى أريد أن أجرح مشاعرك بهذا السؤال " فرد عليه الشيخ عمر قائلاً : " إن قلبى لا يغضب أبداً من أى سؤال الإنسان لا يحيط بكل شىء علماً ، فاسأل عن كل ما تريد معرفته ولا تخش شيئاً فى نفسك ، وأرجو من الله أن يعيننى على ما تسألنى عنه " .

قال الطالب : " مغفرة يا سيدى ، إن ما أريد معرفته عنك أمرين اثنين ، الأمر الأول أن تخبرنى من أية بلدة جئت ، وأن تحدثنى عن أخبار مدينتكم ، أكل أهل هذه المدينة علماء مثلك ؟ لأن علمك الغزير لا يثير دهشتى وحدى بل كل إنسان فى دهشة من أمرك ، الأمر الثانى أريد أن تحدثنى عن أصلك ؛ لأننى أراك لا تشبه أهل مدينتنا ، فأنت تتحدث اللغة العربية بطلاقة العرب فرد قائلاً : " الحقيقة أنك سألتنى سؤالين لهما أهيمتهما وسأجيبك عنهما إجابة صريحة ، ولكنها ستكون طويلة ومثيرة لدهشة وشفقة كل من يسمعها ، وسأحاول الآن أن أقص عليك قصة مدينتنا وأصلى والأسفار التى قمت بها والصعاب التى واجهتها .. قبل أن أصل إلى مدينتكم " .

أنا رجل من كاجرا :

قال الشيخ عمر : لقد كنت أحد أبناء هذه المدينة ، ومع ذلك لم أشب وأترعرع فيها ، فقد نشأت في إحدى البلاد العربية ، وإن كنت في الأصل من بلدة بالقرب من مدينة " بيد " تعرف باسم " كاجرا " . كان والدي رجلا متوسط القامة صناعته رتق الأحذية وأمى امرأة من فاتيكا " توفي والدي وأنا جنين في بطن أمى ، وترك لي من الميراث ست بقرات وثلاث نعجات وفرسته التي كان يركبها ، وكانت حاملا في هذا الوقت ، وقد سلم هذا الميراث إلى يد أمى ، وطلب منها أن تحتفظ بهذه الفرسة حتى تلد بإذن الله لأنها ميراث مولودها ، وأن زوجها ليس له أقارب يرثونه .

ومرت الأيام ووالدتي على حالها حتى ولدتني ، وعندما حان موعد تسميتي أمرت بشاه مما ورثت وذبحتها ، وأطلق علي اسم عمر ، ومرت الأيام وبلغت من العمر عامين ، وحلن موعد الفطام ، فأخذتني جدتي لأبى لتقطمني ، ومكثت معها حتى حان الوقت الذي طلبت فيه والدتي للزواج ، فقالت والدتي لجدتي : " إنك تعلمين أنه ليس لي أخ في هذه المدينة ، وليس لي إلا أنت وهذا الغلام الصغير ، والآن أريد أن أتزوج ، وها هم يطلبونني للزواج ، عددهم يزيد يوما بعد يوم ، ويقولون لا بد من

عقد الزواج على من أفضل منهم ، وقد جئت الآن لمشورتك،
فلان وفلان يطلبوننى ، ولكنى حتى الآن لم أستقر على رأى .
أريد أن أستمع إلى رأيك ، ومنهم أيضا أحد رجال حاشية الأمير
والمقربين إليه تماما ، وهو "ماكو" Makau .

وعندما سمعت جدتى اسم " ماكو " من بين الطالبين قالت " يا
ابنتى لقد كتب الله لك السعادة إذا أخذتى بنصيحتى ، فليس من
بين الطالبين أفضل من ماكو زوجا ، فإننى أعرفه رجلا ذا
حياء، عزيز النفس ، وستكونين سعيدة إذا جعله الله زوجا لك " ،
واستمعت والدتى إلى هذه النصيحة . وفى اليوم التالى عقد
الزواج ، وحدد اليوم الذى ستزف فيه إلى زوجها ، وعندما حان
الحين انتقلت والدتى إلى بيت زوجها وبقيت أنا مع جدتى،
وبينما كنت أعيش معها فى هناء وسعادة أصابها مرض الموت،
فلما شعرت أنه لا مفر من هذا المرض إلا الموت بعثت إلى
والدتى ، فلما جاءت أخذت توصيها قائلة: " أنت تريين أنه لا
يبدو أننى سأعافى من هذا المرض ، لذلك أريد أن تأخذى معك
هذا الغلام الصغير وتذهبى به إلى منزلك لأننى لا أريد أن أراه
مطلقا وهو يبكى ، فإننى أزداد ألما لبكائه " . قالت والدتى: " لك
ما تريدين "

وبعد أن خرجت بوقت قليل توفيت جدتى فاجتمع الكثيرون
من أهل المدينة وصلوا عليها صلاة الجنازة، ونقلوها إلى
مقرها الأخير .

وبعد انتهاء هذا الأمر ، مرت أيام وأنا أعيش فى سعادة مع والدتى فى منزل زوجها "ماكو" .

وذات يوم استدعى الأمير كل رجال الحاشية ، فلما اجتمعوا قال لهم: " أمر واحد جعلنى أستدعيكم ، إنى أريد أن تستعدوا للذهاب للإغارة على قبيلة " حوارى " الوثنية ، فإننى فى حاجة شديدة إلى المال ، لذلك أريد أن تستعدوا بسرعة وتذهبوا لتعودوا إلى مسرعين" .

عندما سمع رجال الحاشية هذا الكلام من الأمير صاروا جميعا كالمجانين من شدة السرور ، لقد شعر الجميع بالسعادة وأخذوا يتصايحون قائلين: " لقد كنا نتمنى ذلك من قبل فما باللك عندما تأمرنا به " ، وسبب بسعادتهم هو أنه عندما يقومون بهذه الإغارة سيسلبون كثيرا من الدواب والعبيد ، وعندما يعود سيجعل الأمير لكل منهم ربع ما سلب وربما إذا اقتنص أحدهم ثلاثة عبيد أخذ الأمير عبيدين وترك للقائص الثالث . وسبب هذه الإغارة التى أمر بها الأمير حاجته الشديدة إلى الحصول على بعض العبيد الذين يضمهم إلى ما لديه ويبيع بهم إلى مدينة "كانو" ليبيعوا فى سوق الرقيق ، ويشترى بثمنهم بعض الملابس وأدوات الزينة لحصانه ، ويرسل البعض الآخر إلى مدينة "بيدا" لشراء بعض البنادق ، وكان من بين الفرسان الذين اختارهم الأمير لهذه الإغارة ماكو .

وعندما حان وقت رحيلهم وطلب الأمير أحد العلماء ليدع لهم بالتوفيق والنصر عاد ماكو إلى منزله وجمع كل أهله وقال لهم: "تعلمون الآن أنني ذاهب في إغارة على بلدة "حوارى" ولا أعرف متى سأعود ، وربما قتلت هناك ، الله أعلم ، لذلك أريد أن أستودعكم الله ، وأن تغفرو عما أذنبت في حقكم جميعا " فرد عليه أولاده جميعا في وقت واحد " والله تالله لم يحدث منك شيء يكدر نفوسنا ، ونرجو أن تذهب بالسلامة وتعود بالسلامة " ، وانفجرنا جميعا في البكاء ، ولم يشعر أحدنا بأخيه ...

استعد كل الذاهبين إلى هذه الإغارة ، وفي الصباح الباكر خرجوا مباشرة إلى قبيلة حواري ، وأوغلوا في السير حتى وصلوا إلى قرية صغيرة من قرى الوثنيين في سفح جبل الغابة ، وعند وصولهم إلى هذا المكان نزلوا جميعا من فوق ظهور خيولهم ، وركدوا أسفل شجرة ضخمة مورقة حيث لا يستطيع أحد أن يراهم ، وفي هذا الوقت أخذت الأمطار تهطل بغزارة حيث يخرج بعدها كل المزارعين لرعاية مزارعهم ولا يزرع هؤلاء الوثنيون أى محصول طوال العام يمكن أن يغل عليهم الخير إلا في هذه الأيام . لذلك خرجوا جميعا من مدنها وتوجهوا إلى حقولهم وأخذوا يصلحون مزارعهم في العراء . ومع ذلك لا يستطيعون العمل في أمان فهم في خشية دائمة من المغيرين.

عندما وصل المغيرون إلى هذه القرية اختبأوا عند حافة المزرعة، وفي الصباح الباكر بدأ الوثنيون يخرجون من قراهم ويذهبون إلى مزارعهم بينما المغيرون راقدين على الأرض لا يتحركون يراقبون كل ما يجرى في المزرعة ، وانتظروا حتى خرج كل سكان القرية ، خرج المزارعون جميعا وأخذوا يشتغلون في مزارعهم بجد وهم يحسبون أنهم في مأمن من المغيرين ولن يصيبهم أى سوء ، إلا أن المغيرين هجموا عليهم مرة واحدة وأخذوا يقتنصون النساء والرجال والأطفال الصغار، وقبل أن ينتبه الوثنيون كان المغيرون قد بدأوا بالهجوم عليهم ، وفي الحال بدأ الوثنيون يخرجون استعدادا للقتال لتخليص إخوانهم الذين أسروا ، ولكن قبل أن يستعدوا كان المغيرون قد لاذوا بالفرار فتعقبوهم ولكن انعدم الأمل فى اللحاق بهم ، وأرهق الوثنيون خيولهم وأصبح المغيرون أثرا بعد عين .

الإيقاع بين الأمير وماكو :

عندما رأى المغيرون أنهم نجوا ، اتخذوا الطريق المباشر ليضلوا الوثنيين الذين يعتقدون أنهم سيغيرون الطريق حتى لا يلحقوا بهم ، وعندما اتخذوا طريقهم المباشر أخذوا يسرعون فى السير وكل يقول لرفيقه " الوداع " وأوغلوا فى سيرهم حتى شاء الله أن يصلوا إلى بلدهم سالمين ، وعندما وصلوا إلى المدينة اتخذ كل منهم طريقه إلى قصر الأمير بما حصل عليه من غنائم أثناء هذه الغارة ، وقد كانت أسلاب كل منهم تتراوح من عبيدين إلى ثلاثة عبيد ، ومنهم من حصل على أربع عنزات ، وقدم كل منهم ما حصل عليه إلى الأمير إلا ماكو وحده الذى لم يأخذ طريقه إلى قصر الأمير عند عودته ، ولكنه قصد منزله ولم يكن يعنى شيئا من وراء ذلك .

وعندما حضر الجميع بين يدى الأمير وقدم كل منهم ما غنمه حينئذ قال الأمير " عجبا أين ماكو ؟ هل قتل هناك وأنتم تخفون عنى الأمر ؟ " فرد الناس جميعا قائلين : " لا .. أطال الله حياة الأمير ، إنك تعرف أخلاق الناس فى هذه الأيام ، لقد كنا نكظم غيظنا من قبل فقط عندما رأينا أنك اتخذته من المقربين إليك أحسنا بما سينتهى إليه الأمر لأننا نعرف أن كل من أمن لله الناس وخانهم لابد أن يفضحه الله على أعينهم ، فما بالك أنت

وماكو الذى أسلمت إليه كل شئ ثؤنك !!! فليسمح لنا الأمير أن نقص عليه كل شئ . فى هذه المدينة لا تجدمن يخون أمانتك مثله ، أن ماكو يكشف أسرارك بين أفراد الشعب الذين يعصونك ويتكبرون عليك الآن ، ولا يوجد سر من أسرار تطلعه عليه حتى يذيعه بين الناس ، وهو منذ أن خرجنا لهذه الغارة حتى عدنا ، وعبد الله هذا لا يكف عن لومك حتى إن رئيس الحرس غضب واستل السيف وكاد أن يقطع عنقه ، إلا أن الفرسان هدأوا من روعه ، وهذا هو السر فى عدم رؤيتك له بيننا ، لقد ذهب إلى بيته بأربعة عبيد اقتنصهم ، منهم غلامان صغيران ، وفتاتان ولكن إحداهما تجاوزت المثل فى الجمال ، ولكننا لا نعرف ما سيقدمه إليك .

عندما سمع الأمير هذا الكلام قال : " حقا ولكن ماكو عمل خيرا " وبعد قليل أقبل ماكو بالعبدین اللذين اقتنصهما ، جاء بهما مختالا ، ولم يدر ما قاله رفاقه من وشايات ، هذان العبدان اللذان أقبل بهما هما فى الواقع كل ما حصل عليه من الغنائم ، وأن اقتنصه لأربعة من العبيد أكذوبة من صنع أعدائه ، ولما اقترب ماكو من بوابة قصر الأمير رأى من بعيد الأمير يجلس فى الخارج بين رجال الحاشية ؛ فلما رأوه أخذوا يقولون ها هو ماكو قادم بعبدین فقط لقد أخفى الاثنین الآخرين

ولما وصل حيث يجلس الأمير ركع وأى له التحية إلا أن الأمير لم يرد عليه التحية ، ولم يعره أحد من الحاضرين أى

اهتمام ، وتجاهلوه جميعا ، وأخذ كل منهم يصدق فيه بعينه وقد
ملأ السرور قلوب أعدائه حتى فاض على وجوههم ، وبعد
مضى وقت قصير قال الأمير : " ماكو هل وصلت الآن فقط ؟ "
فرد عليه قائلا : " لا ، أطل الله حياة الأمير ، لقد ذهبت إلى بيتي
لربط حصاني وأغير ثيابي ثم أحضر إليك " ، حينئذ قال الأمير
حسنا .. " كم عبدا اقتنصت ؟ " قال ماكو " عبيدين " قال الأمير "
أحقا غنمت عبيدين اثنين فقط ، هل توافق إذا فتشت ووجدت أنك
لم تحصل على عبيدين اثنين فقط أن أفعل بك ما أريد ؟ " ، قال
ماكو " والله أوافق " . وعندما انتهى هذا الكلام استدعى الأمير
رئيس الحرس وسأله قائلا " كم عبدا حصل عليه ماكو من هذه
الغارة ؟ " لقد كان رئيس الحرس يتمنى وقوع هذا الحدث من
قبل ولذلك بادر بالقول " أربعة عبيد ، ولكنه وصل بعبيدين فقط
إلى هذه المدينة ؛ لأنه باع عبيدين في الطريق لإحدى القوافل
المتجهة إلى مدينة كانو ، الذاهبة لنقل الدخن المتجهة إلى بوتشي
" ، قال الأمير " حسنا أسمعت يا ماكو ؟ " فرد عليه ماكو قائلا "
أطل الله حياة الأمير ، ليس لدى الآن ما أقوله ؛ لأن هؤلاء
الناس سبقوني وأفسدوا الأمر بيننا ، ولم يبق شيء أقوله لك
ترض به " .

تفتيش منزل ماكو :

غضب الأمير وغضب المجلس ، وأمر رجال الحاشية بالذهاب إلى منزل ماكو وتفتيشه والاستيلاء على كل ما فيه ولا يتركون له شيئاً مهما كان صغيراً .

ذهب رجال الحاشية وصادروا المنزل تماماً حتى العشب الذى تسقف به الحجرات استولوا عليه جميعاً، وكان له بعض البقرات فى قرية صغيرة قريبة بعثوا فى الحال بأحد رجال الحاشية فذهب إلى القرية واستولى عليها، وعندما ذهبوا للاستيلاء على الأبقار استولوا على أبقارى وشويهاى ، وفرستى وابنها التى ورثتها عن والدى، بعد الاستيلاء على كل هذه الأشياء جمعت كلها وقدمت إلى الأمير، وعندما وضعت بين يديه تقدم ماكو وقال له " أطال الله حياة الأمير يوجد بين هذه الأشياء ما هو ليس ملكاً لى مثل هذه الفرسة وابنها والشويهاى وبعض هذه الأبقار، هذه الأشياء تخص الغلام اليتيم الذى تزوجت والدته، وكل ما أرجوه أن تخرج هذه الأشياء الخاصة بهذا اليتيم لأردها عليه "، عند سماع هذا الكلام تمت كل رجال الحاشية قائلين " أسمعتم لقد بدأ يردد الأكاذيب التى تعود على ترديدها، من أين وجدت ثروة اليتيم حتى تقول إنها لديك حفظ الله الأمير إنه يكذب، إن ثروة هذا اليتيم التى يتحدث عنها

ليست لديه بل هي طرف والدة الغلام فهي تعرف أين تحفظ ثروتها"، وفي هذا الوقت كنت غلاماً صغيراً لا أدرك ولا أعرف ما يجري من حولى إلا أننى أتذكر أنه عند مصادرة منزلنا رأيت والدي يبكىان - وفي الحال اقتنع الأمير بما قاله رجاله ولم يجر أى بحث لمعرفة الحقيقة .

وبعد أن انتهت الجلسة قال لماكو " حسنا رأيت هذا الجواء الذى لقيته من الله لخيانتك لأمانتى بعد أن أمنت لك ؟ والآن لن أقول لك شيئاً ، فما حدث لك يكفينى ، وبعد ذلك، بما أننى أمير هذه المدينة فلن أَرْضَى لك بالإقامة فيها، فساطردك الآن منها وتخرج إلى حيث لا يصل سلطانى، وحتى الآن لن أمنعك من السفر بأهلك وكل امرأة من نسائك إذا أردت فتتبعك أو تخرجاً معاً وإذا لم تكن تريدك فيجب أن تتركها " قال ماكو " أطال الله حياة الأمير ، سمعاً وطاعة، ولكن أتوسل إليك بعظمة ملكك أن تتركنى أياماً قلائل هنا لأحصل على الزاد القليل الذى سسأقتات به أثناء الطريق لأنك تعلم أننى سأذهب الآن إلى حيث لا أعلم؛ فرفع الأمير رأسه مدة وجيزة ثم رد على ماكو قائلاً "إنه موافق ولكن أربعة أيام فقط سيسمح له بها ليستعد لهذه الرحلة ، شكر ماكو الأمير وقام وذهب إلى منزله وجمع أولاده جميعاً صغيراً وكبيراً ورجالاً ونساءً وقال لنا " حسنا رأيت كيف قدر الله لى هذا الأمر ، لقد أمرنى الأمير أن أرحل عن إمارته، ولكنه سمح لى أن أذهب بالنساء اللاتى يردن اللحاق بى من زوجاتى وبعد ذلك قال: قبل أربعة أيام يجب أن أترك هذه المدينة ، وما أريده

الآن أنه من منكن تجد في نفسها الطاقة على تحمل الحياة معي
فلتتبعني". انفجر كل أهلى فى البكاء فى وقت واحد ، وقلنا والله
تالله لن نذهب إلى بلد آخر — حتى لو ذهبنا إلى الدار الآخرة —
إلا ذهبنا معك. وسألنا ماكو ثلاث أسئلة تستوجبها الشريعة
الإسلامية فلم يختلف أحدنا فى الإجابة عنها عن الآخر .

إخراج ماكو من المدينة :

بعد أن فعل ماكو ذلك مع أهل بيته خرج إلى ردهة منزله وجلس يفكر في المدينة التي سيذهب إليها، وأخذ كثير من الناس وأصدقائه وغيرهم يفدون إليه لمواساته لما أصابه من حزن شديد ، وكان أكثر هؤلاء إذا جاء انهمر في البكاء وبعضهم يأتي ببعض المال ويقدمه إليه قائلا له : " إليك هذا الشيء البسيط ربما تحتاج أن تشرب ماء في الطريق " ، وعندما حان المغرب قام ماكو وتوضأ وصلى ، وكان هذا اليوم الذي تصنع والدتي فيه الثريد ، وبعد أن انتهى الجميع من الحديث دخل ماكو المنزل لينام ومر على حجرة والدتي فوجدها تبكي بصورة لم يسبق لها مثيل، فلما رأى ذلك قال لها هذا الأمر لا يحله البكاء فقد تجاوز حد البكاء ، وطالما أنك امرأة مسلمة يجب أن تتذكرى أن كل ما يصيب الإنسان في هذه الحياة بقضاء الله وقدره، لذلك الأفضل لنا جميعا أن نتوكل على الله الذي يفعل كل ما يريد ، فردت عليه أمي قائلة حسنا يا ماكو ، ماذا يمنعني من البكاء في هذه الحياة ؟ فكل هذه المدينة على سعتها ليس لي فيها قريب من ناحية الأم ولا الأب ، وباستثناء هذا اليتيم الصغير ليس لي أحد إلا أنت الذي جمعني الله بك، بعد هذا ما أفكر فيه الآن هو هذا الشر الذي أصابك لأن ما يمس حياتك في هذه

الدنيا يمس حياتي أيضا ، ولكن أهم ما أفكر فيه هو هذا الطفل
فقد احترت ماذا أفعل معه ، لقد كنت أنتظر حتى تعود من هذه
الإغارة وأطلب منك الإذن لأذهب إلى مدينتنا لأرى أهلي ، ثم
أعود ، وها هو ما حدث .

عندما سمع ماكو هذا الكلام أطرق برأسه وأخذ يفكر تفكيراً
عميقاً وبعد وقت قصير رد عليها قائلاً حقيقة أنك تكتمين فى
نفسك أمورا محزنة ، ولكن طالما الأمر كذلك فالله قادر على كل
شيء جففى دموعك ، لا راد لقضاء الله، ولكن بخصوص هذا
الموضوع الذى تحدثتى عنه والذهاب لزيارة والدتك سأقدم إليك
نصيحة واحدة ، الآن طالما أصبح الأمر هكذا والحال الذى
وصلنا إليه ولا أعرف أية مدينة معرفة جيدة أستطيع الإقامة
فيها لذلك فقد سمحت لك بالذهاب لزيارة أهلك .

وعندما أجد مكانا مناسباً أستقر فيه سأبعث إليك لتلحقى بى
هناك ، وهذا الولد طالما أنك لا تستطيعين الذهاب به ، يجب أن
تتركه هنا ، لدى رجل أمين ، حتى تذهبنى وتعودى وتأخذه .

قالت الأم " وهو كذلك " .

ومرت الأيام وحان وقت الموعد الذى حدده الأمير ، ومنذ
الصباح الباكر بعث الأمير من يخبره بأن اليوم حان الموعد ،
وعليه أن يستعد وينتظر رسوله ، الذى سيصحبه ليخرجه خارج
الحدود ، وقبل أن يحين وقت الصباح الباكر ، بادر ماكو

بالاستعداد التام ولكن رسول الأمير لم يأتسه إلا بعد صلاة العصر ، وكان ماكو جالسا يتفحص الطريق ، وبعد فترة إذا بحارس الأمير يصطحب شخصا آخر يسمى سنتيلي ، يصلان على ظهر حصانيهما؛ فلما وصلا إليه قال له " لا بأس ، هيا بسم الله " ، قام ماكو فسألاه عن الجهة التي يريد أن يخرج منها فقال " الجهة المقابلة لمدينة زاريا " .

فقالا " هيا أمامنا "

وجعلاه أمامهما وأخذا يحثانه على السير حتى وصلوا إلى الحدود ، وهنا تركاه ، فى مكان لم يصل إليه منذ خلقه الله ، فقالا له " الآن عليك أن تعرف وجهتك ، فقد أمرنا الأمير أن نتوقف هنا " ، وهنا سنتركك ، لعلك تموت ، أو يقتنصك تجار الرقيق ، هذا لا يهمنا .

قال ماكو " وهو كذلك ، إذا وصلتما فبلغا الأمير شكري ، وأسأل الله أن يقيكما شر الطريق ، آمين " .

ماكو يلتقى بصياد :

عندما تركاه بحث عن شجرة كبيرة وجلس تحتها يفكر ،
ويسأل الله ورسوله ، حتى يئس ، ولما رفع رأسه رأى صيادا
يتجول ، ويحمل على كتفه جراب السهام ، وقد حان العصر
والظما يكاد يقتله ، فلما رآه الصياد اتجه نحوه ، فراه قد وضع
رأسه بين ركبتيه ، فلما وصل إليه ألقى عليه السلام ، فرفع
رأسه ورد السلام . وبعد أن تبادلوا التحية قال الصياد لماكو " أنت
يا عبد الله من أين جئت ؟ وما سبب حضورك إلى هذا المكان
في هذا الوقت ؟ لعلك ذهبت لاقتناص الرقيق وغابت الشمس
فهت على وجهك في الغابة " قال ماكو " سبب حضوري إلى
هذا المكان " ، فقدم الصياد إلى ماكو الماء وبعد أن شرب بوقت
قصير وهدأت نفسه قال الصياد " الحمد لله أشكر جازاك الله
خييرا على ما قدمت لي من مساعدة ، سبب حضوري إلى هنا
هو كذا وكذا " .

عندما سمع الصياد هذه القصة تعجب وقال " حقيقة ما قدر
الله يكون ، المؤمن في هذه الحياة لن يضل أبدا " . قال ماكو "
وما سبب هذا الكلام ؟ " فرد الصياد قائلا " نعم لو قدر الله أن
تلتقى بواحد من رفاقي وليس بي لصرت الآن عبدا ، وإذا كان
هذا الشر أصابك لأنك صدقت القول ، فقد لطف الله بك وأرجو

أن يمدنا بمزيد من رحمته ، ويساعدنا فى كل ما نعمل،
وينصرنا على أعدائنا ، والآن إلى أى مدينة ستتوجه " .

قال ماكو " إننى أريد أن أذهب إلى قرية صغيرة تقع بين
مدينى زاريا وكانو لأقيم فيها ، ولكن هذه القرية التى أريدها
لا بد أن تكون أرضها خصبة حتى أستطيع زراعتها ؛ لأننى
عندما أجد المسكن الذى أنزل فيه وأبنى منزلا صغيرا سأبعث
إلى أولادى ليلحقوا بى .

السكن فى قرية مقرفى :

قال الصياد " لابد أن تتخير المكان الذى سستزرعه جيدا ، وطالما أن الأمر كذلك فسأقدم إليك نصيحة بسيطة ، أرجو أن تعمل بها ، هناك قرية صغيرة تسمى "مقرفى" تقع على مقربة من مدينة زاريا على طريق مدينة كانو ، لأهل هذه المدينة شهرة واسعة فى حرفة الزراعة والزراعة هناك تدر ربحا وفيرا وخيراتها دائما كثيرا ، وأعتقد أنه من الأفضل لك أن تذهب إلى هذا المكان وتستقر فيه ، وسترى أنه لن يضايقك أحد هناك ، فلا يوجد بين أهل هذه القرية من يتدخل فى شئون أخيه ، لأن كل منهم لديه من الخير الكثير . فالحقد والبغضاء لا ينموان حيث يوجد الرخاء ، ولكن حيث ينتشر الفقر والفاقة " .

حتى ماكو رأسه للصياد شاكرا ، ثم رفعها قائلًا: والله سأعمل بكل ما نصحتنى به ، لأننى أحسست بحبك لى ، وبقي سؤال واحد عن الأمر الذى ينجينى من شر الطريق الذى سأسلكه قبل أن أصل إلى قرية "مقرفى" فأحضر الصياد سلسلة تتدلى منها إحدى التماائم وقدمها إليه ، وقال له هذا الشيء الذى سأساعدك به وأرجو أن تصل سالما ، ويحفظك الله من الضلال " ، ثم ودعا بعضهما ، وافترقا ، واتخذ كل منهما طريقه ، وعينه تفيض من الدمع .

ماكو يذهب إلى زاريا :

ثم هب ماكو واقفا بعد أن ودع الصياد ، وانتظر برهة حيث وقف لأنه لا يعرف الطريق الذى سيسلكه إلى مدينة زاريا ، ولما لاحظ الصياد ذلك عاد وأخذ يده وأخذا يسيران معا حتى وصلا إلى غابة بالقرب من قرية صغيرة، وعندما وصلا إلى هذا المكان قال له الصياد، أترى هذه القرية الصغيرة التى أمامنا ستسلك هذا السبيل ولا تحاول أن تدخل هذه القرية لأنك لو دخلتها ربما لا تخرج منها أبدا، والأفضل أن تتخذها جانبا وتمضى فى سبيلك وعندما تمر عليها لا تسلك الجانب الشمالى ؛ لأن فى الشمال من هذه المدينة توجد مزرعة لأحد السحرة المهرة ، كل غريب أو عابر سبيل أو عبد هارب من إحدى القرى لا مفر من الدخول إلى هذه المزرعة، حيث يقتتصه الساحر الذى لا يفارق مزرعته أبدا ، وإذا رأى شخصا توقف بالقرب من المزرعة وأخذ يتلفت حوله جاء وأمسكه وجعله من عبيده".

وقال ماكو " سمعا وطاعة " ثم ودعا بعضهما مرة أخرى فى هذا المكان ، وواصل ماكو السير وعاد الصياد إلى حيث التقى بـماكو ، أخذ ماكو سبيله حتى وصل إلى هذه المدينة، فلما بلغها

لم يحاول الدخول فيها ، وعمل بكل ما قاله الصياد . فمئسذ أن سار فى الطريق لم يلتفت ليرى المدينة حتى تأكد أنه أصبح على مسافة بعيدة منها. ولما أحس أنه نجا من هذه المدينة جلس تحت شجرة وارفة الظلال ليستريح ويأكل بعض الطعام ، ولم يكذ يسترح قليلا حتى سمع وقع خطى الخيل عن يمينه، وسمع حديث فرسانها ، كل يقص على رفاقه ما فعله عندما خرج للإغارة على بعض الأماكن، وعند سماع ماكو ذلك صعد إلى أعلى الشجرة التى يجلس تحتها واختفى بين أغصانها ، وعندما وصلوا إلى حيث يختفى ماكو، قال أحدهم أرايتم هذا المكان الذى تنازعنا فيه مرة مع فلان وفلان عندما كنا عائدتين من الإغارة، ولم نقتص فى هذا اليوم إلا غلاما صغيرا لم يتجاوز عمره سبع سنوات ، وقد كنا ثلاثة فرسان عندما وصلنا إلى هذا المكان ، جلسنا لنستريح فقال أحدها "حسننا والآن ما العمل مع هذا الغلام ؟ كيف سيأخذ كل منا أجر ما عاناه من المتاعب فى إقتناصه.

وما كدنا نسمع هذا القول حتى هب من فى حوزته الغلام قائلا يا فلان ماذا تقصد من قولك هذا الكلام السخيف، عجباً هل هو دجاجة؟ كيف تقول إنك تريد نصيبك من جسد هذا الغلام مع أننى أنا الذى تعبت كثيرا حتى اقتنصته وحدى، وما منعك أن تصيد لك عبدا، ولما سمع ذلك الكلام شخص آخر استل سيفه فى لمح البصر وقال الآن سوف أثبت لك أن هذا الغلام ليس ملكا لك وحدك، ولما استل سيفه لم يغمده حتى قطع رأس

الغلام، فقال لسيده حسنا لقد قلت إنك أنت الذى اقتتصته فخذ
الجسد جزاء على ما عانيت من تعب، ونحن تكفينا الرأس"، بعد
ما انتهى هؤلاء الناس من هذا الحديث ونالوا قسطا من الراحة
قاموا وامتطى كل منهم صهوة جواده واتخذوا طريقهم
مسرعين، فلما رأى ماكو أنهم ابتعدوا عنه نزل من مكمته،
فوجد شيئا تحت الشجرة فالتقطه وإذا به حقيبة لأحد هؤلاء
الرجال قد سقطت منه على الأرض وليس بها إلا بعض
الدراهم، فأخذها وسار فى طريقه مقتفيا آثارهم يوما كاملا ، ولم
يجلس للراحة أو تناول أى طعام .

ماكو يرى سور المدينة :

وبينما هو يسير فى الطريق رأى على البعد سور المدينة أمامه مباشرة حيث سبقه هؤلاء الرجال ودخلوها؛ فاستمر ماكو فى السير حتى وصل إلى البوابة فاخترقها وقال لحارس البوابة "يا سيدى أى مدينة هذه ؟" قال حارس البوابة "مدينة زاريا يا صديقى" ، وعند ذلك تنهد ماكو وقال "الحمد لله اللهم أنت الرازق" ، وهنا لم يتحرك من مكانه إلا بعد أن توثقت الصداقة بينه وبين حارس البوابة حتى قال له الحارس "لقد سررت كثيرا برؤيتك لابد أن تنزل علي ضيفا" فرح ماكو ونزل فى منزل حارس البوابة ، وعندما أقبل الليل تناولوا الطعام معا، وبعد أن أنهيا غسلا يديهما وأخذا يتحدثان فى شئون الحياة الدنيا، وقص ماكو على الحارس كل ما أصابه من مصائب ، سأله الحارس "والآن إلى أين تنوى السير؟" قال ماكو "لقد سمعت عن قرية صغيرة بالقرب من هنا اسمها مقرفى ، أريد أن أذهب إلى هناك لعلى أستطيع الإقامة فيها ، لأننى سمعت عن أرضها الخصبة ، ويمكن زراعتها" .

قال حارس البوابة "الحمد لله أن لى أخا فى هذه القرية اسمه "تتيمو" عندما تنوى الرحيل أعطيك رسالة إليه ، ولما طلع النهار ذهب ماكو إلى حارس البوابة وأخبره أنه سيرحل ، ولكنه

يريد أن يمدّه بـغلام ليذهب معه إلى السوق ليشتري بعض الأدوات ، فبعث معه حارس المدينة خادمه ، وذهبا معا واشترى ماكو فأسا ذات يد قصيرة ، وأخرى ذات يد طويلة وبلطة وقدم ، ولما انتهى من شراء ما يحتاجه عاد إلى المنزل وأستأذن من حارس البوابة الذي أحضر بعض الزاد وقدمه إليه ، وكتب رسالة إلى أخيه تتيمو يقول فيها " بعد التحية .. إليك هذا الرجل اسمه ماكو ، رجل طيب أبعثه إليك فأسأله عن قصته والسبب الذي دفعه إلى الخروج من موطنه ، لقد قال لى إنه يريد أن يجد مكانا يستقر فيه ليعمل بحرفة الزراعة ، أرجو أن تكرمه وتهتم به وتمنحه المزرعة والأرض التى يقيم عليها منزلا له ، لأن له أسرة ستلحق به بعد ذلك"

وعندما انتهى من كتابة الرسالة سلمها له فشكره ماكو شكرا كثيرا وودعا بعضهما ، واستدعى حارس البوابة خادمه ليريه الطريق ، اتخذ ماكو طريقه وأوغل فى السير حتى وصل إلى مقرفى فسأل عن منزل تتيمو حتى وصل إليه ، فدخل عليه وسلمه الرسالة ، فلما قرأها رحب به وأنزله فى منزله ، وقدم إليه الطعام ، وبعد أن انتهى من تناول الطعام قص عليه كل أخباره ، قال تتيمو " حسنا ، إن أحيانا الله إلى الغد ، سارك المزرعة والمنزل الذى توفيت فيه والدتى هذه الأيام ؛ فإن وافقك أصلحه وأقم فيه .

ماكو يستدعى أسرته :

مكث ماكو زمنا في مقر في ، يزرع الأرض ويصلح منزله ، واشترى عبيدين بماله الذي كسبه ، حتى بدت عليه مظاهر النعمة ، وهدأت نفسه فذهب إلى تتيمو وقال له إنه يريد أن يبعث إلى أسرته لتحلق به ، قال له تتيمو إن هذا أمر مهم ، لأن عجوزا مثلك لا ينبغي أن يعيش بلا أسرة ، أن لدى خادما من كاجرا اسمه عيسى ، إذا لم تجد أحدا يحضرهم غيره فليذهب ، وبعد مضي يومين أستعد ماكو لرحيل عيسى فاشترى ثوبا جميلا من تتيمو ولفه في قطعة من القماش وأعطاه لعيسى ، وطلب منه أن يحمله إلى أمير كاجرا ، كما اشترى بعض الهدايا من مدينة زاريا وطلب منه أن يحملها إلى بعض أصدقائه هناك ، وأعطاه ثوبين لحمل أحدهما إلى رئيس الحرس والآخر إلى سنتيلي ، وأعطاه بعض المال ليشتري لنسائه الطعام أثناء الطريق ، وقال له من بين نسائي امرأة من " فاتيكا " قبل أن أرحل استأذنتني في الذهاب لتزور أهلها ، إذا وصلت ووجدتها قد ذهبت فترك بها رسالة بأن تسرع وتلحق بي مع أخواتها إلى هنا ، وتأتي بابنها اليتيم معها ، وأسأل الله أن تعود سالما .

ولما وصل عيسى قصد قصر الأمير مباشرة ، ودخل عليه وقدم هدية ماكو ؛ وأخبره بحاجته إلى أسرته ، قال الأمير الحمد

لله ، وأمر الحاشية أن تأخذه إلى منزل ماكو ، لينزل فيه حتى تستعد الأسرة للرحيل ، فيرحلوا جميعا . ذهب عيسى إلى المنزل ونزل فيه ، وعندما أقبل العصر بعث إلى رئيس الحرس وستيلي بهدايا ماكو كما بعث بالهدايا الأخرى إلى أصحابها ففرحوا بها جميعا ، وبعد أن انتهى عيسى من توزيعها دخل على أهل ماكو وأخبرهم بسبب حضوره ، فكادوا يطيطون فرحا ثم سألهم عيسى عن السيدة التي من أهل فاتيكا ، هل ذهبت لزيارة والديها ؟ قالت النسوة لا ، ها هي تنتظر رسالته ، قال لها ماكو يطلب منك أن تذهبي ، ولكن أسرعي وألحقي به هناك ، وعندما تذهبين إليه تأخذين معك أبناك ، قالت لعيسى وهو كذلك إن شاء الله ، وأن يكتب لنا الحياة وأن نلتقى مرة أخرى .

قضت أسرة ماكو أربعة أيام تستعد للرحيل ، وفي اليوم الخامس ذهب عيسى واستأذن من الأمير ، وفي اليوم التالي رحلوا وتركونا أنا ووالدتي في كاجرا ، وبعد أن رحلت الأسرة أخذت والدتي تستعد للسفر إلى فاتيكا ، وفي ليلة الرحيل أودعتني لدى رجل من مدينة تسكوتو اسمه بخارى ، الذي كان جارا لوالدي ، ومنذ الصباح رأيت والدتي تنتقل بين المنازل ، ولا أعتقد أنها في هذا اليوم وضعت شيئا في فمها ، حتى الماء ، لأنها لم تستقر أبدا في مكان واحد ؛ فقد كانت دائبة التنقل بين منازل صديقاتها حتى أقبل الليل ، وبعد أن انتهت من هذا التجول عادت إلى منزل بخارى ونامت وهي تبكي بكاء مؤلما ، ولم يكن شيء يهمني في هذا الوقت المبكر من العمر ، بل كنت

أشعر بالسرور لأننى ساجد فى منزل بخارى أقارابى من
الأطفال الذين سألهو معهم .

عمر يقع فى الرق :

بعد أن أقبل الليل وهدأت المدينة ، قامت والدتى وذهبت إلى منزل إحدى نساء بخارى اسمها أمينة التى أعيش فى بيتها ، وقالت لها " أمينة أريد أن أستودعك الله الآن ؛ لأننى أنوى الرحيل قبل أذان الفجر ، فعليك أن تصبرى ، وأنت تعرفين حال الطفل الصغير إن لم يترك لينل كل ما يريد يبكى ، وإذا ترك ليفعل كل ما يريد سيضره ذلك مستقبلا ؛ فعليك أن تنصحيه دائما ، ولا تهتمى بما يقال إن هذا ليس ابنك ، والله لا فرق بينى وبينك ، فمنذ أن ألف الله بين قلوبنا ، ونحن نجتمع على الإخلاص . قالت أمينة " إن كل ما تقولينه حق ، فأرجو أن يعيننى الله على الوفاء به " ، وجلستا بعد ذلك تتحدثان كثيرا ، حتى نمت أنا ومن فى دارها من الأطفال ، ثم غلبهم النوم بعد ذلك ، فقامت أمى وذهبت لتنام ، ولكن لم يلمس النوم عينها لشدة ما تعاني من التفكير فيما يمكن أن يحدث لها أثناء الطريق قبل أن تصل إلى موطن والديها ، والخوف الذى تشعر به بسبب تركى فى مدينة ليس لى فيها قريب واحد من طرف الأم أو الأب ، وبينما هى مستغرقة فى التفكير العميق سمعت صياح الديكة ، فقامت وتناولت متاعها ، وأخذت طريقها إلى فاتيكا ،

سبحان الله لقد سبق القدر التمني ولم أرها مرة أخرى إلا بعد
أعوام طوال.

لص يسرقنى :

حدث كل هذا ولا علم لى ، ولم أشعر به لأننى لم أكن أتجاوز فى هذه السن المبكرة أربع سنوات ، ومنذ أن رحلت أمى من كاجرا لم أر شيئا تغير بالنسبة لى ، فقد كنت أكل وأشرب ما يطيب لى ، وها هم الأولاد الذين ألعب معهم كل يوم ولم تبد لى أمينة زوجة بخارى التى أعيش معها ما يسوءنى ، فكل ما أفعله ترضى به ، وإذا ارتكبت ذنبا عظيما كلما جاءت لتضربنى ورفعت يدها أعادتها قائلة " الله أكبر ولد غبى " ، ولم تكن تحب أن ابتعد عن المنزل ولو قليلا ، فكانت تحب أن تجلس دائما معا ، وإذا ابتعدت لألهو وألعب كما يفعل الأطفال كان يطير عقلها غضبا ، وتخرج طارقة كل المنازل التى تعودت أن ألهو مع أبنائها ، وتأتى بى .

وذات يوم اجتمعت مع عدد كبير من الأطفال على باب منزلنا نلهو ونلعب ، وكان عددنا تسعة أولاد ، وإذا بنا نرى رجلا ذا ثوب فضفاض وجيب كبير ، قادم إلينا فكففنا عن اللعب جميعا ، قائلين " كيف حالك يا والدى ؟ " فرد قائلا " هل رب هذا البيت بداخله ؟ " فرد عليه ولد منا متوسط القامة قائلا " لا " ذهب خارج المدينة ولكنه سيعود غدا ؛ فوقف هذا الرجل طويلا وأخذ يراقبنا ونحن نلعب ، وبعد فترة سألنا عن أسمائنا فذكر كل

منا اسمه ، فلما سمع اسمى رأيته وقف فجأة وأخذ يحدق فى وجهى ، وقد كنت أصغر هؤلاء الأطفال جميعا ، ولم يمض وقت طويل على وقفته حتى نادانى قائلا

- " كيف حالك يا عمر أتعرفنى الآن ؟ أين أمك وأين أبوك؟ هيا لأذهب بك إلى والديك. فقلت وهو كذلك ، وفى الحال رأيته يضع يديه فى حقيبة صغيرة وأخرج بعض اللحم المشوى وقطعتين من النقود وقدمها إلى . ما أدراك وحال الصغار ، لقد أخذتها وأنا أتلهف فأمسك يدي وأخذت أسير معه طويلا على أنه سيحملنى إلى أبى وأمى ، وأخذت أسير معه بالنقود واللحم فى يدي ، وأوغلنا فى السير حتى خرجنا من المدينة فرأيت أنه يسحبني ويدخل ثغرة فى السور المحيط بالمدينة ، وأخذنا نسير حتى شعرت بالتعب وأحسست أنني أريد أن أبكى ، فحملنى على كتفه وأمدنى بمزيد من اللحم .

سرنا كثيرا وأنا محمول على كتفه من الظهر حتى قرب غروب الشمس . أما بقية الأطفال الذين كنت ألهو معهم فقد أخذوا يكون عندما أحسوا أنهم افتقدونى ، وهنا سمع أهل منزلى فبعثوا الخادمة لتعرف سبب بكاء الأطفال ، فلما خرجت وسألت الصغار عن سبب بكائهم أخبروها أن عمر قد ضاع ولا يرونه ، وقالوا لها إنه بينما كانوا يلعبون بالنهار رأوا رجلا ذا ثوب فضفاض وجيبه كبير ، جاء وأخذنى على أنه سيحملنى إلى أمى وأبى ، وعندما سمعت الخادمة ذلك قالت لا حول ولا قوة

إلا بالله وأخبرت سيدها ، ودخلت المنزل حيث تجلس الأسرة
لتخبرهم بما حدث ؛ فلما سمعت أمينة هذا انفجرت فى البكاء
وأخذت تقول هذا الأمر لا يحتمل ، لابد أن أحد اللصوص قد
سرق عمر ، بالله ماذا أفعل فى نفسى إذا عادت أمه ولم تجده ،
ماذا سأقول لها، ثم وقعت على الأرض ، وأخذت تبكى وتقلب
جسدها على التراب وتطلق صرخات عالية حتى سمعها سكان
المدينة ، وفى الحال انتشر الخبر فى أنحاء المدينة، وقبل أن
تأتى العشاء كان أغلب الرجال قد خرجوا يبحثون عنى حول
المدينة، أما أنا وسارقي فلم نكن نعلم بما يجرى خلفنا من
أحداث، ولما رأى الليل قد أقبل أنزلنى من فوق كتفه وأجلسنى
داخل كهف صغير فى بطن الجبل ، وأخرج لى من جيبه لحمًا
ونوعًا من الطعام مصنوع من الدقيق وعسل النحل وقدمهما
إلىّ، وأحضر ماء وأعطاه لى لأشرب، وجلسنا فى الكهف ، ولم
أعد أهتم بأى شىء طالما أن بطنى قد امتلأت بينما كان اللص
يهدف إلى أن أستريح قليلاً ثم نواصل السير، وبينما نحن
جالسين يتناول اللص طعامه رأيته فجأة يسحب يده من الإناء
ويكف عما يمضغه من الطعام ، وينصت مثل الحصان عندما
يحس بشىء يتحرك ، ومكث مدة على هذا الحال ثم تسلل وركع
على ركبتيه وأخذ يطل خارج الكهف ، وبعد قليل بدأت أسمع
حديث أناس إلى الشمال منا ، وهنا رأيته يضع يده فى حقيبته
ويخرج حجاباً ويضربنى به على رأسى ثم أخرج مديّة من
غمدها وقال لى :

- " أرأيت هؤلاء الناس أنهم خرجوا يتجولون فى الغابة ليمسكوا الأطفال ويأكلونهم ، ربما ترى أحدا تعرفه منهم حتى لو سمعته ينادى باسمك ، وإذا رددت عليه فثق أننى سأقطع رقبتك بهذا السكين ، ثم سحبها وأرانيها ؛ فعندما نظرت إليها وجدتها تلمع فى ضوء القمر ؛ فأخذ كل جسد يرتعد ، وفى الحال أصبت بإسهال شديد ، ولما اقترب هؤلاء الرجال من الكهف قال أحدهم " لا ينبغي أن نتجاوز هذا المكان ؛ لأننى أعرف أن فى هذه الأماكن يوجد كهف أمسكنا فيه أحد اللصوص ، وقد سرق طفلة فى يوم من الأيام ، يجب أن ندخل هذا الكهف ونبحث فيه ، فإذا لم نجد فيه أحداً مضينا " . لقد كنا نسمع كل ما يقال فأخذ اللص سكينا ووضعته على عنقى وقال " إذا نطقت حرقاً أو قمت بأية حركة سأقطع عنقك دون تردد " .

بحثوا ولم يرونى :

كان هؤلاء الرجال قادمين يتحدثون حتى إذا وصلوا إلى مدخل الكهف الذى نجلس فيه، وعند وصولهم نادى أحدهم قللاً يا عمر يابن ماکو ، لأنه الاسم الذى كانت أمينة تتادبنى به ، وأخذ ينادى كثيراً وأنا أسمع نداءه، ولكن لم يكن أمامى فرصة للرد عليه خوفاً من السكين المسلط على عنقى ، أخذوا ينادون حتى تعبوا ولم يرد عليهم أحد ، ولم يطل أحد منهم فى هذا الكهف أو يدخل فيه ، ثم عادوا إلى المدينة ، أما باقى الرجال فقد بحثوا فى الغابة ، ولم يروا أى أثر لى، ولما تعبوا هم أيضاً أخذوا طريقهم إلى المدينة وهم يقولون " إن أم هذا الطفل إذا سمعت بهذا الخبر لابد أنها ستصاب بالجنون أو الموت"، وعندما وصل هؤلاء الرجال إلى المدينة وأخبروا أمينة أنهم لم يجدونى، انفجرت فى البكاء وأحاط الجميع بها وأخذوا يصبرونها ويواسونها ، فإن هذا ما قدره الله ، حتى جففت دموعها ودخلت فى حجرتها ، ولكنها كانت كلما رأت الإناء الخشبى الذى اعتادت أن تضع الطعام فيه والمكان الذى كنت أنام فيه أظلمت الدنيا فى نظرها ، فتلقى بنفسها على السرير وتأخذ فى البكاء وحدها بكاء حاراً ، ومنذ أن سرقت لم يهدأ لها بال حتى التقت بأمى فى مدينة فاتىكا .

الذئب يأكل اللص :

عندما عاد الباحثون عنى كان الليل قد انتهى ، فلما أحس اللص الذى سرقنى بأن الغابة قد هدأت قال لى " ألىم تسترح الآن؟ فلنقم ونواصل السير "، ثم حملنى على كتفه وأخذ يسير بى فى الغابة حتى وصلنا إلى منزل صغير وسط إحدى المزارع، وكان الصبح قد انفلق فأنزلنى من فوق عنقه ، وقال إنه تعب وينبغى أن ندخل هذا المنزل لينام ، وجذبنى فدخلنا معاً ورقدنا ، ولم يمض وقت طويل حتى غلبه النوم ، أما أنا فلم أشعر بالنوم لأننى سبق أن نمت عندما حملنى على عنقه ، لقد تركنى خلفه عندما هم بالنوم ، فلما بدأ الشخير تملكنى الخوف فقممت ودخلت فى صندوق تركه أصحاب المزرعة فى حجرة فرقدت فيه ، ولم يمض وقت طويل حتى أخذت أسمع عواء ذئب خرج للصيد ، فلم يجد شيئاً حتى الصباح وكاد يعود إلى جحره حتى سمع شخير اللص ، فدار حول المنزل ، ولعلك تعرف الكوخ الكائن فى المزرعة لا يحيط به أى سور منيع ، ولا توجد أية حصيرة من العشب على باب الحجرة التى ننام فيها ، فلما جاء الذئب إلى باب الحجرة وقف يفكر هل يدخل أم يعود ، ولا سيما أن الشمس كادت تشرق إلا أنه تشجع ودخل برأسه فوجد رجلاً عند مدخل الباب .

فوقف عند رأسه ليعرف إذا كان حيًا أو ميتًا ، ثم رأيته ينشب أسنانه فى حنجرة اللص ، وفى الحال ولا مشقة رأيته يفصل رأسه عن جسده ، كما يمسك إنسان مقصًا ويقص به ورقة نبات غص ، فعل الذئب كل هذا ولم يستيقظ الرجل ، ولعلك تعرف حال الموت مهما كان نوع الحى عندما يموت تشعر بدفع جسمه . عندما هبت الريح على هذا الرجل حيث ذبح رأيته قد بدأ يضرب برجليه حتى انتهى تمامًا وتأكد الذئب أنه قد فارق الحياة ، فصل الرأس عن الجسد وحمله فوق ظهره وقصد إلى الكهف الذى يعيش فيه وتركنى مع الرأس فى الكوخ .

طلع النهار وأشرقت الشمس فقامت وخرجت من الكوخ وذهبت إلى إحدى أشجار التمر الهندى فى المزرعة وجلست تحتها أعبث ببعض الحصى ، وعند الضحى أخذت أبكى وأنادى بابا .. بابا ؛ فلم يرد علي أحد ، وبعد أن قضيت وقتًا طويلًا فى البكاء رأيت بعض الناس قادمين من بعيد ، لقد كانوا أصحاب المزرعة فأخذت أبكى ولم أكف عن البكاء حتى وصلوا إلي ، فلما وصلوا وجدونى طفلاً صغيراً فسألونى عما أصابنى ، ولأننى لم أكن أعرف فى هذا الوقت كيف تقص الأخبار أجبتهم بالطريقة التالية : " بابا .. ذيب .. كل .. غاب .. أم .. ليل — س فى حج " . وبعد أن رددت هذه الكلمات المتقطعة قالت امرأة من بينهم وبحكمة " إنه يقصد أن يقول الذئب أكل أباه ليلة أمس وترك الرأس فى الحجرة " قال الآخرون أى لقد صدق فيما يقول أين أبوك يا بنى ؟ فأشرت إلى الكوخ الذى كنت أرقد فيه ، وفى

الحال توجهوا إلى المكان ، وعند وصولهم إلى باب الكوخ رأوا
الدماء على الحائط كأن بقرة قد ذبحت.

ونحن على هذا الحال وإذا بزوج هؤلاء النسوة اللاتي
وجدننى يأتى فيجدنا واقفين على باب الكوخ والنساء يقلن لا
حول ولا قوة إلا بالله ، كشأنهن ، فلما جاء أخبرته بكل ما حدث
فلم يكن أقل منهن دهشة ، وأخذ هذه الرأس التي تركها الذئب
وذهب إلى حافة المزرعة ودفنها ، ثم أخذ ملابس اللص وأخذ
يفتش فيها عما سيكون فيها ، وعندما فتح ثوب هذا الميت وجد
فيه جراباً كبيراً ليس فيه إلا اللحم المشوى ونوع من الحشوى
ودقيق محمر وقرعة صغيرة وتميمتين إحداهما مغطاة بجلد من
جبهة نمر ومعلقة فى سلسلة والأخرى بجلد الحوت وخيطة
بعروق القرد ، والتميمة الثانية موضوعة داخل قطعة من
القماش . وخلاصة القول عندما فتش أدوات هذا الميت جيداً
تتهد وقال إن هذا الرجل ليس والد الغلام ، لا شك أنه سرقة من
مكان ما ؛ لأن هذه الأشياء لا يحملها إلا اللصوص وقطاع
الطرق ، والزاد الذى يحمله لا يتزود به إلا اللصوص ، وبعد
أن قال ذلك التفت إلى وسألنى بعض الأسئلة لا أستطيع أن
أتذكرها وأخذ يتكلم بلا جدوى لأننى لم أكن أهتم بما يقول ، ولم
أنصت إليه ، فقد كنت أعب فى التراب كشأنى مع أولاده
الصغار .

أقع فى الرق مرة أخرى :

عندما أدرك أننى لم آنس إليه قال لإحدى نسائه "فلانة تقولين إنه ليس لك ابن ها قد وهبك الله ، فخذيه لعل الله ينفعك به " فركعت بين يديه وشكرته ، ثم أخذتني وسألتني عن اسمي فأجبتها ففرحت كثيرا ، وبعد ذلك أخذوا يعملون فى المزرعة فترة طويلة ونحن نلعب حتى حان وقت الظهر ثم ذهبوا إلى الغدير واغتسلوا ، وبعد أن انتهوا عادوا إلى شجرة التمر هندی حيث كنا وجلسوا يشربون الماء ليعودوا بعد ذلك إلى المنزل ، ورأيت إحداهن تفتح إناء كبيراً وتخرج بنوع من الطعام والدقيق وتخلطهما بالماء وقدمت لكل نصيبه ، أما نحن الصغار فقد أخذنا نصيبنا فى ملعقة خشبية كبيرة فلعقناه بأصابعنا .

وبعد أن انتهينا من تناول الطعام أخذت كل امرأة طفلها وحملتة على ظهرها ، وأخذتني أمي وحملتني كباقي الأمهات ، وسار رب الأسرة خلفنا يحمل القوس والسهم المعلقة فى كتفه ، وأخواه الصغيران يسيران فى المقدمة وأسلحتهما معلقة فى كتفيهما ، ونحن الأطفال والنساء نسير فى وسطهم ، وما كنا نبتعد عن المزرعة حتى أخذنا نسمع صوت حوافر بعض الخيول تسير فى الغابة وهم يقولون " اليوم سريركم سيقضى الليل خاوياً ، ولم يهتم أحدنا بما يقال ، لذلك واصلنا السير ،

وبالرغم من أن أحداً منا لم تبد عليه علامات الاهتمام إلا أن قلب كل منهم كان يرتجف رعباً ، وخنقت الأصوات والحركات ، فلا تسمع إلا حركة الأقدام فى الهواء ، وبدا عدو الخيل وحديث الرجال قريباً منا ، ولكننا لم نر أحداً ، وبعد قليل رأينا من بعيد أحد الفرسان يمتطى صهوة جواده ويرتدى قميصاً مغطى بالسلاسل ، يدفع حصانه تجاهنا قائلاً "سريركم اليوم يقضى الليل خاوياً " ، عندما سمع ذلك رب الأسرة قال " بإذن الله أنت الذى سيخسر كسريرك ؛ فربما قضيت الليلة تحت شجر الصبار " ، وفى لمح البصر رأيته يمد يده فى غمده ويخرج سهماً مسمماً ويركع على ركبتيه ، ويصوبه تجاه الفارس منتظراً اقترابه ، أما الفارس فمئذ أن أطلق حصانه لم يتوقف ، فلما رأى رب الأسرة أنه اقترب منه جذب وتر القوس وأطلق سهماً عليه ، إلا أن الفارس تلقاه بدرعه ، وقبل أن يمد سـيـدـى يده ليستخرج سهماً آخر دفعه الفارس فوق على الأرض ممدداً فـاـقـد الوعى ، كأن روحه ستفارق جسده ، فى هذا الوقت فقدنا عقولنا وأخذ كل منا يحدق فى الآخر يترقب ما سيحدث ، بعد قليل رأينا سبعة خيول تقصدنا عدواً ، وما أن رأيناها حتى أخذ كل منا يعدو مسرعاً كما يعدو الكلب ، وجرت النسوة وتركـن أمى تحملنى على ظهرها لا تستطيع العدو ؛ لأن الفأس كانت قد جرحـت قدمها .

الفارس يقتتصنا :

فلما رأى الفارس الذى أوقع سيدى ذلك نزل من فوق حصانه وجذب أمى وهى تحملنى على ظهرها وضمننا إلى سيدى وربطنا بطرف حصانه ، ولما رأى باقى الفرسان ذلك جروا خلف إخواننا ولم أعرف ما آل إليه الأمر بعد ذلك ، وأظن أنهم أسرن جميعا لأن كلا منهم كانت تحمل طفلا على ظهرها . بعد أن قيدنا الفارس دفعنا أمام حصانه وساقنا إلى مدينته ، وواصلنا السير حتى مطلع النهار ، ولما طلعت الشمس أخذنى من أمى وأجلسنى خلفه رحمة بأمى التى كانت تحملنى ، واصلنا السير لمدة ثلاثة أيام حتى وصلنا إلى مدينة كانوا فى شمال نيجيريا ، لقد كان هذا الرجل أحد عبيد الأمير المقربين ، تملكه العوز فخرج يتجول فى الغابة لعله يجد ما يسد حاجته ، فلما وصلنا إلى المدينة لم يكن أحد يود رؤيتنا لما يبدو على وجوهنا من أحزان وآلام .

أمى لا تعرف :

كل هذه الأمور التى حدثت لى لم تعرف أمى شيئا عنها ، لأنها عندما وصلت إلى فاتيكا علمت أن أباهما قد ألقى القبض عليه بتهمة العرافة ، وذهبوا به إلى مدينة زاريا فمكثت هناك تنتظر عودته ثم تعود لتأخذنى وتذهب بى إلى مقرفى حيث ماكو، وبعد أن مكثت شهرين وأحد عشر يوما فى موطن أبيها ، عاد أبوها من زاريا بعد أن أطلق سراحه، وانتهى الأمر لأنه عندما مثل أمام القضاء لام الأمير المسئولين فى مدينة فاتيكا على ما سببه الأمير له من أضرار ، وقال إنه لا يوجد شىء يسمى عرافة فى هذه الحياة إلا أن الأمير لم يقل هذا القول إلا بعد أن رشاه والد أمى ببقرتين حلوب ، وعندما هم بمغادرة مدينة زاريا بعث الأمير معه بأحد رجال الحاشية ليعود له بالبقرتين فعاد إلى فاتيكا وسلمه بقرتى الأمير ، ولما سلمها إليه قال " !! هكذا تتركنى أعود ؟ وفى الحال ودون جدال أحضر والد أمى عنزة بكر وقدمها إليه فساقتها إلى زاريا ، ولم يترك لوالد أمى إلا عجلة صغيرة وجديا ذا شعر غزير" .

لقد فرح أهل البيت كثيرا بعودة رب الأسرة سالما وأخذ كثير من أحبائه يفدون إليه ليهنئونه بالخلاص ، وبعد أن خرج كل المهنيين دخلت والدتى عليه الحجرة لتقدم له التهئة ؛ فلما رآته

انفجرت فى البكاء كشأن النساء حين يفرحن ، وسألها عن أخبارها فقصت عليه كل شىء من البداية حتى النهاية ولم تترك شيئاً ، وهنا دعا لها بالبركة وطلب منها أن تعقد العزم على أن تعود بعد أيام قلائل إلى كاجرا لتأخذنى وتذهب إلى حيث يقيم ماكو ، بدأت والدتى تستعد للرحيل ، وبعد أن استعدت وقبل أن ترحل بيوم واحد ذهبت إلى والدها وطلبت من أحد إخوانها ليرافقها فى الطريق فقال " لا مانع اذهبى مع دابو" ، وأستدعى دابو وقال له أنه سيرافق والدتى إلى كاجرا ، وبعد أن استعد كان العصر قد حان فأخذت قدرا لتغترف الماء من إحدى الآبار القريبة من طريق التجار المتجهين إلى كاجرا ، ولما ألقت الدلو فى البئر وهمت بجذبه رأت بعض النساء يغطين رؤوسهن ليقلن عليها من بعيد ويرافقهن رجل يركب حصانا قادمين من طريق كاجرا ، فأخرجت الدلو بسرعة ووقفت ترنو إليهم حتى اقتربوا ، فلما وصلوا أدركت أن راكب الحصان هو بخارى ، ولما نظرت جيدا إلى وجوه النساء عرفت من بينهن أمينة ، وبسرعة تقدمت إليها وعانقتها وهى تبكى مرحة ، وهنا أنزلت القدر وحملت متاع أمينة ومضت إلى حيث ينزل بخارى ، ولما أوصلتهم إلى حيث ينزلون عادت إلى البيت لتعد لهم الطعام ، وحتى هذه اللحظة لم تنتبه إلى أننى لست معهم .

عادت إلى البيت وأخبرت والدها بكل ما حدث وطلبت أن يحضر لها طعاما شهيا لتقدمه إلى ضيوفها ، وفى الحال ذهبت دجاجتين ، وأخرجت بعض الأرز من مخزن أمها ودقته وغسلته

وجففته وصنعت منه الثريد ، ولما حان المغرب أخذت أمى الطعام وذهبت به إلى منزل الضيوف وقدمته إلى أمينة ، وعادت تأكل نصيبها ، وبعد أن انتهت من تناول الطعام وتلذذت من أنهم أيضا قد انتهوا ذهبت إليهم لتعرف ما يحملون من أخبار ، فلما وصلت لاحظت أن أمينة على غير عادتها فهي دائمة البكاء وقد احمرت عيناها وتورمتا ، فلما رأتها على هذه الحال انتحلت هي الأخرى جانبا وجلست واضعة يديها على خديها في ذهول .

وبعد قليل كفت أمينة عن البكاء وجففت دموعها وتبادلا التحية ، وسألتهما والدتي عن سبب البكاء فقالت لا شيء ، قالت أمى "إن كانت قد حدث مكره فأخبريني " ، وبدأت والدتي تظن في نفسها أن الله قد توفاني بعد أن رحلت من كاجرا ، وسكتت أمينة ولم تقل شيئا ، وهما على هذه الحال دخل بخارى ليحيى والدتي فوجدتهما جالستين في ذهول فدخل وجلس ورحبت به أمى وتبادلا التحية وسألته عن أخبار كاجرا ، وكيف تركها وإلى أين ينوى المسير ، وكشأن الرجال فغر فاه ، وقال لها كاجرا بخير ، والآن أنوى الذهاب إلى بلاد الهوسا ، لأزور قبر الولي الكبير الشيخ عثمان بن فوديو ، وبعد ذلك أريد أن أذهب لزيارة بعض أخوالي في "توريتا" ، ومن هناك أذهب إلى "دينجيساطي" لزيارة أمى ، لأننى لم أرها منذ زمن طويل ، وبعد ذلك السبب الذى جئت من أجله هذه المدينة أن أخبرك بما حدث بعد رحيلك من كاجرا ، طفلك بعد أن سافرتي بعشرة أيام سرقه أحد

الصوص وبحثنا عنه فى كل مكان فلم نعثر له على أى أثر ولم أكن فى هذا الوقت بالمدينة .

كنت بالريف لأعود صديقا لى مريضا، وعندما عدت سمعت هذا الخبر ، ولكننا سمعنا خبرا من أحد خدم الأمير اسمه أحمد بأنه رأى عمر فى مدينة كانوا فى منزل أحد عبيد الأمير الكبار ، والذي يعرف باسم جميز وكما أخبرنا أنه سمع حديثا دار بين جميزو ورجل عربى يسمى عبد الكريم بأن العربى يريد أن يحرر الصبى ويذهب به إلى مصر ليقدمه إلى زوجته ليكون لها أبنا .

هذا كل ما أستطيع أن أقوله لك بشأن عمر ، وهو أيضا سبب حضورى إلى هذه المدينة ، والآن لابد أن تصبرى وترضى بقضاء الله وقدره ، لابد أن تتذكرى فى نفسك أن الصبر أفضل من كل شىء .

سكتت أمى تماما ، وبعد فترة طويلة قالت

" الإنسان فى هذه الحياة إن لم يصبر يرى ألف أمر يكدر النفس، والله يلف بنا " ، وعندما انتهى بخارى من كلامه خرج وتركها مع أمينة تتحدثان وطال بهما الحديث حتى منتصف الليل فقامت والدتى وعادت إلى منزلها ، وعند وصولها أخبرت أباهما وأماها بما حدث فقال كلاهما الله قادر على كل شىء ، ولما أصبح الصباح عادت أمى إلى أمينة لتقضى معها النهار ، وأثناء وجودهما معا جاء أخوها الأصغر يستدعيها مسرعا ، فقد بعث

من فاتيكا لاستدعائها ، فقد وصل ضيف من زاريا ، فذهبت
مسرعة وقامت وذهبت إلى المنزل فوجدت عيسى الرجل الذى
بعث به ماكو ليذهب بأسرته إلى مقرفى ، فرحبت به وقدمت له
الماء ليشرب ، وذهبت إلى أبيها وأخبرته بأنه خادم زوجها ،
وفى الحال أعدوا له حجرة وإصطحبته إليها، وبعد أن جلس
واستراح قليلا سألها هل تعرفيننى ؟ قالت "حى أموت لن أنسلك
" فقال لها " ماكو فى وحشة يريد أن تسرعى وتعودى للحاق به
مع طفلك ، وطلب منى أن تعودا مسرعين قدمى على قدمك "
قالت أمى وهو كذلك ، ثم أخبرته بكل ما حدث بعد فراقهم
فتعجب عيسى من حكم الله ، وعندما انتهيا من هذا الحديث
أخذته إلى حيث والديها ليخبرهما برسالة ماكو بنفسه فقال لهما
عيسى كل شىء ثم عاد إلى منزله ورقد لما أصابه من شدة
حرارة الشمس .

وبعد أن تركت عيسى عادت إلى أمينة مسرورة وأخبرتها
بالخبر السار الذى سمعته ففرحوا جميعا حتى كادوا ينسون
ضياعى ، وقبل أن تعود أمى إلى منزلها ودعت أمينة ومن معها
الوداع الأخير ؛ لأنهم سيرحلون فى الصباح الباكر ، ولما انتهت
مراسم الوداع عادت إلى المنزل ، وجاء الصباح وقامت أمينة
ومن معها قاصدين بلاد الهوسا ، وبعد عودة والدتى إلى منزلها
لم تنتظر طويلا حيث بدأت الاستعداد للرحيل إلى زوجها ، وبعد
أن رحلت أمينة بخمسة أيام رحلت أمى مع عيسى وواصلتا
رحلتهما بنفس مطمئنة ، وبعد أربع أيام ، وصلا إلى مقرفى

اليوم الخامس ، ولما وصلا لم يجدا ماكو فى منزله فقد ذهب
بعد إلى إحدى مزارعه الجديدة خلف المدينة فبعث عيسى بأمى
إلى إخوانها من نساء ماكو ثم ذهب إلى المنزل ليغتسل وغير
ثيابه وخرج ، وذهب إلى ماكو خارج المدينة وأخبره أنه عاد
سالما ولم ينتظر ماكو لحظة فى المكان الذى كان يجلس فيه
وعاد إلى المنزل مسرعا ، فلما وصل دخل منزله وهو يبتسم
من شدة الفرح بعودة زوجته ، وأراها الحجرة فدخلت فيها ، بعد
أن استراحت وهدأت نفسها لم يسألها عن شىء إلا عن أخبارى
فقالت له إنى خطفت، بعد ذلك سألها عدة أسئلة فأخبرته بكل ما
لديها من معلومات، وهنا تملك الخوف من ماكو ودهش الجميع.
هذا هو ما حدث لأمى من أحداث ، ولكنها فى قرارة نفسها
كانت تدرك أن الله واحد وإن أراد الله أن تصل إلى حيث أكون
ستصل قبل أن يدركها الموت .

أباع لرجل عربى :

عندما خطفنى جميزو كانت توجد قافلة عربية فى مدينة كانوا، جاء رجالها لشراء العبيد ونقلهم إلى بلدهم ، وقد عقد أكثرهم علاقات الود مع كبار خدم الأمير لأنهم كلما وفدوا على هذه البلاد كان هؤلاء الخدم هم وسيلتهم فى الحصول على الرقيق ، ولا يأتون فى أى وقت، ولكن هناك عادة وقتا يأتون فيه ، وكانوا كلما جاءوا لشراء العبيد يتفقون عادة مع أصدقائهم على أن يجمعوا لهم العبيد قبل أن يعودوا فى المرة التالية .

وقد عقد جميزو صداقة مع أحد هؤلاء العرب الذى يسمى عبد الكريم من إحدى مدن مصر ، وذات يوم بعد أن قضيت عامين فى خدمة جميزو رأيت رجلا متوسط القامة ذا لحية طويلة وشارب يأتى إليه ، ولما أقبل عليه رأيت جميزو يترك فراشه ويجلسه فوقه ، ومن حين لآخر يردد قوله مرحبا مرحبا بقدومك ، وبعد أن انتهيا من تبادل التحية نادانى سيدى وطلب منى أن أذهب إلى البيت وأحضر لهذا الضيف الماء ، فدخلت وحملت إليه الماء والدقيق الممزوج بعسل النحل ، وجئت وركعت أمام هذا الضيف وقدمته إليه فأخذه وشربه ، وبعد أن شرب الماء وحمد الله التفت إلى جميزو وسأله كيف لم أعرف هذا الغلام من قبل ، هل هو ابنك؟ قال جميزو " لا " وقص عليه

كيف حصل على وعلى أمى وأبى معا وتحدثنا طويلا وأنا جالس على مقربة منهم ، ثم عاد كل منهم إلى منزله ، وكان بيت هذا الضيف بالقرب من منزل جميزو ، منحه أمير كانوا إياه عندما جاء لأول مرة ، لأن المنازل كلها كانت مشغولة حين قدومه ، وكانوا كلما أعدوا له طعاما أمرت بحمله إليه فى منزله حتى ألف كل منا الآخر لكثرة ما حملت إليه الطعام ، وكان كلما حملت إليه الطعام يسألنى هل أحبه ، ويأخذنى ويمسح على رأسى لتحل على بركة الله ، وأحيانا كان يأتى ببعض التمر ويقدمه إلى قبل أن أعود إلى سيدى.

وهكذا يعاملنى حوالى ستة عشر يوما ، وفى اليوم السابع عشر رأيت جميزو يأخذه ويذهبها معا إلى قصر الأمير ، وقبل أن يذهبها سأل عبد الكريم جميزو ما إذا كان يسمح أن أذهب وأجلس فى بيته بجوار متاعه حتى يعودا ، فنادانى جميزو وقال لى ، فذهبت إلى منزل عبد الكريم وجلست فى حجرته وذهب ، ومنذ أن خرجا فى الصباح لم يعودا حتى حان وقت صلاة الظهر ، وبينما أنا جالس فى حجرته بدأت أسمع ضوضاء الناس ، وصوت جميزو ، وبعد قليل رأيت عبد الكريم يدخل الحجرة ، فرحبت بقدومه فقال لى انتهى الأمر ، عد إلى سيدك ، وعند خروجى من حجرته تلفت حولى فرأيت العبيد قد كبلوا بالأغلال ، وتركوا تحت أشعة الشمس المحرقة ، ولما أمعنت النظر فيهم رأيت أمى وأبى اللذين أمسكوهما معى فى المزرعة ،

وهنا ارتجف قلبي وتملكني خوف شديد ، ولما رأيت ذلك طأطأت رأسي ومضيت والدمع ينهمر من عيني.

ذهبت إلى البيت وقدم إلى الطعام ، والشعور بالظمأ يكاد يقتلني ولكني تركته ، ولم أكن أفكر في شيء إلا هؤلاء العبيد ، فعندما وقع بصرى عليهم صرت كمن حمل إليه خبر وفاة أبيه وأمه ، لقد تألمت كثيرا وأظلمت الدنيا في عيني ولم يعد فيها ما يسر ، وذهبت إلى حجرة أمي التي خطفت معي لأنام ، وكان مرض الموت قد ألم بي وكنت لا أملك النظر إلى سقف الحجرة وقد استغرقت في تفكير عميق ، وبينما كنت مستغرقا في التفكير رأيت سيدي جميزو يدخل المنزل ، وعند دخوله سمعته ينادي اسمي ، أين فلان ، فلما سمعت ذلك ارتعدت وقمت وقلت هأنذا ، وذهبت إليه وأمسك يدي وسحبني إلى المنزل الذي ينزل فيه عبد الكريم ، فلما وصلنا ودخلنا منزله وجدناه يقرأ سورة البقرة ، فلما رأنا أغلق المصحف وقال حالا وجدته ؟ فأجابه قائلا ، إنه ليس كغيره من الأطفال الذين يخرجون للعب ، وهنا أخذا يتحدثان كلاما لم أستطع أن أفهمه جيدا ، بعضه تعودت سماعه والبعض الآخر كأنه لغة مختلفة ، وفي نهاية حديثهما سمعت جميزو يقول يا عبد الكريم ستضرني بإبعاد هذا الغلام عني ، فمئذ أن عرفت الخدم لم أر أبدا أعقل ولا أخلص من هذا الغلام؛ فمئذ أن شاء الله أن يدخل هذا البيت ، لم أسمع مطلقا واحدة من نسائي أو خادما من خدمي يشكو منه ، أجاب عبد الكريم مثل هذا الخلق هو الذي يحبه العرب ، أي إنسان في هذه الدنيا على

سعتها إن لم يكن على خلق يستوى في ذلك الأبيض والأسود ،
فهو مثل الدابة تماما ، لأن العقل والبصيرة والحكمة لا تتوفران
في إنسان إلا إذا كان كريم الخلق .

عند سماع هذا الكلام بدأت أقول في نفسي لا شك أن عبد
الكريم سيذهب بي إلى بلدهم ، وأنا في هذه الحالة من
الاضطراب النفسي التفت إلى جميزو وقال يا عمر ، ها عبد
الكريم يلح علي في طلبك ، إنه يطلبك لا لتصير عبدا له ، إنه
يريد إذا استطعت التغلب على نفسك استطعت الحياة معه
ستصير له ابنا لأنه لم يرزق ابنا ، وليس له قريب واحد ، وقد
رضيت أن تذهب معه والآن ننتظر موافقتك فقط .

وبعد هذا رفعت رأسي وأخذت أفكر في مدى البعد بين بلده
وبين بلدي ، وأتذكر أن أمي إذا كانت على قيد الحياة قلن تعرف
أين ذهب الله بي ، وهنا اسودت الدنيا في عيني ولم أشعر متى
أخذ الدمع يفيض من عيني ، ولما رأى عبد الكريم ذلك سألتني
ألا أحبه ، فأجبت أنه الأمر ليس كذلك إنني لا أريد أن أبعد عن
موطني فإذا اتبعته إلى بلده متى سأعود إلى وطني ؟

فقال لي في كل عام إذا جاء سيأتي بي لأرى موطني ، فقلت
وهو كذلك موافق لكي لا يقال عني إنني عديم الحياء بعد أن
امتدحاني ، وبعد أن انتهى من هذا الكلام تماما وافقت فطلب
مني جميزو ، أن أعود إلى المنزل ، فلما قمت وهممت بالذهاب
أحضر عبد الكريم نوعا من الطعام لذيذ الطعم وقدمه إلى مع

بعض التمر الجاف الذى لم أذق أذ منه ، فركعت وأخذته ثم وقفت ووضعتهما فى طيات سترتى الكبيرة التى اشتراها لى جميزو ، وخرجت وسلكت الطريق إلى المنزل فوصلت إليه بما أحمل من هم فى نفسى ، وذهبت إلى أمى ثم عدت إلى الحظيرة وجلست القرفصاء وصارت هيئتي تستدر العطف تماما فلما رأت ذلك انفجرت فى البكاء وأخذت تسأل عما أصابنى فقصصت عليها قصتى من البداية حتى النهاية فأخذت تبكى وتقول لا بأس يا عمر تذكر دائما فى نفسك أن الله مالك كل شىء ، وجلسنا نتحدث كثيرا حتى شاء الله أن يدخل جميزو ويخبرها بنفسه أننى ذاهب إلى مصر مع صديقه العربى ، فقالت لا بأس ، أحيانا الله، قال آمين .

ومرت الأيام وذات يوم بعد هذا الحديث بخمسة عشر يوما عزم عبد الكريم على الرحيل ، وكان قد استعد تماما ، بعد أن قضى كل مآربه ، واشترى كل ما يريده من العبيد ، إلى جانب بعض الأقمشة السوداء التى تلف حول الرأس وغيرها من الأقمشة السوداء لبيعها فى الطريق ويشترى الزاد .

وبعد أن أتم استعداداه كان عليه أن يسافر فى صباح اليوم التالى ، بعث من يستدعيني فذهبت فأخبرني أنه استعد للسفر وسيرحل فى صباح الغد ، وطلب منى أن أذهب وأستأذن من أصدقائى وأمهاتى أى عائلة جميزو ، فقلت وهو كذلك . قممت وعدت إلى المنزل ودعوت كل من أعرف ثم لففت حصيرة صغيرة ووضعتها تحت أبطي وقصدت منزله لأنام فيه حتى لا

أتأخر ، فوجدته جالسا وقد اقترب العصر بعد أن أحضر عبيده ،
وكان عددهم عشرة مختلفين مقيدين ، كان قد بعث بهم إليه
الأمير ، ولما أقبل الليل دخلت الحجرة معه ونمنا على فراش
واحد حتى حان الصباح .

نغادر مدينة كانو :

ظهر نور الصباح فسمعت صوتا يصدر من شيء كسالقرن
ينفخ فيه ويدق الجرس ، عند سماع ذلك دهشت فقامت مذعورا
وأيقظت عبد الكريم وأخبرته فقال لى هذه إشارة المسافرين أى
أن باقى رفاقه قد استعدوا للسفر ، وسيرحلون ، وفى الحال فتح
الباب وخرج ، وذهب وسحب جملة الأبيض ذا السنامين ، ثم
توجه إلى الحظيرة حيث ينام هؤلاء العبيد فى فضاء الله
كالخراف ، وأيقظهم وتهيأنا للرحيل .

غادرنا مدينة كانو فى صباح يوم السبت الثالث من شهر
رمضان ، وقد مضى على هجرة النبى (صلى الله عليه وسلم)
ألف وثلاثمائة سنة تماما ، وقد حضر كل المسافرين إلى مصر
إلى بوابة المدينة ، لا أتذكر اسم البوابة الآن .. وعندما تجمعوا
كلهم أعطيت لهم إشارة بدء الرحلة ، وقبل أن نغادر البوابة بعث
لنا الأمير بحوالى خمسين خيالا ليودعونا ، وعندما أوشكنا على
الرحيل نادانى سيدى وأخذنى وأركبنى أمامه فوق جملة ،
وواصلنا السير ولم أعرف الجهة التى كنا نقصدها ، وأشرق
الشمس وغربت ولم نترك ظهور الإبل .

وباختصار منذ قيامنا من مدينة كانوا لم نسترح فى أية مدينة
إلا مدينة كركا ، ولما غادرنا كركا لم نتوقف إلا فى أرض
خلاء كثيرة الرمال ، ليس فيها منزل واحد ، إلا علامات من
الأكواخ على الطريق ، وهنا توقفت القافلة واستعد أعضاؤها
لورود الماء قبل أن يدخلوا فى الصحراء الكبرى ، ومكثنا
يومين ولا عمل لهؤلاء العرب إلا إصلاح أسلحتهم وملء القرب
بالماء ووضعها على ظهور الإبل ، وقبل أن نتحرك أقبل رجل
عربى على عبد الكريم وطلب منه أن يخبر رجاله كى يستعدوا
لأن المكان الذى سندخله خطير ، وهنا بدأت أشعر بالخوف ،
وأخذت أفكر ربما سيحاربون ، ولا سيما أنى رأيهم يصلحون
بنادقهم وحرابهم ، وبعد قليل دق الناقوس فتحركنا جميعا قرب
العصر ودخلنا الصحراء الكبرى .

وفى هذه الصحراء رأيت عجا وأحسست بخشية الله وآمنت
بأن ما قاله الأسد للذئب حق ؛ إذ قال " بنى آدم شىء مخيف "
منذ بدأت الدخول فى الصحراء لم أر شجرة كبيرة ، فحينما تنظر
ترى مدى بصرك ، لا ترى شيئا إلا الرمال ، لا أمطار ولا
نبت فى أى مكان ، هناك الرياح ولكن ليست مثل هذا البلد ،
رياحهم ليس فيها إلا الرمال ، كل من يعرف كيف تكون رياح
الصحراء ، لا يرجو أن تصل إليه فى أى مكان ، فهناك إذا
هبت ونظرت إليها حسبتها عاصفة ، لقد أخبرنى صديق عربى
أنه أحيانا إذا هبت هذه الرياح على قافلة جعلت الناس فى حالة
من الاضطراب حتى يضلوا الطريق ، وينتشروا فى الصحراء ،

ومهما كانت سعة الطريق في الصحراء فعندما تهب الرياح تختفى معالم المكان تماما ، سبحان الله .

عندما دخلنا هذا المكان تملكنتى الشفقة على هؤلاء العبيد ، كنت كلما نظرت إليهم رأيتهم يسرون في الرمال يقتلعون خطاهم وقد حنوا ظهورهم ، لا أشق على الإنسان الذي تعود على السير في أرض صلبة من أن يسير في كثبان الرمال .

هكذا واصلنا السير في الرمال يوما بعد يوم ، ولا أذهب بك بعيدا في الحديث فمنذ أن تحركنا من المكان الذي وردنا الماء فيه لم نجد ماء مرة أخرى إلا بعد أن قضينا ثلاثة أيام ، ثم وجدنا قرية صغيرة يسكنها بعض الطوارق بالقرب من بعض الآبار الصغيرة في الرمال ، في هذه القرية رأيت أمرا عجيبا كل سكان هذه القرية صغارا وكبارا يلفون عمامة سوداء طولها حوالى ثلاثة أذرع حول رؤوسهم ، وأكثر من تراه ملثما لا يرتدى قلنسوة ، وإذا تلثموا يشدون اللثام حتى يغطوا وجوههم به ، أما النساء فتغطي كل منهن وجهها بقطعة من القماش ، مثل هؤلاء الناس سمعت عن شجاعتهم كثيرا ، وقد رأيت بنفسى الدليل على ذلك عندما سمعت كلامهم فكل ما تسمع من كلامهم كأنه شجار .

وعندما وصلنا إلى هذه المدينة التى تحدثنا عنها ، توقفنا عند بعض الآبار واغترفنا الماء واغتسلنا ، وبعد قليل رأيت أهل المدينة نساء ورجالا يقبلون علينا وقد وضع كل تاجر فى القافلة

متاعه وأخرج عمامات سوداء ، وأقمشة كالتى تصنع فى مدينة
كانو ، ثم رأيت المكان كله فى هرج ومرج يتبادلون التجارة ،
واستمر تبادل السلع حتى مالت الشمس ، وبعد العصر أخذ كل
تاجر سلعته وربطها ، وعند المغرب دق ناقوس الرحيل فرحنا .

وتوغلنا فى السير داخل هذه الصحراء ، ولم نخرج منها إلا
بعد شهرين وثمانية أيام ، وذات يوم بعد أن سرنا سيرا طويلا ،
قربنا من بلدة فى مصر غربى نهر النيل ، يقال لها بركوفة ، لقد
كانت مدينة " عبد الكريم " حيث سنمكث عدة سنوات ، وعندما
أوشكنا على الوصول قال لى عبد الكريم إنها بلدتهم ، وأن
منزله قريب على مدى البصر ، وبعد أن توغلنا قليلا دخلنا
مدينة لم أر مثلها منذ ولدتى أمى ، ولما تجاوزنا ثلاثة منازل
دخلنا منزل عبد الكريم ، ونزلنا حيث خدمه ، ومضى باقى
أفراد القافلة إلى منازلهم .

وفى هذا الوقت سارع العبيد وأحضروا لسيدي الطعام
والشراب ، ولكنهم لم يستطيعوا تناول لقمة واحدة لشدة تعبهم ،
أما أنا فقد أخذنى عبد الكريم إلى زوجته بمجرد وصولنا
وتركنى عندها ثم خرج ، وبعد أن استراح هؤلاء العبيد تماما ،
وهدأت نفوسهم ، انهالوا على هذا الطعام كالجراد الذى هبط
على مزرعة للدخن كادت تتضج ، ومكث عبد الكريم مع هؤلاء
العبيد حتى انتهوا من تناول الطعام تماما ، ثم دخل المنزل
فوجدنى جالسا مع زوجته نتحدث بلغة الهوسا التى تعرفها ، لأنه

كان يأخذها معه عندما بدأ يتاجر مع بلاد الهوسا ، وقد أقاما معا في مدينة كانو حوالي ثلاث سنوات ، دخل عبد الكريم المنزل وقص لزوجته قصتي كاملة ، وأخبرها بكل ما ينوي عمله معي ، ففرحت لذلك فرحا شديدا .

بعد أن قضيت سبعة أيام تعودت على زوجة عبد الكريم تماما ، وذات يوم أخبرني أنه ينوي الذهاب إلى شاطئ البحر لبيع عبيده .

وقبل أن يرحل طلب من زوجته أن تأخذني إلى أحد المعلمين من جيرانه ليعلمني القراءة ، وناداني وأخبرني بذلك ، ثم سافر إلى الإسكندرية بثمانين عبدا ، ولكن مات منهم خمسة وعشرون في الطريق ، وعندما حان مغرب اليوم الذي سافر فيه ، ذهبت مع زوجته زينب إلى الشيخ مسعود الذي سأتعلم القراءة لديه ، وأخبرته بكل ما قال زوجها ، ثم عدنا معا إلى المنزل ، وقالت إنني لن أبدأ القراءة إلا في الغد إن شاء الله وكنا أحياء .

وفي صباح اليوم التالي قدمت إلى قميصا جديدا وسروالا وشيئا من الطعام ، وبعد أن تناولت طعام الإفطار طلبت مني أن أتوجه إلى الكتاب فخرجت متجها إلى منزل الشيخ مسعود ، وبدأت أتعلم القراءة ، ومنذ ذلك اليوم لم يكن لدى الرغبة في البقاء في المنزل إلا قليلا من الوقت بقدر تناول الطعام ، ولم ينقض وقت قليل حتى صارت القراءة بالنسبة لي أمرا سهلا ، فقد كنت أستوعب كل ما أتعلمه بسرعة شديدة ، ولم يمض شهر

واحد حتى بدأت القراءة فى اللوح ، وقبل أن يعود عبد الكريم من الإسكندرية كنت قد حفظت من الفاتحة حتى سبح .

وفى اليوم السابع من الشهر ، وكان قد بقى على يوم عاشوراء ثلاثة أيام ، عاد عبد الكريم ، فأخبرته زينب بأخبارى، ففرح فرحا شديدا ، وأمر أن يذبحوا له خروفا ليتصدق به ، ومنذ ذلك اليوم كان يلبي كل طلباتى؛ فلم يترك نوعا من الثياب إلا اشتراه لى .

ولما حال الحول عزم عبد الكريم على العودة إلى مدينة . كانوا ، وقال لى سنذهب معا على العهد الذى اتفقنا عليه ، عندما سمعت ذلك تعجلت الوقت الذى سارى فيه وطنى ، وبعد أن أعدنا كل شىء جاءته أخبار ما حدث فى بلاد السودان ، وهو أن محمد أحمد توجه إلى مصر وقال إنه المهدي ، وتبعه كل أهل السودان ، فأرسلت إليه حملة حربية من مصر .

عندما سمح عبد الكريم ذلك قال الأفضل أن ننتظر لنرى ما سيحدث ، الآن بلاد السودان هى الطريق الذى سنسلكه ، وكان الجميع حينئذ يظنون أن الأمر لن يطول، وسينتهى قريبا ونسافر، وأثناء ذلك وصلتنا الأخبار بأن الحرب انتهت وأن جماعة المهدي انتصرت ، وصارت كل البلد فى هرج ومرج ، ومرة أخرى أرسلت حملة عسكرية من مصر ، ولكن الأمور كانت قد تأزمت ، فلما علمنا بذلك أدركنا أنه لا توجد فرصة للرحيل ولا مفر من البقاء.

وكما هو حال الطفل دائماً ، بمرور الأيام بدأت أنسى بلدى وأهلى حتى أمى وواصلت التعليم حتى حفظت القرآن فى عامين ، وقد أتممت حفظ القرآن يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر المحرم ، وفى هذا اليوم أقيم احتفال ربما لم أر مثله حتى اليوم ، فى الصباح الباكر ذبح من أجلى ثلاث بقرات وجمالان ، وحوالى تسعة خراف غير الديوك الرومية ، وكان الطعام الذى صنع فى منزلنا وأهدى إلينا لا حدود له .

دخل عبد الكريم حجرته وخرج بنوع من الثياب العربية ؛ لامعة مثل الفضة ، وسروال تونسى مشغول حتى موضع الحزام ، وعباءة من الحرير ، وطربوش له ذر من الحرير الأبيض ، وعمامة صفراء ، وأخذ كل هذه الثياب وقدمها إلسى لأرتيديها ، فلما ارتديتها طلب منى أن أمضى أمامه إلى المدرسة حيث يجتمع صفوة العلماء انتظاراً لأقرأ لهم قليلاً من القرآن وليستمعوا إلى ويدعون لى .

سرت أمامه حتى وصلنا إلى المدرسة ، وجلسنا وأخذ كل منهم ينظر إلى فى دهشة ، ثم جاء الشيخ مسعود ببعض الوريقات من المصحف وقدمها إلى لأقرأها أمام الحاضرين ، وهم فى صمت شديد ، مرهفين السمع أثناء قراءتى .

قرأت هذه الوريقات جيداً ، دون أدنى خطأ ، وعندما انتهيت أخذ الجميع يقولون الحمد لله ، ويرددون لى الدعاء ثم وزع الطعام على الحاضرين .

وبعد أن حفظت القرآن بأيام قليلة ، أحضر سيدى عبد الكريم بعض الكتب العلمية وقدمها إلى مع بعض كتب الأدعية والأحاديث ، فأخذتها وذهبت إلى الشيخ مسعود ، وعندما قدمتها إليه أخذها ووضعها على فراشه ، وأخذ كتابا منها " اسمه العشماوى " وأعطاه لى قائلا سنبداً به لأنه الكتاب الأول الذى يعلم الإنسان مسائل الدين جيداً .

بدأت بهذا الكتاب وحفظته بسرعة ، وبعد سنوات قليلة صرت الرجل الثانى فى العلم بعد الشيخ مسعود فى مدينة بركوفة ، ومنذ هذا التاريخ أخذ الناس ينادوننى بالشيخ عمر ، وأخذ الناس يتوافدون من بلاد كثيرة فى مصر لزيارتي وهم فى دهشة من أمرى ، فأنا رجل غريب ومع ذلك وهبنى الله من البصيرة والفهم الكثير ، وفى هذه الأثناء توفى الشيخ مسعود ، وبلا أدنى تردد وضعت فى مركز الإمامة بعده ، وصرت معلماً لكل تلاميذه .

أمى تبحث عنى :

منذ أن علمت أمى أننى سرقت لم يهدأ لها بال ولم تستمتع بأى شىء من الحياة ، وكانت كلما خلت إلى نفسها حدثتها بأنها ستذهب إلى كل بلدة يحتمل أن أكون فيها ، ومنذ أن افترقنا لم تأكل طعاما ويستقر فى جوفها ، لقد صارت ذابلة عجفاء مثل الشبح قد تغيرت هياتها ، حاول ماكو كثيرا أن ينسنيها ، ولكنه لم يجد سبيلا إلى ذلك حتى يئس .

و ذات يوم بعد أن فارقتها بعام تقريبا ، طلبت من ماسكو أن يسمح لها أن تتوجه حيثما أكون فى هذه الدنيا تبحث عنى ، فرفض فى بادئ الأمر ثم وافق بعد إصرارها ، وأحضر بعض المال والثياب وقدمها إليها ، فقامت وذهبت إلى مدينة كانوا فلما وصلت إلى المدينة سألت عن منزل جميلو ، ونزلت فيه ، وسألته عن مكانى فأخبرها ، ولم يخف عنها شيئا ، أخبرها اسم البلد الذى ذهبت إليه ، واسم المدينة وكذلك اسم سيدي ، فلما سمعت هذه الأخبار هدأت نفسها وحمدت الله ، وسألته عما تفعل لتصل إلى .

فقال لها جميزو " إنك جئت في الوقت المناسب فبعض القوافل ستسافر إلى هناك في خلال ثلاثة أيام ، وتوجد قافلتان ، إحداهما ستتجه إلى مرزوق ، والأخرى إلى حيث يقيم ابنك .

وبعد أن قال لها ذلك بيومين خرجت وذهبت إلى السوق وسألت عن القافلة التي سترحل غدا ، فدلوها على القافلة التي ستذهب إلى مرزوق ... وكان في هذه القافلة تاجر من مدينة كانو مسافر إلى هناك اسمه أدو ، فذهبت إليه وركعت بين يديه، وحدثته في أمرها فأخبرها أن الرحيل غدا وسألها عما إذا كانت ستلحق بالركب فأجابته قائلة " نعم أننى أريد أن أذهب لأبحث عن ابنى الذى يقيم فى مدينة بركوفة فى مصر " .

عندما سمع أدو هذا الكلام أضمر فى نفسه أن يخدع أمى ويذهب بها ويجعلها كزوجته، ويضمها إلى جواريه ونسائه ، وقال لها " حسنا عودى إلى منزلك وأحضري متاعك ، لقد أسعدك الله بأن جعلك فى هذه الرحلة ، عليك أن تذهبي وتعودى للإقامة معنا حتى يكتب الله لنا سلامة الوصول إلى هناك لأننا سنتوجه إلى المدينة التي تقصدينها " .

عندما سمعت والدتى هذا الكلام عادت إلى منزلها وأخذت متاعها البسيط ووضعت بين يديه ، فقد صارت الأمانة التي أودعها الله لديه ، لقد سلمته هذا المتاع فى المغرب ، وكانت الرحلة فى صباح اليوم التالى .

وطال بهم السير ، يقضون اليوم فى مدينة ، وفى الغد يرحلون إلى أخرى ، واستمروا على هذا الحال حتى وصلوا إلى مدينة جات ، وفى هذه المدينة عزموا على البقاء أياما للتجارة ، وحتى هذه اللحظة لم تكن والدتى تعرف ما ينوى أدو أن يفعل معها . وكان الناس الذين يرافقونها يظنون أنها زوجته لأنهم كانوا يرونه يغار عليها فى الطريق.

وذات يوم قبل الرحيل ذهب أدو إلى السوق يشتري بعض الزاد فقابلت والدتى امرأة من كانوا جارية لرجل عربى ، فجلست تتحدث معها وسألتها عن سبب تركها لمدينة كانوا فأخبرتها ، فدقت المرأة صدرها وقالت لها إن هذا الرجل خدعك لقد تركتم الطريق المتجه إلى مصر منذ خروجكم من المدينة .

فسكتت أمى ولم تعرف بماذا ترد ، وبعد قليل قالت لمحدثتها، وماذا أفعل الآن ؟ و لقد بعد بنا الطريق ولا سبيل للعودة ، نفذ المال الذى خرجت به من المدينة ، قالت المرأة " لو سمعتى نصيحتى لا تظهرى له أنك أدركت حيلته ، حتى يأذن الله وتصلوا إلى مرزوق ، وعندئذ قاضيه واشتكيه " .

يصلون إلى مرزوق :

عاد أدو من السوق حوالى العصر ، وعندما حان وقت المغرب بدأوا فى الرحيل ، وواصلوا السير أياما طوال،حتى شاء الله أن يصلوا إلى " مرزوق " وتوجه كل عربى كان معهم إلى منزله ، وقد اكتشفت أمى أن لأدوا مسكنا فى هذه المدينة ، فأخذ والدتى ومتاعها ونزلا فيه ، وبعد أن مضى يومان قال لأمى " لا تظنى أننى لن أذهب بك إلى بركوفة ، أريد أن أصفى بعض الحسابات ثم نذهب معا ونعود إلى كانوا معا " .

وأخذ يتكلم كثيرا ، ولم تقل له أمى شيئا ، حتى انتهى من كلامه وسكت ، فتركته وحده ، وعندما رأت أن الجميع استعد للعودة قالت له " سأشكوك إلى القاضى " ، فقال لها " اذهبنى للقاضى لنرى هل يستطيع أن يأخذك منى ؟ " .

وخرج أدو لشأنه ولم يتوقف إلا فى بيت القاضى ، وقال له " لقد جئت بجارية لى من بلاد الهوسا ، وقد أصبتها لوثة من الجنون وعندما عزمت على الرحيل رفضت أن ترحل معى ، وقالت إنها ستشكونى إلى القاضى " .

قال القاضى " حسنا " ، فلتأت.

ولما عاد أدو إلى المنزل ، ذهبت إلى القضاى لتشكوه ،
فسألها عما جاء بها ، فقالت "أشكو رجلا يسمى أدو ، ونحن فى
مدينة كانوا طلب منى أن أتبعه ليوصلنى إلى ابنى ، وقد طالت
بنا الرحلة ولا يبدو أنه سيفى بوعده ، ولا أعرف أحدا فى هذه
المدينة ليدلنى على الطريق".

فسألها القاضى " فى أى بلدة ابنك ؟ "

قالت " فى بلدة بركوفة فى مصر " .

عندما سمع القاضى هذا الكلام ، ظن أنها ليست عاقلة ، فقال
لها " إذا كان الأمر كذلك ، فهو أمر يسير ، امكثى لدى حتى
أجد مسافرا " .

وفى المساء بعث القاضى من يستدعى أدو ، فلما حضر
أعطاه القاضى بعض المال ، وقال له " عد إلى بيتك انتهى
الأمر ، مع السلامة " ، ظلت والدتى فى منزل القاضى ، حتى
رآها رجل من طرابلس اسمه أحمد فقال للقاضى إنه يرغب فى
تحريرها ، وتساوما ودفع للقاضى فدوها ، فنادها القاضى وقال
لها "ها قد وجدت الرجل الذى سيذهب بك إلى بركوفة سألضمك
إليه ليوصلك إلى ابنك " ، ففرحت فرحا شديدا وشكرته .

وفى اليوم التالى ، بدأوا رحلة السفر ، وبعد مسيرة طويلة
وصلوا إلى طرابلس مغربا ، ولم يتوقف الرجل فى أى مكان إلا

فى منزله ، وعندما طلع النهار نادى كبيرة جواريه وقال لها "ها
أخت لك ، أحضرتها لك ، اعملوا كل شىء معا " .

فلما سمعت أمى ذلك ، قالت " لا يا سيدى ، إن قاضى
مرزوق ، الحقنى بكم لتوصلنى إلى المكان الذى فيه ابنى ، ثم
تقول إننى جاريتك " ؟

قال " أبدا ليس الأمر كذلك ، لقد اشتريتك من يد قاضى
مرزوق " .

فقال " أهكذا ؟ "

وعادت تقول " أنا التى أصابتى مصائب الدنيا ، لعل الله
يلطف بى " .

وعاشت حياتها ، ولم تبد ما أصابها من آلام ، حتى بدأت
وكانها تعودت على الآلام ، وذات يوم بعثها سيدها إلى السوق
ومرت بمنزل القاضى فرفعت إليه شكواها ، فأمر القاضى
بإحضار أحمد ، وعندما جاء كررت الكلام ، فقال " هذا كذب ،
لقد اشتريتها من يد قاضى مرزوق " .

قال القاضى " وهو كذلك ، عودى إلى منزله ، وامكثى فيه ،
وسأبعث برسالة إلى قاضى مرزوق ، ليقول ما لديه ، وإذا جله
الرد سأبعث إليك " .

وبعد أن انصرفت بعث برسالة إلى قاضى مرزوق ، وبعد
فترة جاء رد الرسالة ، فأمر القاضى أن يحضر ، فقال لها

القاضى : " لقد وصلنى الرد من قاضى مرزوق ، وقال إنك تكذبين ، إنه باعك له وعليك أن تذهبي معه ، وتقيمين لديه وتخدمينه " .

فقالت للقاضى " حسبى الله فيما بيننا " ، واستأذن أحمد وقام بجاريته .

وعندما عاد إلى المنزل ، قال لها " طالما أن حالك هذا معى فلن أتركك طليقة ، سأقيدك حتى ينصلح حالك " ، وأمر أن تقيّد ، وأخذ يسند إليها كل الأعمال المنزلية الصعبة ، ولا يطعمها إلا من حين لآخر ، وتغيرت هيئتها لشدة ما أصابها من حزن وبؤس ، فإذا فرغت من عملها انزوت وأخذت تبكى .

ولما رآها على هذا الحال قال فى نفسه " لقد ازداد أمر هذه الجارية سوءا ، وليس لها علاج إلا الضرب " ، وأخذ يضربها كل يوم ومع ذلك لم يتغير حالها ، وظل يعذبها لمدة عام .

أما هى فلم يضايقها كل هذا العذاب الذى تتلقاه ، وكان كل ما يشغل بالها هو عدم الوصول إلى أبنها ، حتى ذبلت وعجزت عن العمل ، فما زادها سيدها إلا عذابا .

وعجز سيدها عما يفعل معها ، فقال " إذا استمر الحال هكذا مع هذه الجارية الملعونة ، سأميّتها وأخسر مالى ، فتركها ومع ذلك لم تهدأ نفسها ، وظلت فى ذبول مستمر .

رؤيا مخيفة :

وبينما كنت فى غمرة سعادتى فى بركوفة ، ولا شىء يضايقنى ، وقد نسيت كل شىء فى بلاد الهوسا ، ذات يوم استيقظت من نومى بعد العشاء فتوضأت وأخذت أقرأ القرآن كعادتى اليومية ، فأخذتلى سنة من النوم ، ولم أستغرق فى النوم طويلا ، فرأيت فى منامى ، أننى على جبل عال ، على مدخل كهف كبير ، وفى هذا الكهف لبوة وابنتها ، وأننى كنت مع بعض صيادى الأسود ، وعندما التقت بعد برهة لم أر أحدا على الجبل غيرى واللبوة وابنتها ، وفجأة خرجت اللبوة من الكهف وتوجهت إلى الغابة تبحث عن صيد لها ، وبعد أن ذهبت عادت بعد قليل ودخلت الكهف ، ثم خرجت بسرعة وهى تهذى وتزأر لأنها فقدت صغيرتها وأخذت تدور حول الكهف وتبكي. ولم تجدها ، ثم رأيت أشياء مبعثرة ، وعندما أوشكت على الاستيقاظ رأيت أمى على مدخل الكهف تنادىنى باسمى ، رأيت ذلك فى المنام فشعرت بالخوف وقمت من النوم مندهشا ومرتبكا فى تفكيرى ، وظللت أتذكر هذه الرؤيا فى نفسى ، ومكثت فترة لا أخبر أحدا بها ، إلا أننى عجزت عن الصبر على سرها فذهبت وقصصتها على سيدى عبد الكريم ، وقلت له "اليوم نفسى فى قلق ، وما يشعر به قلبى هو أن والدتى تبحث

عنى ، وأرى أن كل روحى متعلقة ببلدى ولكن لا أعرف أبدا
السبيل إلى رؤيتها " .

قال عبد الكريم " وأنا أيضا أفكر كيف نجد السبيل للعودة إلى
بلاد الهوسا ، لأن هذا الأمر الذى استصغرناه قد عظم ، فقد
ضاعت كل بلاد السودان ... واستولى رجال المهدي على
البلاد، ولا أرى أن مصر ستعيد سيطرتها عليه ، وها كل
البضاعة التى أعدتها للبيع مزجاة ، ولكن سمعت بالأمس من
أخ ذهب للتجارة فى طرابلس أن القوافل تتبع طريقا آخر إلى
بلاد الهوسا ، الأفضل أن نسلك طريق طرابلس ، لذلك ما أفكر
فيه أن نذهب إلى البحر ، ومن هناك نسلك الطريق إلى
طرابلس ، وبذلك نستطيع أن نجد القافلة المتجهة إلى بلاد
الهوسا، وبإذن الله سوف أذهب بك ، وسأوصلك إلى البلدة التى
تقيم فيها والدتك ، ولكن لدى شرط واحد لابد أن نتفق عليه وهو
أن نعود معا إذا ذهبنا وإذا كنت تتوى أن تخذعنى كما يفعل
أبناء السوء ولا تعود معى فقل لى لأعرف ، وكن واثقا فى
نفسك أنك إذا قلت لى : إننى إذا ذهبت لن أعود ، هو كذلك ،
فلن ألح عليك لأنك تعرف أننى جعلتك كابنى وأنت الذى تستريح
عينى إذا نظرت إليه " .

عجزت عن الرد وأصغيت فقط حتى انتهى عبد الكريم من
كلامه ، فقلت له " أنت تعرف أنه ليس لى أب فى هذه الدنيا
كلها إلا أنت ، بين يديك نشأت ، وأنت الذى رفعتنى بين الناس،

فكيف أرى السبيل إلى خداعك، وهل تعتقد أن الشخص الذى أسدى إلى إحسانا أردته له شرا ، لست من يفعل ذلك ، وإذا فعلت ذلك فإن الله سيحاسبنى " .

وجلست أتحدث مع عبد الكريم حتى اقترب الظهر ، فطلب منى أن أعود إلى المنزل لأن التلاميذ أخذوا يتجمعون ، فلما وصلت وجدت كثيرا من التلاميذ قد تجمعوا أسفل شجرة أمام المنزل ، وقد فتح كل منهم كتابه وأخذ يقرأ فيه ، فدخلت المنزل واغتسلت ثم خرجت لإلقاء الدرس عليهم .

بعد إلقاء الدرس قام كل منهم وتوضأ وتقدمتهم فى الصلاة ، وعندما انتهينا من الصلاة، أخبرتهم أننى سأسافر خلال هذا الشهر مع عبد الكريم لزيارة بلدى إن شاء الله ، فلما قلت ذلك لم تبد الفرحة على وجوههم ، فسألتهم عن السبب ، فقالوا إنهم يخشون ألا أعود إذا سافرت ، فقلت لهم لن يحدث هذا مطلقا .

وفى اليوم التاسع من شهر الصيام ، انتهينا من الاستعداد وبدأنا الرحلة ، فأخذنا المركب حتى وصلنا إلى مدينة القاهرة ، ومنها إلى مدينة الإسكندرية ، حيث أخذنا باخرة كبيرة ووصلنا إلى طرابلس بعد أيام قليلة .

وعندما نزلنا من الباخرة سأل عبد الكريم رجلا عن شخص تعود أن يتعامل مع بلاد الهوسا فى التجارة. فقليل له فى هذه المدينة لا يوجد رجل مشهور بذلك إلا أحمد ، وذهب بنا إلى منزله ، فرحب بنا التاجر وأنزلنا عنده وأكرمنا كثيرا.

و ذات يوم بعد أن استرحنا ، جاء عبد الكريم وأخذ يتحدث مع التاجر ويسأله عن أخبار الطريق ، فأخبره أحمد بكل ما يعرف ، فقال له عبد الكريم ، إن شاء الله سنسافر غدا ؛ فقال له أحمد " عندي جارية من بلاد الهوسا اشتريتها العام الماضي من مرزوق ، ولكن حالها يسوء يوما بعد يوم فمئذ أن اشتريتها لا تفيدني في شيء ، ولا تزداد إلا فسادا ، فهي دائمة التفكير في بلدها ، وإذا لم تفارقني الآن سأخسر مالي ، وطالما أن هذه تجارتك وأنت تعرف لغتها ، سادعوها ربما تفهم كلامها وتريحني منها " .

قال عبد الكريم " وأين هي ؟ "

فدخل أحمد وناداهما فخرجت ، فقال لها عبد الكريم " ما اسمك ؟ "

فلما سمعت أنه يكلمها بلسانها ركعت أمامه وأخذت تبكي فسألها عما أصابها ، ومن أية مدينة هي ؟ قالت " أنا امرأة من فاتيك ، وزوجى هناك تركته فى إحدى المدن اسمها مقرفى " .

قال " ماذا حدث حتى جئت إلى هنا ؟ "

فأخذت تقص عليه خبرها ، وكيف خرجت من المدينة تبحث عن ابنها ، وكيف خدعت وبيعت ، حتى جاءت إلى هذه المدينة ، ولما انتهت من كلامها قال لها :

" والآن ماذا تريدین ؟ "

قالت " لا أريد شيئاً إلا ما خرجت من منزلى من أجله ، وهو أن أجد أبنى ، ثم أموت " :

فلما سمع ذلك تعجب لسوء حالها ، وقال لها : " هل تعرفین اسم المدينة التى بها أبناك ؟ " .

قالت " نعم ، لأنهم قالوا لى إن رجلاً ذهب به إلى بلدتهم فى مصر ، واسم المدينة بركوفة " .

قال لها " بركوفة ! وما اسم سيده ؟ "

قالت " اسمه عبد الكريم " .

قال " عبد الكريم ، وما اسم الولد ؟ "

قالت " عمر "

فلما سمع ذلك قال " الله أكبر ، يفعل الله ما يشاء ، أبشروى ، لقد نظر الله لك بعين رحمته ، اليوم انتهت مشكلتك " .

ثم التفت إلى أحمد وقال له " كم أدفع لك لتحريرها ؟ "

قال " أى شىء تعطنى موافق " .

فدخل وأحضّر المال وقدمه إليه ، ثم نادانى ، وقال لها " ها هو من تبحثين عنه ، وأنا عبد الكريم " .

أمى ترانى :

ثم نظرت إلى وقالت " أنت عمر " ، وانفجرت فى البكاء ، أما أنا فقد وقفت مذهولا ، ثم شعرت بجسمى يقشعر ، وسألت عبد الكريم " من هذه ؟! ولماذا تبكى!! "

فردت والدتى قائلة " أنا أمك ، أبحث عنك منذ سنوات حتى جمعنا الله اليوم معا " ثم هبت قائمة واحتضنتنى ، أما أنا فقد عجزت عن الكلام .

ثم قال عبد الكريم لنذهب إلى مسكننا ، وعندما ذهبنا عاد لها هدوءها ، وأخذت تقص علينا أخبارها ، وكل ما أصابها وبدورى قصصت عليها أخبارى ، وبعد ذلك قلت " إن شاء الله أذهب بك إلى البلد " قالت " لا أظن ذلك ، فقد ذبلت ، وأعلم أننى لن أعود ، وطالما رأيته فهذا يكفينى ، أما أنت فأسأل الله أن يعيدك بالسلامة ، وترى باقى أهلك " .

فقلت " لا تقولى ذلك ، ربنا يسهل " .

لقد خارت قواها ، بسبب المصاعب التى تحملتها وفرحة اللقاء التى فاقت الحد ، لذلك لم تقم مرة أخرى ، لقد شلى الله أن نلتقى مرة أخرى ، وماتت بعد أيام قليلة ، فدفناها ، وبعد سبعة أيام واصلنا السير ، وكنت عبارة عن جسد يتحرك ، أما عقلى

فقد كان مشغولا بالتفكير فيما حدث لى ، ومرت الأيام ، ولم يحدث لنا شىء فى الطريق حتى وصلنا إلى مرزوق ، ولما نزلنا فى مرزوق ، لم نجد قوافل مسافرة فمكثنا أشهر حتى وجدنا القافلة المسافرة.

مواصلة الرحلة :

عندما قمنا من مرزوق واصلنا السير حوالى ثلاثة أشهر ، حتى شاء الله أن نصل إلى قرية صغيرة اسمها محتد ، وتفرقنا ، لنسأل عن أخبار الطريق الذى سنسلكه ، سألنا كل إنسان فعلمنا أن الطريق اختفى ، ولا شىء فى الطريق سوى الحرب بين القبائل ، فلما سمعنا ذلك اجتمع كبار رجال الرحلة ليتشاوروا فيما سيفعلون ، ولكنهم اختلفوا فى الرأى ، فبعضهم رأى أن نعود ، والبعض الآخر رأى أن نواصل السير ، ومن خلال هذه المشاورات رأيت كيف يعرض الناس المال ؛ فكلهم يحسبون الربح الذى سيجنونه فقط ، ولما تغلب رأى الذين رأوا أن نستمر ، وافق الجميع ، فاستعدوا للرحيل فى الليل .

ولما انتهينا من تناول الطعام ، دق جرس الرحيل ، فقمنا وغيرنا الطريق خشية المتحاربين ، وانحرفنا داخل الصحراء ، وكان هذا الانحراف أكبر خسارة لنا ، فمئذ أن رحلنا من محتد ونحن نسير فى الليل ولم نقابل أحدا ، ولم نسمع أية حركة ، حتى طلع النهار ، واقتربنا من بعض الكثران الرملية التى جمعتها الرياح ، ولما وصلنا إلى هذا المكان طلعت الشمس فطلب منا قائد القافلة أن نرتاح ، حتى تنقشع الشمس ويلطف الجو ، ثم نرحل ، فنزلنا وأنزل كل منا متاعه من فوق ظهر

جمله ، واسترحنا بعد أن نال كل منا ما يشاء من طعام وشراب ، مكثنا في هذا المكان ، وذهب هواة التجوال يتجولون ، ونام الراغبون في النوم ، وأخذ البعض يقرأ القرآن ، والبعض الآخر يتحدث في شئون الحياة الدنيا ، كل منا يفعل ما يريد حتى مالت الشمس تماما.

وبينما كان الجميع مشغول بأمره ، تغير الجو تماما، ثم سمعنا صراخا من جهة رفاقنا الذين ذهبوا يتجولون ، ورأيناهم من بعيد يجرون مثل الخراف المذعورة ، فنظرنا جهة المشرق فرأينا على البعد شيئا أسود داكن كالعاصفة، وأخذ يرتفع من الأرض إلى السماء ، واتجه إلينا، ولم أكن أعرف ما هذا الأمر، ولكن رأيت أفراد القافلة قد أخذوا يجمعون متاعهم ويصيحون، أما أنا فقد وقفت مذهولا أراقبهم ولم أدرك ما يحدث ، وبعد ذلك رفعت رأسي فرأيت هذا الشيء أمامنا كالعاصفة ، ولم يكن للأسف عاصفة فقد كان هواء محملا بالغبار ، ولم يكن بداخل هذا الغبار إلا الرمال ، فلما وصل إلينا هاج الناس ولم أستطع أن أرى شيئا أو أعرف مكان رفاقي ، فتضايقت وعجزت عن إدراك ما نحن فيه .

نجوت وحدي من العاصفة :

ولا أطيل عليك ، لم تهدأ الرياح إلا بعد وقت طويل ،
وعندما استطاعت عيني رؤية الأفق ، لم أر أحدا سواي أو أثرا
لجبل الرمال الذي نزلنا أسفله ، فاستولى على الرعب وحدثتني
نفسى بأننى هالك لا محالة ، ثم تذكرت سيدى والجماعة التى
كنت معها ، وأخذ قلبى يحدثنى أن الرمال دفنتهم جميعا ، ومع
ذلك أخذت أطوف حول المكان وأنادى عبد الكريم ، ولكن لم
أسمع حركة واحدة حتى تعبت ، فجلست وانفجرت فى البكاء ،
وأقبل على الليل وأنا على هذا الحال ، فنمت فى فضاء الله ومع
ذلك لم تغمض لى عين .

وعندما طلع النهار ، قمت وطففت حول المكان مرة أخرى
لعلى أجد شخصا على قيد الحياة ، فلم أر أثرا لبشر ، فأخذت
أتجول دون أن أعرف لى مقصدا ، ومضت ثلاثة أيام على هذا
الحال ، حتى نفذ الماء الذى أدخره فى قربتى ، واشتد على
الظمأ ، وارتفعت درجة حرارة الشمس ولا مخبأ لى منها ،
وعجزت عن الوقوف أو السير ، ورقدت على الأرض أنتظر
الموت.

وبعد عصر اليوم الرابع أثناء رقادى ، سمعت صوتا كصوت
الجمال ، فدق قلبى ، ورفعت رأسى ، ونظرت إلى الأفق فرأيت
جملا من بعيد محملا بالمتاع يقبل على ، فقلت "حقيقة إن الله
قادر على كل شيء " وأخذت أراقبه حتى وصل إلى ، ووقف
فنظرت إليه فإذا به جملى ، فلما ركع أمامى زحفت بجسمى إليه
وأخذت قربة الماء ، وشربت ، ولما هدأت نفسى تناولت قليلا
من الطعام وأكلت وحمدت الله ، ونمت بجوار الجمال .

وعندما طلع النهار وشعرت بالقوة ، جمعت المتاع وركبت
الجمال وقام الجمال وأنا أفكر فى الطريق الذى سأسلكه رأيت
الجمال يتبع طريقا من نفسه فلما رأيت ذلك لم أقم بأية حركة
وتركته يسير ، حتى أخذت أرى بعض شجر النخيل من بعيد ،
وعندما وصلنا إليها رأيت مدينة كبيرة ، وأخذ الجمال يسير حتى
وصل بى إلى حافة بئر ووقف ، فنزلت من فوق ظهره اغترفت
بعض الماء وقدمته إليه ، وتوجهت إلى إحدى الأشجار وجلست
تحتها بالقرب من إحدى القوافل ، ووجدتهم يتحدثون فأصغيت
إليهم فسمعتهم يقولون فى مثل هذا اليوم ، وفى مثل هذا الوقت ،
إن شاء الله سنكون فى مدينة كوكا فى بلاد برنو ، ففرحت فى
نفسى لأننى وجدت المسافرين إلى بلدنا .

ونحن جالسين أسفل هذه الشجرة نتحدث سمعنا صراخا من
المدينة ، ثم رأينا الناس يخرجون مسرعين ، ولم يمض وقت
قصير حتى رأينا المدينة تنفجر ، ورأينا النار من بعيد تشتعل

فيها ، ونحن جالسين لا أعرف ما يحدث ، ولكننا شعرنا بالخطر ، فقمنا جميعا وتهيأنا للرحيل وركبنا الإبل انتظرنا فوق ظهورها .

ولم ننتظر طويلا بعد الاستعداد حتى رأينا فرقة من الناس بالبنادق ، فتفرقنا ، واتخذ كل منا الطريق الذى يظن أنه سينجيه ، وواصلنا الهرب ، وبادر أكثرنا بالجرى وقصدوا المكان الذى خرجوا منه فى الصحراء ، أما أنا فقد دفعت الجمل للجرى تجاه الفرقة المسلحة ، ومررت بهم مسرعا ، وواصلت الجرى حتى وصلت إلى مدينة كبيرة مملوءة بأشجار الكوكا ، وأمام أحد المنازل أنخت الجمل بعد أن كادت روحى تفارق جسدى.

خرج صاحب المنزل وقال لى " من أين جئت ؟ "

قلت له " من إحدى المدن بعض المحاربين طاردونا "

فقال " لعل هؤلاء الناس من رجال رابح الذين ذهبوا خلف الفرنسيين ، قبضوا عليه وقتلوه . "

كيف وصلت إلى روتا :

ولم أستطع السفر من هذه المدينة ، لأن جملي كان مريضا ، وبعد ستة أيام قضيتها فيها مات ، وبعد موته بيومين توجهت إلى بلدي سيرا على الأقدام ، ومرت الأيام حتى أنزلني الله في روتا مدينتكم هذه ، وهنا علمت أن ماكو قد مات ، ولم يبق لي أقارب أذهب لرؤيتهم ، فمكثت هنا ألقى العلم ، هذا هو سبب حضوري إلى بلدكم .

" الحمد لله ، اللهم أنت المحمود ، أسألك أن تغفر لنا كل ذنوبنا وما سنفعل من ذنوب ، اللهم أذهب عني الحزن وحسد الأعداء ، ونجنا من شر الدنيا والآخرة ... آمين ."

المغنامر

Gandoki

تأليف : الحاج محمدو بللو

مقدمة :

لا شيء جعلنى أكتب هذا الكتاب إلا أن يجد الناس ما يستمتعون بقراءته . ففى كل أنحاء الدنيا ، حيث يوجد المتعلمون لا تتعدم القصص المضحكة والممتعة التى يكتبها الأدباء بلغتهم ، وها هى لغة الهوسا من لغات الدنيا الكبرى وكثير من متكلميها بدأوا الآن يتعلمون القراءة ، ولكن ليس لدينا إلا الحكايات الشعبية المروية ، لذلك رأينا من الأفضل أن نقترح على العلماء محاولة كتابة قصص الهوسا بأنفسهم لفائدة الناس ، وفى الحال استجابوا ، ومن يقرأ هذه القصة سيرا أن الهوسا لم تحرم من كتابة أصحاب اللفظ الجميل والقصص الممتع .

وهذا هو الكتاب الأول الذى وصل إلينا ، وأعدناه وأمرنا بطبعه ، ونعد الآن غيره وسيطبع بإذن الله .

وقد وضع الأستاذ بللو هذه القصة عن المغامر والحروب التى خاضها ، وما كتبه عن حرب كونتا جورا لا شك فيه ، فقد كان ممن نجوا منها ورآها بعينه ، وقد عمد إلى خلط الحقيقة بالخيال .

ولد الأستاذ بللو فى كاجر مداكن تيجنا ، ولكن والده من سكوتو ، وقد دخل الشيخ عثمان سكوتو مع جده ،

ولما استولى الإنجليز على "بيدا" في سنة ١٩٠١ ميلادية، كان بللو في هذا الوقت مدركا للأمور ؛ فقد كان عمره عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة ، وقد عين والده قاضى كاجرا ، وقد تعلم العربية على يده ، ولما أنشأ الإنجليز مدرسة في كانو بعث به إليها ، ولما تخرج منها اشتغل بالتدريس .

ونرجو أن يقتفى الآخرون أثره حتى تعم الكتب النافعة والممتعة أنحاء البلاد .

مكتب الترجمة ، زاريا

مايو سنة ١٩٣٤

لقد خص الله جنطوكى القائد العسكرى بطول العمر وخوض غمار الحروب واقتحام الأخطار ، لذلك تجده فى كل أماكن اللهو المـرح ، وهو لا ينتظر الدعوة لنجدة المستغيث ، فحينما تسمع الهرج والمرج تجده بين الناس لا شىء إلا ليتفرج ويقص ما رأى ، ولذلك يقول الناس له " يا أبا جربا لا تتدخل فيما لا يعنيك " ، ولم يكن حب الكذب من عادته ، فلا يقول إلا ما يراه بعينه أو يحسن سماعه ؛ لذلك لجأ إلى العلماء ليمدوه بالتمائم المختلفة للنجاة من المكروه .

وقضيت حاجته بحصوله على هذه التمام ، لأن كل من حصل عليها ، ينجو من كل المصائب ، حتى لو دقت عظامه فى الهاون ينجو بإذن الله .

وذات يوم جمع الأطفال حوله ، وأخذ يقص عليهم أخبار الحروب التى خاضها جميعاً ، أخبرهم أنه حارب مع الشيخ عثمان بن فوديو فى مدينة الكلوا Alkalawa والوسا Alwasa وتسنسوا Tsuntsuwa وغيرها من

المدن ، وكان من ضمن من ذهبوا مع أمير المؤمنين بللو إلى قبيلة جوارى Gwari في عهد الشيخ عثمان ، وكان مشتركاً في كل الحروب التي خاضها الفلاتا حتى استولى على إمارات الهوسا ، وكان أحد العيون في الحرب الأهلية في مدينة كانو ، والتي أشعلها المعلم خليل في بوتشى .

وعندما خرج عمر نجوامتسا Nagwamatse بجيشه لمحاربة قبائل بساوى Basawa وكامكاو Kamukawa وذكر ضم كـراوى Dakarkarawa وجـواروى Gwarawa كان جنطوكي ضمن جنوده ، وعندما عاد إبراهيم أمير كونتاجورا إلى مدينة جوارى في عهد الأمير برو كان ضمن جنوده ، وهو الذى طارد أمير مرطى Maradi التى استتجد بها الجوارى، وعندما رأوا ألا مفر استسلموا ، وتصادف في هذا الوقت ظهور رابح في بلاد الكانورى حيث أثار الفتنة ؛ فلما وصلتته الأخبار أسرع إلى هناك .

قال الأطفال " عجباً أيها القائد العسكرى ، ولم تمت ؟ ولم تصبك أية مصيبة فى كل هذه المعارك التى خضتها؟".

فهب واقفاً فى زهو وأخذ يقول " أننى البذرة التى تمكث فى التربة حتى العام التالى ! فليعلم الأطفال إننى

المغامر ، كيف يصيبني الهلاك بعد أن نجوت منه ؟ وها أنا أحمل التهمة التي تتقذني من كل الأخطار ، لقد كنت أستعد لمحاربة الجن فما بالكم ببني آدم ؟ إن كل العفاريت المردة في هذه الدنيا قد انتصرت عليهم ، إنني الحديد الذي يفل الحديد ، إنني أبو جربا ! أنا المارد العملاق ، الذي أفرع الناس وهو وليد " .

وهناك ما يفوق هذه المعارك جميعاً ، وهي الحروب التي خضناها مع الأوربيين منذ هبوطهم على الساحل حتى جاءوا إلى الغابات في بلاد اليوربا وبيدا ، وأنا الذي استدرجتهم إلى كونتا جورا ، بمدافعهم الرشاشة والسريعة الطلقات وبنادقهم المختلفة ، ولما رأيت الهزيمة حلت برجالنا تركتهم وذهبت إلى بلاد الهند حيث خضت المعارك في صفوف الجن " .

وعندما سمع الأطفال ذلك ألحوا عليه ، حتى يقص عليهم الحروب التي خاضها ضد الإنجليز ، والمعارك التي قادها في صفوف الجن ، فقد كانت أمنية أي طفل أن يسمع أخبار السنين الماضية .

قال " حقاً ، ولكن هذه الأخبار سبق أن قرأتوها في كتب التاريخ " .

قالوا " ومع ذلك ليست كما ترويها لنا ، لأنك شاهدت هذه الحروب بنفسك ، وعرفت كل صغيرة وكبيرة فيها ،

تعرف بدايتها وتعرف نهايتها ، وأنت تعرف ما يأتي في الكتب من أخبار ، وتعرف الأخبار التي نحب أن نسمعها ، وليضحك الكبار أيضاً وتملاً النشوة قلوبهم ، ومهما قص الناس هذه الأخبار فلن يقصوها مثلك ، ولن يقصوا علينا كل شيء كما نريد ، ونحن لا نريد أخباراً تاريخية ، ولكن نريد ما يضحكنا .

قال " وهو كذلك لقد أعطيتكم القوس للصيد الماهر ، وسألتكم من يجيد الرد الشافى ، فليصغ كل منكم إلىّ لسمع ما يشتهى من الأخبار " .

الأخبار التي رواها جنطوكى القائد العسكرى:

نبدأ باسم الله ، ونضلى على أفضل الخلق ، ونسأل الله أن يقبض روحنا على الدين الإسلامى والإيمان، آمين ؛ برحمته التى وسعت كل إنسان ، وليس بفضل عملنا ، ويجعلنا فى حماية نبيه يوم القيامة ، ببركة شيخنا أحمد التيجانى " رضى الله عنه ، آمين " ويعفو عما فعلنا من آثام ، وما سنفعل ، بدرجة أصحاب الدرجات ، آمين، تسمعون منذ نشأتكم أنه يوجد بعض الناس يخرجون من الماء ، يكتبون بلعاب فمهم ، وإذا تكلموا يتصاعد الدخان من فمهم ، لا يأكلون إلا البيض ، لهم أربعة عيون، سيأتون للسيطرة على هذه الدنيا كلها ، وقد صار هذا الكلام كقصة شبيهة بما يذكره السمار بالليل . ومرت الأيام حتى تجاوزتم السابعة وأصبح هذا الأمر حقيقة. التجار القادمون من بلاد الغابات يخبروننا أن الإنجليز يحاربون الوثنيين فى بلاد اليوروبا ، ولا يستطيع أحد الخروج من هذه البلاد أو الدخول إليها .

فلما سمعنا ذلك أخذنا نتهيا فى شمال نيجيريا لملاقاتهم، فأعدنا السموم للحراب ، والأسلحة والدروع

وحوامل الذخيرة ، والتمائم التي تعلق في الذراع ، وسألنا الله أن يأتي بهم إلينا لأننا شعرنا أن لدينا البنادق والحراب والسهام الملوثة بالسهم الدفين الذي يقضى على ذريتهم . والفرسان الذين لو أضرمت النيران وطلب منهم خوضها ما تخلفوا للفنك بالعدو ، واتباع أوامر قادتهم ، إلى جانب فرساننا المشهورين مثل مالم حسن وابنه، جمفي Jimfi في كوناجورا ، ومداكن ثيجنا في كاجرا ، وبونا الذي ينظر لعدوه نظرة احتقار في باقو Bako وقور هسو Kaura Hasau في مرطى ، وطنويرى في كتسينا ، وحرمى في كانو ، وأحمدو في دمجرم ، وكنشلا في برنو ، وتجوى دوتسى في ززو ، وميتورارى في سكوتو ، وبرو في مدينة جوارى ، ومجى ابن ياموسفى كفى ، وسما في أرجنجو ، وطنياى في ننجى ، اتحدوا جميعا مع ماكو Makau رئيس قبيلة نوفى . وهم كثيرون لا يخشون أحداً، إذا حمى الوطيس ، انظر مثلاً ابن أمير روما ابن طنويرى الذى ضرب بالسهم فى عينه ، فوقف أبوه وطلب أن ينتزع منه السهم ، وإذا دمعت عينه سيقطع رأسه ، فليس ابنه ، وقد حدث فعلاً ولم يغمض له جفن ، وكذلك مداكى كنباقو أيضاً في كاجرا ، الذى طعن بالسهم فى قدمه ، وحاولوا انتزاع السهم فلم يستطيعوا فلواه وانتزعه ثم وضع رجله فى الركاب ونزل من فوق

ظهر الحصان وهو يردد المثل الهوسوى " الرجال
يتشابهون فى الملامح ويختلفون فى الطباع " .

لقد سمعنا أن الإنجليز ظلوا يحاربون الوثنيين فى بلاد
اليوروبا سنين طوال ، يعانون من القتال مع نسايتهم فقط ،
فلما سمعنا هذه الأخبار قوت عزيمتنا ، وتحفزنا لملاقاتهم
إذا دفعهم الله إلينا ، حتى مل أطفالنا والمداحون انتظارهم،
فنظموا فيهم شعراً يقولون " لقد تأخر النصارى ولم يأتوا،
أين هم النصارى ، وأين جنودهم ؟ " وأخذوا يرقصون
رقصة الشباب ويضربون الأرض بالعصا لشدة سرورهم
وانتظار وصولهم . وللأسف لم يعرفوا أن وصولهم أمر
وهزيمتهم أمر آخر ، لأنى شاهدت حروبهم مع بعضهم ،
وأعرف كيف يحاربون ، ولا أدرى ما يخفون ، ولم أر
إلا الهجرة والنزوح بسبب الخوف والجوع ، الهجرة التى
لا رجعة بعدها ، والفرار فى ظلام الليل كما قلت لهم " ما
شأن جنطوجى لو طحنت عظامى فى الهاون ، سأنجو
منهم بإذن الله .

وبعد قليل ونحن فى كونتا جورا ، سمعنا أن الأوربيين
استولوا على بيدا بالحرب ، وكان أميرها أبو بكر ، الذى
كان الناس يمدحونه بقولهم " أبو بكر قاتل الأوربيين "
كان من أبناء مسبا Masaba ، وله شهرة واسعة فى

مجال الحرب والكرم ، حتى صار ما يمدح به أمراء الهوسل

عندما نزل الأوربيون بيذا وجدوا كثيراً من المحاربين ببنادقهم الكثيرة، ولم يجدوا ماكو الذى ذهب مع بعض ، رجاله الشجعان إلى إحدى البلاد المجاورة ، فلما سمعت ذلك قلت لن أدع هذه الفرصة تفوتنى ، فحملت أدوات القتال ثم توجهت إلى هناك ، وتركت نسائى وابنى جربا جاجرى وفرستى الشهباء وبقاى مـ 'عى فى المنزل ، واتخذت طريقى ولم أتوقف إلا فى بيذا، وقبل أن نصل إلى ليبين Lepene قابلنا شقيق الأمير الأصغر فى سكبي Sakpe وواصلنا معا ، ومكثنا ثلاثة أيام نقاتلهم ، ولما أدركنا أن جنودنا على وشك الهزيمة ، عدنا وأخبرنا الأمير ، ولكنى قلت فى نفسى " هذا أمر خطير " .

ثم أعد التوفاويون العدة لقتالهم ، وتخلف الأمير أبو بكر فى قصره فترة يدعو لهم بالنصر، فلما انتهى أعد أدوات القتال وحمل التمام ، وخرج وامتطى ظهر حصانه وكأنه الأسد لما وهبه الله من هيبة وجمال .

وجاء أحد خدم الأمير بحصانه يعدو ، وركع أمام الأمير وحيّاه قائلاً أطال الله حياتك، لقد هزم رجالنا، إذا لم تخرج إليهم حالاً ستدور الدائرة عليهم ، إنى تركتهم وحواجبهم ترتعد، وعروق جباههم منتفخة من شدة

الغضب والحماس ، فقصده ميدان القتال ، ونزل فى
العراء ، وجلس وأخذ ينتظر على أحر من الجمر أن
يستقره الأعداء ، حتى أخذت الطلقات من بنادق العدو
تنهمر فوق رأسه كالمطر ، فلم يلهه كل ذلك عن تحريك
حبات مسبحته بأنامله ذاكرًا الله ، حتى إذا تكاثر الرماد
والأتربة على ثيابه مد يديه ونفضها من فوق قميصه ،
دون أن يصيبه أذى .

وبعد ذلك أمر جنوده أن يركعوا ويطلقوا النار من
بنادقهم ، حتى عظم الغبار وارتفع إلى السماء ، وهاج
الناس ومأجوا ، واستشهد كثير من الجنود فى هذه
المعركة ، وقتل فيها سابو بن مالك وبشارو بن على جندى
وكثير غيرهما .

ولما حمى الوطيس قال أبدا ما سينجا Ubda
Masinja للأمير إذا لم تتسحب من المعركة سيفنى
رجالك .

ولما قام لم يدخل المدينة بل طاف حولها وتوجه إلى
ليمو Lemu ، استسلمت المدينة ، ونجا كل إنسان بنفسه ،
ولما انقشع غبار الحرب ذهبوا إلى أبى بكر أمير نوفى
يخبرونه بانتهاء القتال .

وعاد أبو بكر أمير نوفي ووقعت اتفاقية ، وذات يوم دخل أحد الأوربيين على الأمير دون إذنه ، فأمرني الأمير أن أقطع عنقه بالسيف ، فأثار هذا الحادث الفتنة ، فقلت " لا أبالي ، ما شأن جنطوكي " ، ولما أدرك الأمير سوء عمله ، وأنه بمثابة نقض الاتفاق ، خرج وقصد لافيا ومنها إلى كفي Kafi ، وهو في حيرة ورعب .

وسمع أن الأوربيين طردوا إبراهيم ، وأنه الآن يقيم في ززو Zazzau ، ومن هناك قصد إلى زاريا والتقى به في قاي Kaya ، وأكرمه كواسو Kwasau أمير زاريا كثيراً قبل أن يغادر المدينة ، وعندما وصل إلى مسكا Masaka نزل في حى ياكوروتاوا Yakurutawa ، ولم يتوجه إلى ميدان القتال .

وبعد أن غادر الأمير أبو بكر بيذا عيّن محمد ماكو أميراً لنوفي ووقع الصلح مع الأوربيين ، فقد جاءوا به من إحدى البلاد المجاورة حيث كان يقود الحرب ، وعاد الناس إلى ما كانوا فيه ، وأخذ كل منهم ينعم بالحياة الهادئة ، لن يستطيعوا القبض عليه ، وهكذا انتهى الأمر .

بعد ذلك غادر الأوربيون بيذا قاصدين كونتا جورا Kwantagora لقد صارت المنقطة ملجأ للمجرمين الذين جاء بهم طيشهم إلى بلادنا ، ولقد سررت بتحركهم إلى مدينتنا ، فتكرت وتبعنا جنودهم ومعى خادمي إندا غانا

الذى التحق بخدمتى فى بيىدا ، وواصلنا السير حتى
وشيشى Wushishi ، وأكرم محمد قاضى وشيشى
وفادة الأوربيين (لأن أمير وشيشى إبراهيم بن موديو
كان فى كونتا جورا) وقد توجه كبار رجال المدينة إلى
مجى دودو Magaji Dodo بن تيطو ونصحوه بالآ
يقدم للأوربيين شربة ماء ، ولكن القاضى كان يؤثر عدم
إثارة المشاكل .

وكان رأى القاضى أن العدو الذى لا نقدر على
مواجهته يجب مهادنته ، فقلت له إننى أشعر بشعورك،
ولكن لابد أن نقاتلهم .

ولما طلع النهار طلبوا رجالاً يحملون لهم متاعهم ،
فأثار هذا حفيظة سكان وشيشى ، وفى المساء تسالت إلى
منزل القاضى ، وناديت عليه فخرج ، وهو لا يرتدى إلا
الحرام (لشدة الحرارة فى غرب أفريقيا يخلع الرجل
ملابسه أمامنا ويلف جسمه بملاءة كالحرام) فأمسكه إندا
غانا وقطعنا رأسه ، وتوجهت إلى الأمير وأخبرته بكل ما
حدث وقدمت إليه رأس القاضى هدية .

قال "إننى أحبك ، أحسنت صنعا ، إن جنونك كثيراً ما
يفيد " فقلت "إنه يفيدنى ويفيدك " .

وفى الصباح علم الأورييون بما حدث للقاضى ،
فغضبوا أشد الغضب لهذا الأمر الذى أساءهم .

ولما أقبل الليل أضاءوا مصباحاً ذا لون باهر ، تتبععت
من ضوئه ألوان مختلفة ، ولما رأى السكان المصباح
أصابهم الرعب وفروا إلى أوجو Ygu وتيجنا Tegna
وكاجرا باحثين عن الأمان حول كونتا جورا ، وقد
أشعلت هذه الفتنة جرمى بن جارا Jarmi Dan Gara
حاكم أوجو .

وقال جربى إنه لن يتحرك إن لم ير كونتا جورا قد
استولى عليها الأورييون وعاش السكان فى رعب ، وبعد
أن أحرقت المدينة ، عاد سكان أوجو فى الصباح وأزالوا
الأنقاض وأقاموا فى المدينة ، ولكنهم لم يفكوا أمتعتهم ،
وهكذا استمر الحال فترة طويلة ، وقد عاش جيرانهم فى
مدينتى تيجنا وكاجرا فى رعب شديد .

وأخيراً جمع أمير السودان رجاله وشاورهم فيما إذا
كان يحارب الأورييين أم لا ، وإذا كانوا قد جاءوا للقبض
عليه وأخذه أسيراً فما هو ذا حتى تعيش البلاد فى سلام لا
يهلك الناس .

وهنا وقفت قائلاً " لن يكون هذا " ووافقنى طنجلادىما
بووايى Dan GaladimaBuwaye وأبندومى

Ubandome وباقي الأمراء ؛ فقالوا جميعاً " لن يكون هذا ، أطال الله حياة الأمير ، لا بد أن نفعل كما قال جنطوكي ، لا بد أن نواصل القتال ، إن السودان جميعاً يرهبنا ثم يأتي الأوربيون ويقبضون عليك ، كالمرأة ونحن أحفاد الشيخ عثمان بن فوديو الأقربين ، ويقول الناس عنا إننا استسلمنا من أجل الصلح ولم نقاتل قتالاً مريراً ، ولا ندع لأبنائنا ما يفخرون به ، لن نستسلم ولن نترك العار لأبنائنا من بعدنا إلى الأبد .

قال الأمير " وهو كذلك ، لقد قلت هذا القول لأبلوكم ، وأعرف ما تفكرون فيه وما رأيكم ، نسأل الله أن يأتي بهم لنسومهم مر العذاب .

وفي اليوم الثالث بعث الأوربيون ثلاثة رجال إلى الأمير ، وفي طرفة عين قطعت رأس اثنين منهم بسيفي واويلو قبل أن أستمع إلى رسالتهم ، وطلبت من الثالث أن يعود ويحمل الخير إلى الأوربيين ، وأخبرته أنني جنطوكي والد جربا القائد العسكري لجيش المسلمين الذي لا يقهر .

وأخذ الرجال يعدون العدة للقتال من دروع ، وخوذات حديدية وبنادق وسيوف وسهام ... ولشدة حماسي واستعداد كل من تلقاه من الرجال يخيل لك أنهم يستعدون ليوم العيد ، أو حفل هام ، ولم يكن إلا شوقاً للشهادة .

وفى يوم الخميس بعثوا برسولين آخرين ، فقال لى
الأمير " لا تقتلها ، لا يقتل الرسول ، ولكن دعهم
ليعودوا ويخبروهم أننا على استعداد للقاءهم ، وكان كل
من ينظر إلى وجه الأمير يشعر أنه مستعد لقتالهم حتى
الموت ، بدأ جنودنا يخرجون إلى بوابة نجوارجى
Nagwarji منذ يوم السبت .

وفى يوم الأحد العاشر من شهر شوال ، التقى الفريقان
وأخذ كل منهما يتبادل الكر والفر ، وكان كل من يرانى
فى هذه المعركة يدرك أنه لا مثيل لى فى هذا الزمان ،
وكان ابنى الكبير جربا يقتفى أثرى حينما سرت ، حتى
أخذ الناس بمدحونه قائلين " جربا رجل الرجال ، لم
يكتسب الشجاعة ولكن ورثها ، حينئذ طلبت من أليارا
Aliyara قائد المشاة أن يصطف الجنود فلما اصطفوا
أطلقوا بنادقهم فملأت السماء بالدخان ، وصمت الأذان من
شدة صوت البنادق التى انطلقت من كل مكان ، وصارت
كعاصفة غير مطرة ، فتسالت إلى صفوف الأعداء ،
وأخذت أحصد رقابهم وأنا أنشد أنشودتى المحببة "من الذى
لا يعرف المغامر والد جربا ، أنا الأسود خدام الأمير ،
قل للرجال إننى جنطوكى " .

وأثناء هذه المعركة قتل جلادىما بجيلى Mujaili وميجرى جبودبىى Mai Gari Gwadabe وكثير غيرهما، ولولا أن الله قد كتب لى الحياة لقتلت فى هذه المعركة ، وكان ميجرى جودبى قد توضأ وصلى قبل أن يخرج من منزله وسأل أهله المغفرة ، وودعهم قائلاً " أسأل الله أن يجمعنا فى دار السلام "وسبب ذلك أن الناس أشاعوا عنه منذ البداية أنه جبان ويستعد للفرار مع أولاده خوفاً من لقاء العدو لأنهم لم يسمعوا كلمة منه حينما استشارهم الأمير فى أمر الحرب ، ولكنهم لم يحسوا بما يضمن فى نفسه.

ولم يهزم الجاموا ساوا إلا المدافع الرشاشة التى أطلقتها عليهم ، وكان الفرسان يحاولون التقدم ، ولكن الخيول كانت تتراجع خوفاً من أصوات المدافع ، التى لم تسمعها من قبل ، فلما أدركت ذلك غضبت ونزلت من فوق ظهر الحصان ، وأخذت درعى وهجمت عليهم وأخذت الخسائر تنهال فى هذه المعركة ،حتى أخذت الخيول تشب على رجليها الخلفيتين وتوقع فرسانها ، اللهم قنا من رؤية هذه المناظر المؤلمة ، وسماع هذه الأخبار السيئة، آمين .

ونزل أمير السودان وجلس القرفصاء ، غضبان أسفاً ،
لا يحركه شيء ، وكلما هجم عليه الأعداء نهرهم جميعاً ،
المعتدى والمعتدى عليه فيفر الجميع .

وعندما يئس الأمراء من النصر وبعد أن ازدادت
الخسائر في الجنود قالوا للأمير " أطال الله حياتك ، إن
المعركة التي لا تستطيع كسبها الأفضل الانسحاب منها " .

حاولوا كثيراً إقناعه بالانسحاب من المعركة ولكنه
رفض ، فذهبت إليه وقلت له " أطال الله حياة الأمير " خير
من الفرار نحاول مرة أخرى .

قال " لن أخالفك في هذا الأمر " وقبل أن يقوم هداهم
الله إلى حيلة ، فأمرُوا أن يغلق قصره ، والباب الذي
 سيدخل منه ، لأنهم يعلمون أنه إذا سبقتهم دخل المدينة
سيتمجه إلى قصره ، ولن يخرج منه أبداً ، وسيكون موته
مؤكدًا وحتى لا يحدث ذلك فكروا في الحيلة التالية .

عندما ركب وقصد المدينة وجد باب المدينة مغلقاً ،
فقال " لا حول ولا قوة إلا بالله " إن الأمراء الذين أمرُوا
بذلك خدعوني ، وأدار حصانه وطاف حول المدينة ،
وفي الحال اشتعلت الحرب في المدينة !! لا حول ولا قوة
إلا بالله ، فعال لما يريد ، لقد سيطر الرعب على المعركة
وأخذنا نقتل بعضنا البعض لشدة ما أصاب المكان من
اضطراب وأخذ الجبان ينجو بنفسه ، وأخذ الكبار

والصغار يفرون إلى الغابات زرافات كأنهم الجراد ،
يعانون من الظما والجوع ومشقات السير في الغابة ،
يسرون حفاة فيما تثيره الخيول من غبار ، وحرارة
الشمس المحرقة وما تكبدوه من خسائر أثناء فرارهم فاق
ما تكبدوه أثناء المعركة .

سرنا في الطريق وجعلت زوجتي في المقدمة يليها
ابني جربا جاجرى ، وفرستي الشهباء ، وخادمي إندا غانا ،
ولم أر في هذا اليوم من لم يملكه الغضب إلا أحد
المجانين الذي كان يسمى كواسو أمير الحرب ، فقد كان
يجرى ويقلد الفارس فوق ظهر حصانه ، كان يتمنطق
بخرق بالية ، ويعلق قرعة الماء وتميمة في ذراعه ، ولم
يأبه بما حوله .

وبعد ذلك اجتمع سكان وشيشي وأوجو وكاجرا مع
الأمير في غابة وشيبا ، لقد كان هذا الفرار أمراً محتملاً
علينا ، حتى أهل البلاد الأصليين كانوا بين الفارين ؛
لذلك كان وثنيو أنجوى يسخرون منا ويطلبون ويرقصون
قائلين " يجرون بمتاعهم فراراً من النصارى " لقد أضنى
هذا الفرار أشجع الشجعان ، وقد جريت معهم حتى تعبت ،
وعانيت من الظما والجوع ، حتى سقطت فاغرا فمى ..

وأثناء الليل لدغ الثعبان خادمي إندا غانا فوضعتة على
ظهر الفرس وسحبها جربا جاجرى ، وكانت زوجتي

تركب خلفها طفلها الرضيع ، وربط الثلاثة فوق ظهر
الفرس بشال العمامة خشبية سقوطهم أثناء النزول إلى
النهر ، أو أثناء النعاس في الليل .

وكان جربا جاجرى يعلق في كتفه قرعة الماء ، بينما
يعلق إندا غانا قرعة الحبوب التي نتخذ منها طعاماً في
مقدمة السرج ، وكان كلما أخذ بيده حفتين من الحبوب
ليأكلها قدم لمن خلفه حفنة واحدة - لعن الله الشخص
الأناني ، الذي لم يرحم المرأة العجوز - حتى لاحظ
جربا جاجرى ذلك ، فكان إذا أحس بالظماً يضايقهم ، قدم
لهم الماء ليبلوا ظمأهم ، وإذا انتهى الماء قبل أن يجدوا
ماء آخر ، أخذ يبحث لهم جربا عن ورق الكلجو
فيمضغونه ، حتى يسيل لعابهم .

وفي الطريق رأينا امرأة تربط رجليها بالخيط التي
تربط بها شعرها حتى صارت كالحذاء ، وأخرى تسقط
فاغرة فاها وهي على وشك الموت ظمأ وجوعاً في حالة
إغماء هي وطفلها ؛ بعض الرجال يفترقون عن عائلاتهم
ولا يعرف كل منهم مصير الآخر ، نسأل الله أن يقي كل
مسلم من شر الفتنة والحزن في الدنيا والآخرة ، آمين .

وبينما كنا معسكرين في الليل فارت هذه المرأة
الحياة ، وأخذ الدود والصيد يخرج من رجل إندا غانا
التي لدغها الثعبان بعد أن ازدادت سوءاً . وفي الصباح

وضعت عائلتى على ظهر الفرس وربطتهم ، وسلمت
الزمام لجربا جاجرى ، وأخذ الخادم يترنح من شدة الألم
حتى كاد الجميع يسقط من فوق ظهر الفرس ، وأخذت
الرائحة الكريهة تخرج من ضمادات الجرح المهلهلة
والملوثة بالصدید ، وفجأة نفذ الماء فسلمت زمام الفرس
للخادم المريض ، وذهب جربا جاجرى إلى الغابة ليبحث
عن الماء.

لم أعد إليهم إلا فى المساء ، فوجدتهم جالسين على
شاطئ النهر يحدقون بأعينهم ، فلما أدركت اليأس على
وجوههم سألتهم ، فقال إندا غانا " لقد نزلنا إلى النهر ،
ولما شددت زمام الفرس لنصعد إلى المرتفعات سقطنا
جميعاً فى الماء ، وقد شاء الله أن تقع المرأة العجوز فى
ناحية وأنا فى ناحية أخرى ، فأنفجر فى البكاء والنحيب .
ولم يسمع لنا صوت إلا الله لخلو المكان من العابرين .
وحاول كل منا الصعود ، حينئذ تذكرت أنني رجل ، فقممت
وأمسكت الفرس وصعدت بها وربطتها فى شجرة
وجلست ، وجمعت العجوز متاعها وجلست عليه ، أظلمت
الدنيا فى عيوننا وأخذ كل منا يلوم الآخر ، ولم يستطيع
أحد منا الحركة حتى جئت إلينا " .

ونحن على هذا الحال وصل جربا جاجرى حاملاً
القرعة مملوءة بالماء ؛ فغمرنا السرور وفغر كل منا فمه

وكأنه سيلتهمه ، إنه رجل يساوى عشرة رجال ، عظيم
ابن عظيم ! وبعد أن شربنا الماء هدأت نفوسنا ، فحملتهم
على الفرس وأمسكت الزمام وواصلنا المسير .

واصلنا السير حتى وصلنا إلى مدينة جوارى ، ولأننى
قائد عسكري ذهبت إلى قصر الأمير بنفسى وقلت له "
أطال الله حياتك ، إننا فارون ، الأوربيون يتتبعوننا مع
برو Barau أمير جوارى وأنت تعلم ما بيننا وبينه ، ولم
يبق بيننا إلا مرغما وبالقوة ، ومعروف بين الشجعان ،
وقديماً قالوا إن الضرورة هى التى تجعل الإنسان يهادن
عدوه ، وهى وحدها التى جعلته يبقى بيننا ، ونخشى أن
نطلق سراحه فيذهب إلى مدينة جوارى فيجمع منها
الرماة، وينتقم لما فعلناه به فنقع فى حيرة من أمرنا
ونكون كمن وقع بين الذئب والنمر أو بين شقى الرحى ،
فيهلك بعضنا بعض .

قال الأمير " وهو كذلك يا جنطوكى وما الحيلة الآن ؟"
قلت " الأمر بيدك ، أنت تعرف ما ينبغى أن نفعله،
وما على الرسول إلا البلاغ المبين، لقد تركت لك الأمر
فأنت اللحم وأنت والسكين " .

قال " اذهب وأتىنى به "

وفى الحال أخذت بعض الفرسان ، وذهبنا إليه ، فوجدناه يصلى العصر ، فأمرت أن يحيطوا به وينهالوا عليه ضرباً وطعنًا ، ولكن لم يؤثر فيه شيء من هذا ، فهجمت عليه وأمسكت عنقه ولويته بقوة شديدة قائلاً : "إذا كنت تعرف شيئاً فقد غابت عنك أشياء ، إننى جنطوكى الأسود ، خادم الأمير !"

ولما عدنا وأخبرنا الأمير ثار غاضباً لأنه لم يأمرنا ، وقال " لا أحد يفعل هذا إلا أنت يا جنطوكى هكذا تفكيرك دائماً ، لا تفعل الأمر كما ينبغى " .

وقال بعض الناس ممن لا يدركون الأمور ، إن أهل جوارى بعثوا إلى أمير السودان بكل شيء عن أحول برو ، لأنهم يريدون الخلاص منه والنجاة بأنفسهم ، حتى لا يدخل المدينة ويثير فيها الفتنة ، ويصير مصدر الفتن لهم ؛ لذلك دبروا هذه المكيدة له ، ولكنهم يخطئون خبط عشواء ولم يكن الأمر كذلك ، نسأل الله أن يتوفانا على الإيمان مسلمين لله على كل حال !!

وهكذا قضينا يوماً فى الطريق وسط الغابة لا نذوق طعاماً ، إلا عندما نخط الرحال ويذهب الفرسان السلب والنهب ، كان بعضهم يحرق القرية وينهب ما فيها ويبيعون ما سلبوا من حاصلاتهم الزراعيّة ، وكان البعض يتمكن من الفرار فيذهب المغيرون إلى منازلهم

ويفتشونها، حيث يجدون بعض الدقيق وبقايا الثريد الذى صنع فى اليوم السابق ، فيحملونه إلى أهلهم ليأكلوه .

وهكذا حتى وصلنا إلى فاتيكا ونزلنا فيها ، وكانت مشتلة بالحرب ، وكانت تحت إمرة الأمير الفولانى

محمد تكنير جوارى Muhammadu Tukunyar

Gwari وقد نهب جيرانهم تمامًا ، وأثرنا الاضطراب فى مدينة ززو ، مما أثار غضبة أهلها ، لأنهم لم يعرفوا ما ستسفر عنه الأمور ، وأخذ أميرها كواسو Kwasau يدفع بجنوده المزودين بالبنادق إلى فاتيكا ، وتصديك لكل من يريد بك الضرر حلال فى نظر الشريعة الإسلامية ، وواجب على كل جائع أن يبحث عما يشبع به معدته هكذا حكم الله .

وأصبح الظاهر أن الحرب مع فاتيكا ، ولكن الواقع أنه كان مع أهل ززو ، ولا شك فى ذلك ، وكان لكل أمير من أمراء كونتا جورا يحطم بقصر فى ززو يعده للإقامة فيه لأى سبب من الأسباب ، فقال أهل ززو " اتركوهم مطرودين ، إنهم لم يصنعوا شيئاً طيباً يدافعون عنه " ولا تجرى فى عروقهم دماء الشيخ عثمان ، ولم نسمع أنهم حاربوا تحت رايته فكفانا الله شرهم .

وبعد هذا القول أنزل الله البلاء فى معسكرهم ، فأصيبوا بوباء الجدرى ، وصارت القبور فى كل مكان

كانها خطوط اليام (يدفن الموتى فى نيجيريا كما يدفنون فى المملكة العربية السعودية وتكون القبور على هيئة خطوط كالتى تعد لزراعة القطن أو اليام) ، ولولا أن الله أراد أن يبقى على بعض خلقه ما بقى أحد منهم فى المعسكر ، فقد أصيب الشباب بالجدرى ولكن الله ، نجلهم.

كنا نعيش سبعة فى كوخ واحد نعانى من البرد والجوع ولا يسأل الأخ أخاه فى أمر الله ، وكان كل من نجا من هذا الوباء يدرك أن الله هو الشافى ، وأن له وحده الحمد والشكر ، نسأل الله أن ينجينا من كل الفتن ، ويتوفانا على الإيمان ، آمين .

ولما إشتد الأمر غادرنا المدينة وتوجهنا إلى قاي ، وإذا بالحرب قد اشتعلت فيها هى الأخرى ، لقد وقعنا بين شقى الرحا ، وصرنا كمن يفر من الأرض السهلة إلى الأرض الوعرة ، فقد هاجمهم الأوربيون كذلك ، وقد خسر توكرى أمير بكن قايأ خسارة كبيرة فى هذه الحرب . وكان الناس يقولون إذ توسطت الشمس السماء ، تسمع الجن يزغردون فى المدينة ابتهاجاً بالحرب ، ولما أدرك مسك خليل ذلك عمل بالمثل القائل " انج سعد فقد هلك سعيد " أو المثل الهوسوى " إذا رأيت النار قد اشتعلت فى لحية أخيك ، فصب الماء على لحيتك " كما كان الجو

متساوا Gwamutsawa فى حيرة من أمرهم ولم يكن لديهم قائد يقودهم إلى الطريق القويم .

ونحن على هذا الحال من الارتباك ، إذ بالأوربيين يصلون ، فكانوا كالسيل الغزير الذى يحطم البنيان ، ولما اشتد الأمر ، ولم يعد هناك مفر جاءوا وقبضوا على أمير السودان وتركوا الناس بلا قائد يقودهم كالأفراخ الصغار التى فقدت أمها ، فذهبوا إلى مدينة كانو وكتسينا ، وعاد بعضهم إلى كونتا جورا إلى الأبد ، وأثناء هذا الشتات ازداد الأمر سوءاً وصار مثيرو الفتنة كالسمك الكبير الذى يلتهم الصغير يعيشون فى الأرض فساداً دون عقاب ، ووقع الضعيف فى حيرة وارتباك ، فقلت " ما شأن جنطوكى فى ذلك ، إن كل ما يفخر به الإنسان من أصل ومهارة فى الحرب لا ينقصنى " ، ووصل الأمر إلى أن يخرج الرجل بجاريته التى لا ابن لها ، ويبيعها فى سوق الرقيق ويشترى بثمنها ما يقتات به باقى الجوارى ، وإذا انتهى ثمنها جاء الدور على جارية أخرى ، وقانا الله من شر هذا البلاء .

وحاول الأوربيون أن يجمعوا الفارين ويعيدوهم إلى موطنهم قائلين " لن تنشب الحرب بعد ذلك ، لقد كنا نريد القبض على الأمير فقط " ، أما من تولوا المناصب فى كونتا جورا فقد عادوا إلى مناصبهم واستقروا فيها ،

وعاش البعض فى مسكا Masaka أو بكورى Bakori
أو روجو Rogo أو جونجـون Gwangwan أو
ملمفاشى Malumfashi أو كتما Kutama أو جورزو
Gwarzo وكثير منهم فى مدينة كانو وكتسينا فيما عدا
مدينة ززو ، لأن الحرب كانت دائرة فيها .

وقد طلب بللو الشقيق الأصغر للأمير بعض الجنود
ليتجه بهم إلى كتسينا ثم إلى كوتر كوتشى وأبرما
Abrama حيث بايعوه هناك ، وعينوه أميراً ، لذلك كان
يقال " بللو أمير أبرما" ، ومن هناك ذهب برجاله إلى
موطنه.

وفى وشيشى عين عمر بن إبراهيم أمير وشيشى
أميراً ، لأن والده اتبع أمير السودان عند القبض عليه فى
قاي ، وكان عمر فى هذا الوقت طفلاً صغيراً ، فجاءوا
به ونصبوه أميراً ، وعندما هم أمير السودان بالقيام
برحلته قال أمير وشيشى إنه لن يترك الشقيق الأصغر
لوالده يذهب وحده ، ولا بد أن يذهباً معاً ، وليكن قدرهما
واحداً ، وحاول الأمير منعه من مرافقته ولكنه أبى ؛ فلما
وصلوا إلى ززو ، جاء أميرها كواسو Kwasau واستقبل
أمير السودان ، ثم عاتبه عما فعله فى إمارته ، فذهب أمير
السودان كالأسد ، فتدخل ميجمنا Maijigna قائلاً " ما

هكذا يفعل الكبار " فأخذوا يهدئون من روع أمير السودان حتى هدأ .

وواصل الأوربيون السير إلى يولى وأخذوا أمير السودان معهم ، وأثناء هذه الرحلة عانوا كثيراً من غضبه والأمور العجيبة والخرقة للعادة التي كان يأتي بها ؛ فكانوا إذا سجنوه في كوخ من الصباح وأغلقوا عليه الباب ، يرونه فجأة خارج الكوخ يصلى ، والباب مغلق كما كان يحرسه الجنود والشرطة ، وإذا ذهبوا إلى النهر وهموا بعبوره ، يرفض ركوب المركب ، فيركبون ويتركونه على الشاطئ فإذا وصلوا إلى الشاطئ المقابل وجدوه في انتظارهم ، وإذا غضب أخرج لسانه ولفه حول رأسه كالعمامة ، أو يمد رجله فتصل إلى حائط الحجرة التي يجلس فيها ، وإذا خفت ثورته أعاد رجله إلى حالتها فتصير كرجله الأخرى ، أو يستدعى الطيور من الغابة فيمسكها ويلعب معها ، وإذا تعب من اللعب أطلق سراحها فتطير لشأنها ، فلما أعييتهم حيله وأعماله الخارقة كتموا السر في قلوبهم وأعادوه إلى موطنه وولوه السلطة مرغمين .

هكذا خص الله أمير السودان بالثروة والنصر منذ نشأته ؛ فهو لا يخشى ما يخشاه الناس جميعاً ، ويركب الصعب الذي يفر منه جميع الناس ، وفي الخير والصبر

لا حدود له كالأرض الطيبة ، وفى الشجاعة كأنه عنتره ، منذ أن خلقنى الله لم أر أبداً أميراً متواضعاً مثله ، ينتصر دائماً على أعدائه ، إذا رأيته يركب الحصان قام بالعباب بهلوانية لا يصدقها إلا من يراها بعينه ، ويستوى فى ذلك أى حصان يركبه ، وأعجب ما فى الأمر ما يراه الإنسان إذا غضب أو ضاق صدره بعدوه فىأخذ درعه ورمحه وثيابه الحربية وخوذته الحديدية ، ويهجم عليهم ، فإذا رأيته يحصد الرؤوس ظننت أنه ليس إنساناً ، وإنما عفريت من الجن ، ولم يصل إلى هذه الدرجة إلا ببركة والديه وأجداده ؛ لأنه ليس بينه وبين الشيخ عثمان بن فوديو إلا جدين اثنين فقط .

قلت " لقد رأيت كيف انتهت الحرب مع هؤلاء ، وعلى أن أبحث عن حروب الجن حتى يعلم الخلق جميعاً أموى".

وبينما كنت أتجول فى مدينة كتسينا قلت لخادمى إندا غانا " الأفضل لى أن أذهب الآن إلى سكوتو لزيارة أقاربى المقيمين هناك وقبر الشيخ عثمان بن فوديو "؛ فقال "لا ، لن أذهب "

وبينما كنت أستعد للرحيل سمعت أن الحرب اشتعلت فى سكوتو ، فقد أصابها ما أصاب البلاد الأخرى، وأن أمير المؤمنين عزم على الذهاب إلى حج بيت الله الحرام،

ولا فائدة من البقاء فى هذه البلاد ، وقلت لإندا غانا :
الأفضل أن نتبع القوافل المتجهة إلى حج البيت، لأنه ليس
لنا حرفة إلا القتال ، وقد كسدت حرفتنا فى هذه البلاد ،
ولكن الخادم أصر على الذهاب إلى زاريا حتى يلتحق
بجيش الأوربيين فى غانا .

لم يدهشنى هذا منه لأنه فارق والديه من زمن طويل
وهو غلام صغير ، واعتاد الفواحش والأخلاق السيئة ،
ولن يصلحه إلا الله ، وجذب حصيرته والحواية التى
يستعملها الحمال ، وصبغ نفسه بصبغة سوداء فصار
شديد السواد ، وعلق حقيبة لاعبى القمار فى وسطه ،
وهو يقول " أنا حر ، أستطيع أن أذهب حيث أريد ومتى
أريد كما يفعل قطيع الحاكم " ، ثم التفت إلى قائلا " أما
أنت فلن تترك تهورك وجهك ، عجوز أبله ، على الرغم
من شيخوختك ما زلت تلقى بنفسك إلى الهلاك ، لا حديث
لك إلا عن الحرب كأنك عنتره ، أسأل الله أن يهدى
المتهور " .

فوضعت يدى على خدى وجلست أحقد فيه بنظرى ،
وأذكر المتاعب التى اجتزناها معاً فى الطريق ، وكيف
رببته ، وأدركت أن الإنسان ليس له ولاية على غير
أبنائه ، وكاد جربا جارى أن يرد عليه ، وتنشعب معركة
بينهما ولكننى منعتة ، وهكذا فارقنا إندا غانا بسلام .

بعد ذلك أخذت أتحايل طلباً للرزق ، فاشتريت لجربا جاجرى حذاء من جلد البقر الوحشى ، وقرعة من الماء وكثيراً من الدقيق المحمر ملء الإناء وقدمته إليه ، وطلبت من أمه ، أى زوجتى أن تستعد للرحيل ، فقالت " أهكذا أظل أنتقل من مكان لآخر ، لن أذهب معك وسأظل هنا وحدى ، سأصنع الثريد وأبيعه وأعتمد على نفسى " .

تضايقت مما قالت زوجته ، وتحيرت فى أمرى فقال جربا جاجرى " هيا يا والدى نرحل وسنلتقى بها إذا كتب الله لنا اللقاء " ، ثم التفت إلى والدته قائلاً " وإذا لم نلتق أسأل الله أن تغفرى لنا " .

وشعرت بعزيمتى تقوى ، فقلت " حسناً فعلت يا جربا، إنك رجل عظيم ، وسيسمع العالم اسمينا بفضل الله " .

قال يا أبتى ، لا يضر الإنسان فى هذه الحياة إلا أن يموت ولا يسمع الناس عنه شيئاً " .

قلت " حقا ما تقول ، لابد أن يسمع كل إنسان أخبارنا بلذن الله " .

أخذت السلاح وكتيب الأوراد ، وحملت سيفى بربرا ، وأخذ جربا سلاحه ومتاعنا وسيفه الطويل ، والتحقنا بإحدى الفرق العسكرية .

ومرت الأيام حتى وصلنا إلى جبل بيمبا Bima فى
إمارة جومبى Gwambe ، حيث التقينا بالأوربيين الذين
هجموا علينا وفرقوا جماعتنا ، لقد رأينا الجحيم فى هذا
الهجوم ؛ فقد كان الرصاص يتطاير فوق رؤوسنا كالطير ،
ورأيت جربا الذى لا يبالى بالشدائد يصرخ من هول
المعركة ؛ فأخذت سلتى وركعت على ركبتى وبدأت
أمارس هوايتى قائلا " ألم تعرفوا من أنا ؟ ألا تخافوننى ،
إننى جنطوكى ؟ "

فلما قلت ذلك رأيتهم يولون الأدبار قائلين " لقد سد
علينا الطريق هذا الرجل المغوار ، إننا نعلم أنه لا
يستطيع هذا العمل سواءه " .

أحس جربا بعد ذلك أننى تعبت ، فتشجع واخترق
صفوفهم بسيفه بربرا ، وأخذ يحصد رؤوسهم كما يحصد
الدخن ؛ فوقفت أنظر إليه ، أنشده أنشودة النصر .

فلما أقبل الليل وليس فى المعركة إلا نحن الاثنين ،
صعدنا إلى جبل عال ، ودخلنا أحد الكهوف وجلسنا فيه
على مرأى من المارين ، وأخذت أنظر إلى الخارج
وأصلى على الرسول ، ولولا سلاحنا ما نجونا من شىء ،
ولم نعرف ما وقع لجماعتنا منذ فارقناهم .

ولما طلع النهار خرجنا نتجول على ظهر الجبل ،
وتركت جربا جارى عند الكهف ، وذهبت أبحث عن
الطعام ، ولما ذهبت جاء جماعة من الرجال كالنمل ،
سود الوجه ، مدججين بالحراب ، أحاطوا به ، انهالوا عليه
بالحراب من كل مكان فأخذ يرد طعناتهم وهو يقول " أنا
لا أعيش من أجلكم " إننى الأسود بن جنطوكى أيها
الوثنيون ألا تعرفون جربا الشجاع ؟ " وبعد أن فتك بهم
جميعاً عاد وجلس حيث كان ، وهو مضطرب الأنفاس
من شدة الجوع والتعب .

عندما عدت إلى الكهف وجدت الجثث فوق بعضها
فاشتد غضبى وقلت " سيحان الله ، هذه إرادة الله يا جربا "
عدت فوجدت الولد يتنفس بصعوبة ، فقممت وغسلت
وجهه ، وقدمت إليه الماء فشرب ، حتى أحسست به
يتنهد ، ولما فتح عينيه ورأى حمد الله ، ففحصت جسده
كله فلم أجد فيه جرحاً واحداً ، ونظرت إلى ساعده الأيمن
فوجدت التميمة الواقية من الأخطار ، فقلت " أحسنت
صنعا يا جربا إن من حملتك على ظهرها لم تحمل إلا
بطلاً (من عادة النساء فى غرب أفريقيا أن يحملن
أطفالهن على ظهورهن ، وتلف رجلية حول وسطها حتى
يصل قدم الطفل إلى بطن الأم فتلف ملاءة حول وسطها
فتحتويها هى وطفلها) ، ولد واحد شجاع ، يلتهم عشرة
رجال فى كل صباح كما يلتهم الطعام ، خير من عشرات

الجبناء" وقدمت إليه الطعام الذى جئت به من الغابة فأكله، وأحضرت الثقاب وأشعلت النار وشويت الدخن وجلسنا نأكل ونشرب الماء ، ثم تيممنا وصلينا ، وتناولت كتيب الأوراد ، وقرأت وردى وسألت الله حاجتى ، قال جربا جاجرى : آمين ، ثم مسحنا وجهنا بأيدينا .

بعد ذلك اضجعنا لنرتاح ؛ فغلبنا النوم ، فلما استيقظنا أحسنا بمن يضغط علينا ، فلم يستطع أحدنا التنفس أو الكلام ، ثم طار بنا بين السماء والأرض ، ولم ننزل إلا على جزيرة سيلان فى بلاد الهند ، وإذا بنا أمام ملك لا مثيل له فى الجمال والملك ، ورأينا مخلوقات ليس لها وجوه البشر ، ثم سمعتهن يقولون سلاما ، جيتاما .

فقال " وعلیکم " .

لقد كان هؤلاء الجنود الذين حاربهم جربا جاجرى ، عندما ذهبوا للصيد فى الغابة ، بعثهم هذا الأمير الذى نقف أمامه عندما سمع عن الخسائر التى ألحقها بهم جربا جاجرى ، بعث جيتاما لياتى بنا ، وإذا كان هذا الجن يشبههم إلا أنه هو الذى يأتى فى صورة الإنس ليلا ويضغط على صدر الإنسان حتى لا يستطيع التنفس ، وهكذا يفعل بالصيادين فى الماء والأطفال الذين يستحمون فى البحر ، وهذا ما يفعله جيتاما .

عندما أفقنا سألنا هذا الملك عن أخبارنا ، فأخبرنا به بكل شيء منذ البداية حتى النهاية ، فلما شعر بما لنا عفا عنا ، وقال " هؤلاء يمكن إخبارهم لوقت الشدائد " فعشنا في قصره معززين مكرمين ، وذات يوم رأيت ابنة هذا الملك ، فقلت لا أشتي في هذه الحياة إلا الزواج منها ، وكان هذا شعورنا فقالت لا تريد أحداً سواي ، فقال أبوها " لا تملكين هذا كيف أزوج ابنتي من إنسي " .

وجمع رجاله واستشارهم في هذا الأمر ، فقالوا " هذا رجل مثير للفتنة وعنده ابن كالشيطان يستطيع وحده أن يثير الفتنة في هذه المدينة ، وإذا قلت إنك لن تزوجه سيقضى علينا ، ويتزوجها بالقوة ، ويقتلك ويستولى على مملكتك ، ويعين ابنه حاكماً ويصير باقى رجالك عبيداً له ، وقد يأتى اليوم الذى يجمع فيه ثروات هذه المدينة ويعود بها إلى وطنه " .

قال " هذا الكلام لا ريب فيه أيها الوزير ، هذا ما يمكن أن يحدث ، فما العمل ؟ "

" قل إنك ستزوجه ، وإنك لا تريد مهرها مالا ، ولكن يأتى لك برأس درنجن همباماً فيذهب إليه حيث يقضى عليه ونرتاح من شره ، ولا تدع ابنه يذهب معه حتى لا يجتمعان ، ونحن على يقين أنه لن يقدر عليه إنسى ولا جنى ولا يستطيع مخلوق أن ينازله العداء " (درجن

همباما لا يملأ فمه رجل واحد من البشر ، لا يستطيع الحصان أن يحمله ، لا يحمله إلا ذكر الفيل، ويصنع رمحه من جذع النخيل ، وللهذا يمدحونه بقولهم " ريكو زوج أمينة ، قتاله أمر مخيف " .

عندما ذهب جرجا جاجرى للصيد مع الأولاد كما تعود، وكما وجدوه على ظهر جبل بيما ، نادانى الأمير وقال لى كل ما اتفقوا عليه ؛ فقلت له " وهو كذلك ، وسأتى برأسه بإذن الله ، ليس الجبن من شيم الرجال " .

حينما يذهب الإنسان لا يعدم الحبيب والعدو ، وودع كل أحبائى عائلاتهم وركبوا خيولهم واتبعونى ، قائلين " كل ما يصيب جنطوكى يصيبنا معه " ، وواصلنا السير حتى سفح جبل عال ، فنزلت مع رفاقى من الجن لنستريح ثم تركتهم وصعدت الجبل ، فلما وصلت قمته رأيت كهفاً، لم أنتظر لحظة ودخلته ، فرأيت شخصاً عجوزاً قضى فى الكهف مائة وخمسين عاماً ، رفع هذا العجوز رأسه وقال لى " أنت إنس أم جن ؟ "

قلت " إنس مسلم تماماً ، تيجانى الطريقة ، من أهل السودان " ، وأخبرته بكل ما جاء بى إلى هذا المكان ، ولم أخف عنه شيئاً منذ البداية حتى النهاية .

قال العجوز " ويحك أيها الرجل ، لقد وقعت فى شر أعمالك ، وأوقعت نفسك فى الهلاك ، هذا الأمر لا يقدر عليه أحد حتى ولو كان جنطوكى القائد العسكرى".

عندما سمعت ذلك ، طأطأت رأسى ، وقلت " هل شهرتى وصلت إلى كل مكان " ، ثم ترك هذا الأمر ليستمع إلى قصتى كلها ، ثم غيرت موضوع الحديث وقلت " أيها العجوز ماذا تعبد ؟ "

قال " الشمس " .

قلت " ويحك " .

فقال " ايها الصبى ألا تحترم شيخوختى ؟ "

" أى احترام لرجل كافر مثلك؟ اعبد الله الملك ، الذى خلق الشمس والقمر ، والنجوم والسموات والأرض ، هو الملك الذى خلق كل شئ ما ترى وما لا ترى ، وإذا رفضت ، سأقطع رأسك الآن ، وأعجل بك إلى النار " ، فأسلم الشيخ فى الحال.

بدأت أحس بلذة الحياة ، ولا سيما بعد أن أدركت أن هذا الكهل يخشى من الموت ، وأن بعض الرجال لا يساوون النساء ، قال العجوز " دعنى أساعدك بما ورثته عن أجدادى الذين عاصروا النبى إبراهيم " .

وجاءنى بعصا غليظة ، وقدمها إليّ وقال " لو ضربت بهذا الصخر لانفلق مهما كان حجمه ، وهالك سيف شافو تستطيع أن تقطع به ما أردت ، ومهما كان، الجن قوياً يتبعك ، هالك العصا إذا هزرتها ، تصدر صوتاً كالرعد ، وينبعث منها ألسنة اللهب التى تقتل كل إنسان".

أخذتها وشكرته ، وودعنا بعضنا وخرجت أقول فى نفسى " الله قادر على كل شيء ، فعال لما يريد " .

عندما نزلت ، قال لى رفاقى " لماذا غبت هكذا ، فذكرت لهم كل شيء . ثم قمنا وتوجهنا إلى درنجن همباما ، وأثناء الرحلة التقينا بفارس يلبس لباس الحرب ، لا تستطيع أن ترى من خلالها عينه ، تتدلى منها تمائم كبيرة الحجم ؛ فظنناه درنجن همباما فقلت له " من أنت ؟ إنس أم جن ؟ "

ونشب بيننا قتال مرير ، وأخذ يحصد رفاقى حصدا حتى تفرقوا جميعاً من حولى ، ولم يبق فى الميدان سواى، فنازلته منذ الصباح حتى الظهر ، حتى غضبت وأمسكته من كتفه بشدة فصرخ صرخة شديدة وكشف عينية ففوجئت بأنه ابنى جربا جاجرى ، عندما سمع ما أصابنا ركب حصانه وخرج ليساعدنى ، ولما التقينا أخفى وجهه وتتكرو .

قلت " جربتي ، لماذا فعلت ذلك ؟ "

فقال " لتعرف أنك أنجبت بطلا صغيراً ، ولتذق ما يذوقه الرجال معنا في ميادين القتال، ولتعرف أننا نستطيع أن نقضي على أى مخلوق ولو كان درنجن همباماً، نقضى عليه في يوم واحد ."

" إننى أعرف أن ذلك الشبل من ذاك الأسد " ، منذ البداية أدركت أن هذه الشجاعة لا تظهر إلا فى سلالتى ، لا يستطيع أحد أن يصاب برمح من رماحى ويتحمله ، لذلك طلبت أن تكشف وجهك حتى لا أضرب نفسى . "

تبادلنا التحية ، وقصصت عليه كل أخبارى ، وقلت " لماذا اتبعتنى ؟ وكيف علمت مكانى ؟ "

قال " جئت لنموت معاً "

بعد ذلك رأى همباماً غبار خيولنا ، فأمر أولاده قائلًا " اذهبوا واخطفوا لى هذا الكتكوت ، لعلى أجد ما أفطر به ". وعند وصولهم إلى حدقت بعينى فى كبيرهم ، ثم ضربته بعصاى الغليظة التى قدمها لى الشيخ العجوز ، فوقع مغشياً عليه ؛ فقلت لجربا جاجرى " انزل ، واربطه " فقيده بالسلاسل ، ثم قصدنا غيره وهكذا قيدنا أربعة منهم ، وهرب واحد ، ووصل إلى أبيه يلهث ، كأن

روحه ستفارق جسده ، وقص عليه كل ما حدث ، فلما سمع ذلك غضب ، واقتلع شجرة نخيل ، وتوجه للقائنا ، ولما وصل هجم على جربا جاجرى وأمسكه بيده اليسرى ألقاه على الأرض ، فدفعت الحصان والتويت به فأصاب جزع الشجرة أردافه ، فانكسر جزؤه السفلى وسقطنا فى ناحية واحدة ، فنطقت بكلمة الشهادة ، وهجمت عليه هجوم الفدائى ، وضربتة بالعصا الغليظة فى ساقه ؛ فانبعث منها صوت الرعد ، واشتعلت النار فى جسده ، ووضعتة مع أولاده فى سلسلة واحدة وربطتهم جميعاً ، ودعوت وبصقت على رجله فخمدت النار .

عندما أفاق جربا جاجرى ، ورأى ما فعلت قال "قائد عسكرى بارع ، الويل لمن ينازلك " .

سقناهم أمامنا حتى مدينتهم ، فعم المدينة كلها الصراخ والصياح ، لأن هذا الأمر لم يتوقعه أحد ، لذلك كان الناس يقولون "معظم النار من مستصغر الشرر " ، وها أنا أصل إلى قصر همباما وأعتلى كرسيه آمر وأنهاى ، وأمرت أن يأتونى بأولاده وبأمراء المدينة ، وقلت لهم " إذا أسلمتم تركتكم ، وإذا رفضتم الإسلام قتلتكم الآن فوراً ، وألقيت جثثكم للكلاب " .

ردوا قائلين " سمعاً وطاعة ، أطال الله حياة الأمير ، أسلمنا واتبعنا الله ورسوله ، واتبعناك يا أمير المؤمنين " .

أمرت بفك وثاقهم ، ودخلنا قصر همباما ، فرأيت الخزائن الكبيرة المتنوعة والثروة التي لا نهاية لها ، ولم أر شيئاً إلا ويوجد فى هذا القصر ، ودخلت إحدى الحجرات فوجدت عشرة رجال سمان مقيدتين ، وعلمت أنهم طعام همباما ، يذبح له كل يوم اثنان منهما ، يأتى غيرهم قبل أن ينتهوا ، فمددت يدي وأطلقت سراحهم جميعاً ، وفرحوا كأن الله قد غفر لهم ذنوبهم ، وفى الحال أعلنوا إسلامهم . ونظرت فى حجرة أخرى ، فرأيت فتاة ، يضىء وجهها ظلمات الحجرة ، لشدة جمالها ، كأنه نور الصبح ، يتدلى شعرها على كتفيها ، عنقها كعنق الغزال ، عيناها البيضاوان كأنه اللبن ، عند رؤيتها غضبت ، وفارقتى الشعور بالرحمة ، وقلت "يا همباما ابنة من هذه؟"

قال " ابنة الشيخ طلحة ، الذى طرده الأوريون من سكوتو ، إنها أوربية : فتاة جاعونى بها من بلاد السودان ، بينهم وبين سكوتو مسافة لا تزيد على مسيرة شهر " .

" هل قربت منها ؟ "

قام وركع قائلاً " أقسم بالله والدين الذى تعنتقه ، لا أحبها ولا يحبها أحد من الإنس أو الجن ، وقامت الفتاة وحيثى بنفسها وهى تبكى .

فقلت لها " دعى البكاء ستعودين إلى وطنك بإذن الله ،
إني أنوى العودة إلى سكوتو ، ومن هناك سأذهب إلى
كونتا جورا " .

عندما سمعت ذلك قالت " هم أيضاً إخواننا على حسب
ما سمعت ، لأن أصلنا واحد " .

قلت " هو كذلك " .

بعد ذلك أمرت أن تقام الأفراح في المدينة وتعد موائد
الطعام ، فقد استقر الدين في هذه المدينة .

وقلت سأحمل هذه الفتاة إلى مدينتهم اليوم ، بإذن الله ،
وطلبت مائة حصان يتبعونى ، فقال همباما " لنذهب معا " .

" قلت لا ، احرس أنت المدينة ، لأننا لا نعرف ماذا
ستخلف لنا الأيام ، وإذا رأك والد هذه الفتاة ، سيقتلك " .

ضحك همباما وقال " أطال الله حياة الأمير ، إذا
أعطيتهم قدمى ماذا سيفعلون بها " .

قلت " احرس أنت المدينة " .

قال " سمعاً وطاعة ، أسأل الله أن يعيدك سالماً ،
أمين " .

ثم قلت لجربا جاجرى ، أن يذهب بهم إلى آبائهم ،
فقاموا جميعاً وعادوا إلى المدينة ، ونعمت المدينة بالحياة
السعيدة .

ثم قمت وذهبت بالفتاة ومعى حصان ، وأثناء الطريق
رأيت الغبار يرتفع بكثافة حتى ملأ الفضاء العلوى؛ فقلت
لأحد الفرسان " اذهب وانظر ماذا هناك " ؛ فأخذ يسير
على مهل حتى وصل ، وعاد يقول " بعض المحاربين
عددهم ضعفنا أو ثلاثة أضعافنا ، ذاهبون لمحاربة
همباملا".

قلت " أنزلوا واستعدوا ، فقد حدث المطلوب " .

اقترب الرجال ، والتقى المتقاتلون ، وحدث الكر
والفر ، وأخذ كل ينظر إلى أخيه ، فنزلت إلى الميدان أكبر
وأفخر قائلاً " أين المقاتل ، الجبان لا يخرج ، لا يخرج
إلا من يثق فى نفسه ! " " أقول ذلك وأضرب الأرض
بالعصا التى قدمها إليّ الرجل العجوز ، فصدر منها
صوت كالرعد ، وأخذت أقتل كل من يخرج ، وقبل صلاة
الظهر قتلت تسعين رجلاً ، ودقت طبول التسليم وانسحبوا
فجمعت رجالى وأمتهم وأديت الصلاة .

بكت الفتاة كثيراً ظناً منها أنهم سيقتلوننى ، لقد كنت
مرهقاً وكان حصانى متعباً ، وأجسامنا تؤلمنا من شدة

التعب والجوع ، قلت لها " كفى عن البكاء ، ولا تخشين شيئاً ، غداً سننتصر عليهم فى الصباح بإذن الله " .

قالت " أيها القائد إذا هلكت أنت هلكننا معك ، ووقعنا فى أيدي الكفار " .

قلت " إن الله معنا ، ومن يعتمد عليه لا يخيب فى الدنيا والآخرة " .

لقد كان من أفراد العدو شخص سودانى ، فى معسكرنا ، وسمع كل ما قلنا ، والآراء التى تبادلناها ، فعاد وأخبر قائدهم بما سمع ، فلما سمعونا نذكر الله ، همدت كل أجسامهم ، وقضيت الليل أتلو وردى وأسأل الله أن يعيننا على العدو ، ولما طلع الصباح جاءوا إلى ميدان القتال ، فكبرت وكان الله قد استجاب لدعائى ، فأنزلوا أعلامهم ، وسألونى ماذا كنت أقرأ فى الليلة السابقة ، وماذا أعبد ، وما معنى من النوم ليلاً غير القراءة ؛ فأخبرتهم بكل شئ وفى الحال أسلموا ؛ فأمرتهم أن يذهبوا إلى درنجن همباما حتى أعود ، فإذا رأوا أنه سيهجم عليهم ليقتلهم ، ينطقون أمامه بكلمة الشهادة ، فإذا سمعهم لن يمسه فقالوا سمعاً وطاعة .

عندما رأهم درنجن همباما من بعيد اقتلع شجرة نخيل الزيت وقصدهم فرفعوا صوتهم مرة واحدة بكلمة الشهادة، فترجع إلى الوراء ووقف يخرج لسانه ويلعق لعابه ، وسألهم سبب إسلامهم ، فقصوا عليه القصة كلها ولم يخفوا شيئاً عنه ، فقال " إنه جنطوكى القائد العسكرى والد جربا " وأمر أن يذهبوا جميعاً إلى قصره ، وبالغ فى إكرامهم ، وصاروا أخوة كأن أباهم واحد وأمهم واحدة ، ببركة الإسلام .

ولما عاد جربا جاجرى إلى جيتاما وأخبره بما حدث لهمباما ، أصابه الرعب وقال " إن لم نتحايى على هذا الرجل ونقضى عليه ، سيقتلنى ويسلب الملك منى بالقوة". ثم قال جربا " سمعت أن لك أمأ " .

قال جربا " نعم هى فى بلاد السودان " .

قال الملك " سنبعث معك عفريتاً ليحملك إلى السودان الآن لتأتينا بها ، ونذهب معاً إلى أبيك " .

وظهر حنين الابن إلى أمه ، أخذ العفريت ، وفى طرفة عين ، عاد بها ، ووضعوها أمام الملك ، ولما أفاقوا قصوا عليه أخبارهم ، لقد كان الملك يريد من هذا العفريب أن يقضى عليهما هناك ، ولكن الله لم يرد ذلك ، وفى الحال أمر عفريتاً أن يقطع رأس الأم .

أما جربا جاجرى فقد ورث عنى كل الشجاعة؛ فقد أشبعته طعاماً وماء وإلى جانب ذلك يحمل تميمة تصد عنه كل الأخطار ، فقد صار لهم كالعظمة فى الحلقوم ، فكلما دبروا له مكيمة للقضاء عليه، نصره الله عليهم ، وأخيراً استعمل التميمة التى تخفيه عن الأنظار وجاء إلى .

أما الشيخ طلحة فقد بحث عن ابنته فى كل مكان بعد أن خطفها الجن ، ولكنه لم يجد لها أثراً ، فغضب غضباً شديداً ، وكانت كإنسان عينه ، لا يريد أحداً أن يمسه ، وبعث بأربعة رجال ، أحدهم إلى الشرق ، والثانى إلى الغرب ، والثالث إلى الجنوب والرابع إلى الشمال ، وطلب من كل منهم ألا يعود إلا إذا رآها ، ومن يعود بدونها سيقتله .

وكيف عثر عليها همباما ؟ لقد خرجت مع جاريتها إلى حفلة عرس ، فتوقفت عند النهر لتستحم فخطفها الجن .

عندما اقتربت من المدينة رأنا جماعة من الناس ، فبعث كبيرهم من يستطلع أخبارنا ، فعاد إليه الرسول قائلاً " إنهم عائدون بجوريما ابنة الشيخ طلحة " ؛ فلما سمعوا ذلك نزلوا من فوق ظهور خيولهم وساروا حتى وصلوا إلينا ، وذلك تعظيماً واحتراماً لسيدتهم ، فتبادلنا التحية وذكرنا لهم أخبارنا ، وتقدم كبيرهم إلى السيد

وقص عليها الحال الذى وصل إليه بعد فقدها، وقصت عليه بدورها ما فعلت مع الجن الذى خطفها ، وما أبديته من شجاعة نادرة ، ووفائى وأمانتى وصدق إسلامى ؛ فالتفت إلى هذا الخادم قائلاً " أرجوك أن تدعنى أحمل هذا الخبر السار إلى سيدى ، حتى أحصل على الأجر الذى أرجوه " .

قلت " لك ما تريد " .

ذهب إلى الأمير وقال له " أطال الله حياتك ، بشراك " .

فقال الأمير " خيراً سأعطيك ما تريد " .

قال الخادم " لقد عادت جورياً " ، وقص عليه أخبارها وكل ما حدث .

وفى الحال أغدق عليه بأكثر مما كان يتوقع ، وجاءت أمها بألف دينار وقدمتها إليه ، ثم ركبوا وقابلونا، وعم الفرح كل أنحاء المدينة.

قال الأمير " كل من يحبنى يثبت ذلك بما يقدمه إلى جنطوكى من خير ، وهكذا لم تتقطع الخيرات التى أخذت تنهال على لمدة ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً.

وهكذا عشت بينهم فترة أسستمتع بالحياة ، وذات يوم ، رأيت غباراً قادماً من جهة الشرق ، فبعثت من يستطلع

الأخبار ، فإذا بجربا جاجرى قد خرج يبحث عنى ، وأخذ يحارب كل من يعتدى عليه فى الطريق وينتصر عليه حتى جمع حوله جماعة كبيرة يشد بهم أزره . " ابن جنطوكى يتحرك كالعفريت " أمر أن يأتونى به ، ولما التقيت به قص على كل ما حدث بينه وبين الجن ، وكل ما حدث لوالدته .

وبعد أن أنقشع الغبار ، قالت جوريا ابنة الأمير لأبيها " يا أبتي إذا أردت خيراً ، زوجتنى هذا الرجل ، وأبقه معنا فى هذه المدينة ، فإن فراقه خسارة كبرى لنا ، فهو محارب ماهر ، وعالم فاضل ، وتقى ورع ، لا ينقصه أى صفة من صفات الإنسان الكامل .

قال الأب " لك كل ما تريدين ، فهو كما تقولين ، ولكن أحد الأمراء الكبار يريدك زوجة له ، وتسلمت المهر منه ، فما العمل الآن ؟ "

جاءت الفتاة إلى ، وأخبرتني بما فعله هذا الأمير مع أبيها فتوجهت إلى أبيها وحدثته فى الأمر ، فلما أحسست أن والدها تحير فى أمره ، خشيت هذا الأمير ، ولعدم استطاعته رد ما أخذه من مهر الفتاة قلت له " إذا كان ما يحيرك أمر المال فسأرد إليه كل ما أخذته منه من مال وهدايا وصادق بإذن الله ، وإذا كنت تخشى من فتنة تحدث

فى المدينه ، لقد حاربت الأوربيين والجن فما بالك
بالرجل الأسود ، لو تركت له هذا الغلام الصغير ،
جربا ، لكفاك من كل شر فى هذه الحياه " .

قال الأمير " لم أقبض صداقها مالا ، ولكنه رأس
كورنجو " ، لقد قال الأمير ذلك لأنه يعتقد أن هذا أمر
عسير على أى إنسان فى المدينه .

فقلت له ، أعطنى عددا قليلا من الرجال يحمون
ظهري ، وخرجت وعسكرت وكتبت إليه هذه الرسالة .

" من القائد العسكرى جنطوكى ، تحية إلى كرونجو
القائد الفاسد وليس القائد الماهر ، أنصحك أن تسلم لله
لتنجو من عذاب سىفى واويلو ، وعذاب الله ، ولأتركك
فى أمان الله ، ودع الفتنة نائمة ، وإذا كان الغرور قد ملأ
صدرك ، وخدعك الناس ، سيشرب الكلب من دمك الآن ،
وتندم حين لا ينفع الندم " .

وطويت الرسالة ولم يستطيع أحد حملها إليه ، فتقدم
إلى جربا جاجرى الذى لا يخشى الموت ، وقال إنه
سيحملها إليه بنفسه ، وأخذها وتوجه إليه ، ولما وصل
إليه سمحوا له بالدخول ، فقدم إليه الرسالة ، وقرأها
كرونجو وأحس بما فيها ، واحمرت عيناه من شدة الغيظ
ومزق الرسالة وقال لجنوده " اضربوا هذا الرسول حتى
يموت " .

عندما سمع جربا جاجرى ذلك ، قام مسرعاً وركب حصانه واستل سيفه ، ودخل منازلهم ، وأخذت رؤوسهم تتهاوى فى جميع أنحاء المدينة كما تتهاوى الثمار من أعلى الأشجار . وشق طريقه بين رؤوسهم بصعوبة وعاد وقص على خبرهم .

فقلت هذا أمر خطير ، وفى الحال بعثت برسول إلى همباما ، ليأتى مسرعاً بكل أبنائه ، فقد حدث ما توقعت ، وفى لمح البصر وصلوا جميعاً ، فلما رأى رجال طلحة همباما وأولاده وقعوا مغشياً عليهم ، وخرجنا وتوجهنا إلى قصر الأمير ، فلما رأتهم الفتاة انقلبت على وجهها وأخذت تبكى بكاء شديداً ، ظناً منها أنهم جاءوا ليقتلوا حبيبها .

عندما وصلنا إلى مدينة كورنجو بدأ القتال فى الحال ، اندفع همباما وخطف فارساً من الكفار ، وسلمه إلى أبنائه قائلاً لهم " بسرعة اشوه لى فى وسط الميدان حتى أجد ما أكله ، ولكنه لم ينتظر حتى يشوى على النار ، ومد يده وقطع رأسه وأخذ يأكل لحم العنق كما يأكل كوز الذرة ، ثم كسر الجمجمة واستعملها كإناء يشرب منه الماء ، فلما رأى الأعداء ذلك ولوا الأدبار يطأون أقدام بعضهم من هول الموقف ، ولم يجد قائدهم كورنجو مفرّاً إلا الانسحاب من المعركة ، وأخذ يعدوا حتى وصل إلى

مدينته إنكوى وبإيع الأمير ، وأعلن رضاءه بكل ما يقضى به .

أما أنا فقد توليت السلطة فى المدينة وصرت الأمر ألناهى فيها ، وطلبت أن يأتونى بكورنجو لأراه ، فلما قدم إلى قال " أطال الله حياتك لقد فعلت كل ما طلبت " .

ثم قدمت المدينة بكل ما فيها صداقاً ، وأقيم حفلاً لا مثيل له ، ودخلت بزوجتى ، وبعد ذلك أمر همباما وجنوده أن يتتبعوا كورنجو ويأتونى به .

أما أمير إنكوى فقد أعد فرقة عسكرية على رأسها وزيره ، وأمرهم أن يذهبوا ويعودوا له بجنطوكى فى أيديهم ليقتله بنفسه .

فقال الأمير " سمعاً وطاعة لقد انتهت اليوم حياة جنطوكى وكل من يناصره " .

وركب وتبعه أكثر من ألف فارس ، كل منهم كأنه عفريت من الجن ، وتصادف أن تقابل الفريقان فى الليل على شاطئ نهر ، ونزل أتباعى على شاطئ ونزل أتباع أمير إنكوى على الشاطئ الآخر ، ولم يعرف كل منهم الآخر ، وفى الليل خرج ونكا قائد جيش أمير إنكوى يتجول ؛ فلف حول معسكرهم ، فسمع صهيل الخيل على الشاطئ المقابل ، فركب حتى وصل إلى معسكرهم ،

فراى خيولاً لا حد لها ، وراى السيوف فى كل مكان
كانها حبات الرمال ، وسمع بعضهم يتحدثون قائلين " قبل
ثلاثة أيام ستدور الدائرة على جيش المسلمين ، ونقيد
جنطوكى " ؛ فلما سمع ذلك انسحب وطلب من جنوده أن
يستعدوا غداً لأمر هام ، وأخبرهم بكل ما سمع ، وما رأى
بعينه .

فقالوا " نسأل الله أن يحيينا إلى الغد " .

قال همباما " غداً سأشبع ، لقد اشتد على الجوع ،
قال هذا الكلام ولا يعرف ما يخفيه القدر .

عندما طلع النهار هجم الرجال ، وكانهم الجبال
الشوامخ تلتقى ، واستعد الفريقان وبدأ القتال ، وأخذ
رجال إنكوى يقعون صرعى واحداً بعد الآخر ، حتى
مات أكثر من نصفهم ، وفر الباقون ، وقص الخبر على
الأمير ، فقال " لقد هربتم من الموت إلى حيث لاقيتموه " ،
وأمر أن يستعدوا للقائهم غداً ، وهدد بقتل من يفر من
رجاله .

أسر ونكن وتا وهمباما كثيراً من الجنود ، وبعث إلى
بمن أسلم منهم ، أما الذين أبو الإسلام فقد قتلهم ، وعندما
عاد الرسول أخبرونى جميعاً أن هؤلاء الرجال شجعان ،
ويجب أن يساعدونى ، فأمر عشرة آلاف فارس أن
يستعدوا لمساعدة جيش المسلمين .

ولما رأى أمير إنكوى ذلك قال " هذا كذب إنهم لن يفعلوا شيئاً " ، وأمر ابنه جرمى أن يتوجه لقتالهم .
والتقى الفريقان ، ونشب القتال ، وسالت الدماء أنهاراً ،
ولما توقف القتال خرج جرمى إلى وسط ميدان المعركة ،
وأخذ يتفاخر بنفسه ، بعد ذلك هجم درنجن همباما ، فأمر
جرمى بضربه فسقط على الأرض كما تسقط الشجرة
الضخمة وقال لخدمة " اربطوا هذا المنافق ، وفى الحال
وضع همباما فى القيود وأخذوا يجرونه كأنه جثة حصان ،
ولم يخرج جرمى من قلب المعركة حتى ضرب رجال
المسلمين أربعة وعشرين رجلاً ، قيدوا جميعاً بالسلاسل
وأصبح لا حول لهم ولا قوة .

بعد ذلك غضب ونكنوتا ، ودفع حصانه إلى قلب
المعركة ، وأخذ يفخر بنفسه والتقى بجرمى ونشب القتال
وتصاعد غبار المعركة إلى السماء حتى حجب المتقاتلين
عن الأنظار ، واشتدت المعركة واستمرت حتى العصر
ولم ينتصر أحدهما على الآخر ، ثم نطق ونكن بالشهادة
ونظر إلى رأس جرمى وهوى عليها بالعصا الغليظة فوقع
على الأرض وانفصل مخه عن الجمجمة ، ولم يترك
ميدان المعركة حتى أصاب مائتين بين قتيل وأسير ، ولما
رأى الكفار ذلك أخذوا يولون الأديار فاتبعوهم ، ودارت
عليهم الدائرة حتى أقبل الليل ، وبعد ذلك عادوا إلى

معسكرهم ، وحرروا من قبض عليهم قبل ذلك ، وأطلق
سراح همباما وباقي الرجال .

ولما سمع أمير إنكوى هذه الأخبار ، وأن من بين
القتلى ابنه الذى يحبه ، غضب الكافر ، وأخذ يسب الشمس
والقمر والنار ، وأمر بقتل الفارين قائلا " لقد لقيتم الموت
هنا اليوم " ، وبعث إلى البلاد رسولا يأمر الجميع
بالاستعداد للقتال ، ولن يسمح لأحد بالتخلف إلا إذا كان
عاجزا عن إمساك الرمح والقوس ، ولا بد من الثأر من
جنطوكى مهما كلفه الأمر .

ولما رأيت الجنود قد تأخروا شعرت أن فى الأمر
شيئا ، ولا بد أن أذهب لنجدتهم ، فاستعددت وتركت
لمجى مهمة حراسة المدينة ، وذهبت إليهم وتركت
أسرتى هنالك .

أما كرونجو فقد كان يعرف شجاعتي ؛ فقد ثقب
الكوخ فى الليل وهرب قبل أن ينقشع غبار المعركة ،
وبعد أن جلب لهم المصائب وولى الأدبار ، فقد عرفته
جبانًا ، ولم يتوقف إلا عند أمير الهند وتقدم لمبايعته ،
ولجهلهم وافقوا على الاستعداد للحرب .

أما رجال ونكن وتا الذين هزموا فى المعركة فقد
حملوا رأس جرمى وذهبوا بها إلى أبيه لإثارتة ، فلما

رأها أمير إنكوى اشتد غضبه . وفي الصباح اشتعلت نار المعركة، وكان المسلمون قلة ، كالشعر الأبيض في رأس الصبي ، فلما رأوا ذلك هألوا وقالوا " الله معين للعباد"، وتجمعوا ودعوا الله فأعانهم الله على الكافرين ، وهو القادر على كل شيء ، واشتدت الحرب وارتفع الغبار إلى السماء، ولم يتوقف القتال حتى انعدمت الرؤية، وإذا بي أصل إليهم فجأة أنذر العدو قائلاً " جنطوكى أشجع الرجال والد جربا ، المعركة دائرة عليكم ، وجربا جاجرى على يمينى ، والمداحون على يسارى ، والشجعان يحيطون بى كأنهم العفاريت ، جلابو المصائب قادمون إليكم يثبون بخيولهم ؛ فلما سمعنى المسلمون فرحوا فرحاً شديداً ، وأخذوا يزغردون قائلين جاء البطل ... جاء البطل .

ولما أقبل الليل جمعت قادة المعركة وقسمتهم أربعة أقسام ، وطلبت من قسم أن يتجه إلى المشرق والباقي إلى الغرب والجنوب والشمال ، وأحاط الفرسان بالوثنيين من كل جانب وهم لا يعلمون أن سبحان الله - الحرب خدعة.

قلت " إذا سمعتمونى أنطق الشهادة فهاجموا بقوة فى وقت واحد ثم ينسحب كل إلى الخلف ويراقب المعركة، واتركوهم يقتلون أنفسهم بأنفسهم .

وبعد أن نام أفراد العدو ، وسكنت حركاتهم ، هجموا عليهم وفعلوا كل ما أمرتهم به ؛ فلما رأى الكفار ذلك ، قاموا وأخذ كل منهم سلاحه ، وأخذوا يضربون بعضهم البعض ، واستمروا على هذا الحال ، ولما طلع النهار وجدوا أنهم قتلوا أنفسهم بأيديهم ، ولا يوجد بينهم مسلم واحد ، فأخذ الأمير يعض على أصابعه حتى قطعها من شدة الغيظ .

بعد أن انتهى المسلمون من الصلاة ، خرج الأعداء وكونوا صفًا وبسرعة اضطربت المعركة ، ولم يكن منظرًا جميلاً ، ولما غربت الشمس تفرقوا ، وفي الصباح التقى الفريقان ، ونصر الله المسلمين عليهم وتفرقوا وولوا الأدبار فاتبعهم المسلمون وقتلوهم وأسروا من بقى منهم ، وبعد ذلك اخترت أحد الخدم ووليته السلطة في المدينة .

في هذه الليلة رأيت منامًا أزعجني ، لم أر بعده النوم مرة أخرى ، رأيت أشياء هبطت من السماء كالطير ، وخطفتني مع ابني جربا جاجري ، وطارت بنا ، ظننت في نفسي أنه ربما هذا الجن الذين خطفوني من فوق جبل بيما أو ملائكة جاءت تخبرنا أن أجلنا أقترب فأخذت أبكي وأقول ربما لن أرى بلاد الهوسا بعد ذلك ، ولكنني تذكرت أن الإنسان يموت حيث كتب له الموت ، أسأل الله أن يتوفاني على الإيمان ، آمين .

عندما طلع النهار أخبرت جربا جاجرى " أيها البطل
الذى لا يرهب شيئا " .

قال " لا تبالي ، إذا كان عدواً سننتصر عليه بإذن الله".
قلت " حسنا ، إن شاء الله " .

عندما حان العصر ، قلت لجربا جاجرى " قم لنخرج
نتنسم الهواء العليل على حافة هذه الغابة ، فقد سئمت
الإقامة فى مكان واحد ، لقد ضايقتنى كلام الناس الكثير " .
قال " حسنا ، إننى أشعر بالضيق ، وأريد النزهة فى
مكان آخر " .

عندما خرجنا قلت لجربا " عد وأحضر لنا السلاح،
الرجل لا يسير هكذا أعزل " .

فعاد وأحضر السهام والسيوف ، ثم واصلنا السير؛ فلما
وصلنا إلى داخل الغابة ، رأينا مستنقعا مغطى بالأعشاب
الكثيفة ، فجلسنا نستريح ونتحدث فى أمور الحياة ، رأينا
من بعيد غزالتين ترعيان ، فأطلقت السهم على إحداهما ،
ولما أصيبت بالسهم حملتها الغزالة الأخرى وولت هاربة
بها .

قال " ما حدث اليوم أمر عجيب " .

قلت " اليوم ستقوم القيامة ، وليس هذا أمراً عجيّباً ،
يبدو أنه حدثت مصيبة ، وسيحدث ما حدث بالأمس ،
وتشتعل الحرب مرة أخرى " .

لقد نزلنا في مستنقع ملك الجن ، وأطلقت السهم على
ابنه ، فحملت الأم جثة ابنها وذهبت به إلى أبيه ، وقصت
عليه ما حدث فغضب وهب قائماً ، وخلع قلنسوته ،
وألقاها على الأرض ، واستدعى عفريتين قويين ، وقال
لهما " اذهبا إلى المستنقع ، وأتوني بكل من تريانه هناك
الآن " .

ولما جاء لم يجدنا سوانا ، نرقد تحت الشجرة ، وقد
غلبنا النوم ؛ فحملانا ، وطارا بنا بين السماء والأرض ،
ونحن نائمين ، ووضعانا أمام ملك الجن ، ولم يمض
الوقت الطويل حتى قطعت رأسه ، واضطربت المدينة -
رجل واحد يساوى ألف أبو جربا جاجرى - وفي الحال
أعلنوا إسلامهم جميعاً ، ووليت عليهم أميراً منهم .

وأثناء إقامتي في مدينتهم ، أنشأت مدرسة ، وأدخلت
أطفالهم فيها ، وأخذت أعلمهم القراءة والكتابة ، وأعظمهم
وأعلمهم الحديث صباحاً ومساءً وأخذني الأمير إلى
أقصى المدينة ، فأرشدتهم إلى الإسلام حتى أسلموا
جميعاً ، وأما من تمرد منهم فقد سحقتهم وواصلت تنفيذ
خطتي .

عندما سمع شقيق الأمير أننى أدخلت ابن أخيه الأصغر فى الإسلام دفع إليه بجنود لا أول لها ولا آخر لسحق المسلمين ومرشدهم الذى منعهم من عبادة القمر ، وعسكروا عند بوابة المدينة، وبعث رسولا إلى ابن أخيه لاستقباله، فلما وصل لاستقباله ألقى القبض عليه، فقال "لماذا ؟ " .

قال الأخ الأكبر لماذا تركت دينك من أجل رجل أسود؟"

فلما سمع رجاله ذلك عادوا إلى المدينة مسرعين ، واستعدوا للقتال ، فقلت لجريا أعد السلاح وضع السرج على ظهر الحصان ، فقد حان وقت القتال " .

تحير الولد من شدة الخوف ، وقال " كيف سنحارب الجن ؟ لا أرى أننا سننتصر على هؤلاء " .

قلت " الله أكبر ، ولد صغير لا تعرف شيئا " .

ركبت الحصان وأحاط بى كل سكان المدينة ، كأننى أميرهم ، فقلت " كل شيء بإرادة الله " .

وأمرت عفريتين بحمل جريا جارى إلى المنزل ، حيث تقيم زوجتى ، فذهبا به ، وقص عليهم كيف تركنى؛ ففرحوا كثيرا لأنه عاد إليهم بثروة كبيرة ، وأخذوا يدعون الله أن يحفظنى حتى أعود لهم سالما .

وصلت إلى ميدان القتال بحصاني ، أكبر وأهلل ، وفي
يدى سيفى شافو ، وعصا الشيخ العجوز الغليظة معلقة في
سرج الحصان ، فلما رأى هذا الأمير ذلك طلب من الجن
أن يقبضوا علىّ، فهجم على مائة عفريت مرة واحدة ،
فأمسكت سيفى وقضيت عليهم جميعاً ، وأخذت رؤوسهم
تتساقط على أرض المعركة كثمار شجرة جوز الهند ،
فأمر ملكهم الجميع أن يدخلوا المعركة ويهجموا علىّ في
وقت واحد .

ولما رأى المسلمون ذلك هجموا هم أيضاً مرة واحدة
وفي الحال اشتد القتال ، وفاقت المعركة الوصف ،
وأخذت أنشد أنشودة النصر ، وسيفى يرتوى من دمائهم،
ويحصد رؤوسهم ، ولما شعروا أن الدائرة دارت عليهم ،
ولوا الأدبار حتى وصلوا إلى أميرهم كبيتو فأقر هروبهم،
وبعث برسائل إلى أتباعه جميعاً ليستعدوا للقتال في خلال
سبعة أيام للقضاء على جنطوكى ومن اتبعه من المسلمين.

عندما عدنا إلى المدينة قال ملك الجن " أشكرك يا
جنطوكى ، والآن يجب أن أحملك إلى وطنك ؛ لأن
الأمير الذى حاربته ذهب يطلب العون من الملك كبيتو ،
ولا ينبغي أن تبقى هنا حتى يأتى ويقضى عليك فنتركنا
نقاتله نحن " .

قلت " لن أتركك حتى أقضى على كل أعدائك فى هذه الأرض ، سواء كان من الإنس أو الجن ، بإذن الله " .

ووزع الملك الغنيمة التى حصلنا عليها ، فأخذ الخمس ووزع الباقي على المقاتلين ، قلت " يجب أن نستعد ونذهب لملاقاته فى عقر داره قبل أن يأتى إلينا " .

قال الأمير " وهو كذلك ، وجمعنا المقاتلين وتوجهنا إليه ، وفاجأناهم فى الطريق ، وكان عددهم كزبد البحر ، والتقى الفريقان ، ونشب القتال ، وكانت المعركة التى أنتظرها ووشنت جمعهم حتى تعجب الجميع .

وعندما أقبل الليل فعلت الخدعة التى تعودت عليها ، وأيقظت أتباعى ووزعتهم فى أماكن مختلفة ، ولما كونوا حلقة حول العدو قلت لهم " إذا سمعتمونى أنطق بالشهادة فاهجموا جميعاً فى وقت واحد ، وقولوا اسحقوهم كفار فاسدين " ثم انسحبوا إلى الوراء وتركوهم يقتلون أنفسهم بأنفسهم " ففعلوا كما أمرتهم .

وعندما طلع النهار أدركوا أنهم قتلوا بعضهم بأيديهم ، أما الباقون فقد أمرت أن يضربوا حتى لا ينجو منهم أحد ، وواصلنا السير حتى وصلنا إلى الملك كبيتو ، فلم نجد حوله إلا النساء ، دخلنا قصره فوجدنا الثروات المقدسة ، كنوزاً من اللؤلؤ والمرجان أكواما ، وكانت حوائط القصر من الذهب والفضة ، وقد أثرى كل المسلمين بعد توزيع

الغنائم عليهم ، ورأيت ابنة الأمير تجلس فى حجرة من
الفضة ، وحولها الجوارى بالمراوح ، وإذا بصقت
سار عن إليها لالتقاط البصاق قبل أن تسقط على الأرض ،
ولفرط جمالها أطلقوا عليها اسم " نور " فلما رأيتهما
أعجبت بهما وقررت زواجهما .

وذات يوم طلبت من ملك الجان أن يأمر اثنين ليذهبا
إلى رجالى لمعرفة أحوالهم ، لأن أعدائى كثيرون ،
فأمرهم بالذهاب فوجدوهم يحاربون المسلمين . وقد أخذ
جربا جارى يقاتلهم حتى أعياه التعب وكادوا أن
ينتصروا على المسلمين ، وفجأة وصل العفريتان ،
وأخذت الضربات تتوالى على الكفار دون أن يروا أحداً ،
ولم يسمعوا إلا كلمات الفخر التى يطلقونها قائلين " نحن
جنود جنطوكى الفارس المغوار " ، وأخذ بريق السيوف
يبدوا كالبرق ، ولكن لا يرون أحداً ، حتى تم النصر
وولى الكفار الأدبار يتعثرون فى خطاهم ، فرح المسلمون
وأدركوا أننى على قيد الحياة ، وعاد العفريتان وقصا
على كل شىء ، فشكرتهما ، وقدمت إليهما المكافآت
السخية .

أما كورنجو الذى فر إلى بلاد الهند فقد استجاب الأمير
لندائه وجمع الكثير من المقاتلين وتوجه إلىّ وهو يجهل
أنه متجه إلى الفناء .

بعد أن انقشع غبار المعركة قلت لملك الجن " أريد أن أعود إلى وطني لأعيش بين أخوتي من الإنس ، ولن تنقطع الأخبار بيننا بإذن الله " .

جمع الملك ثروة كبيرة وحملها الجن ، وحملت سيفي شافو وجعلت عروستي أمامي ، وأمر الملك إعطائي حصائاً من الجن لا يسبقه حصان وألف عفريت ليخدموني ، ولكني رفضت وطلبت اثنين فقط وجعلت واحداً عن يميني والآخر عن يساري ، وودعنا بعضنا وسط البكاء والنحيب لشدة ما كان بيننا من محبة ألفت بين قلوبنا .

وصل كورنجو وملك الهند وأقاموا عدة حلقات حول جيش المسلمين ، بجنود وأفيال لا تعد ولا تحصى ، فلما اقتربت منهم بعثت برسول ليأتيني برجالي ، فلم يستطع الوصول إليهم ، فعاد إليّ وأخبرني بذلك ؛ فلما علمت بذلك نزلت وفعلت خدعتي التي تعودت عليها في مثل هذه المعارك ، وأمسكت زمام حصاني الجني ، وركبته وانطلقت وسطهم كالسيف في الفضاء ، ودخلت إلى ميدان القتال ، ولم يستطع أحد التعرف علي ، وعند الظهر غطت جثث الكفار أرض المعركة ولما يعد هناك موطن قدم ، ولم اقبل الليل تفرقوا وعدت إلى المنزل .

جاء إلى جربا جاجرى قائلاً " من أنت هل الذى فعل
لنا هذا ؟ "

فمددت يدي وكشفت عن وجهي وعيني ، وخلعت
خوذتي .

أدرك جربا جاجرى أننى أبوه ، فأخذ يهلل فرحاً
ويقول " أيها الناس لقد عاد جنطوكى " .

وقد عمت الزغاريد المدينة كأنهم قد أخرجوا من نار
حامية ، وأخذ كل منهم يأتينى ويركع أمامى تحية لى ، ولم
أترك منزلاً فى المدينة إلا وقد نال نصيباً من الثروة ، أما
العفريتان اللذان حضرا معى لم يراهما أحد سوى ،
عندما تقدما إلى قائلين " أطال الله حياتك غداً سنرحل
لشأننا "

قلت " أشكركم ، اذهبوا " .

وعندما طلع النهار خرجت وسط المدينة أفخر قائلاً
أنا جنطوكى القائد العسكرى ، غداً ستأكلكم الصقور ، لا
يخرج الجبان " .

بعد ذلك قال " ابن ملك الهند لكورنجو " أنت المقاتل
الماهر اذهب للقاءه أنت ، ما حدث لنا من خسارة بالأمس
كان من أجلك " .

فقال " لقد قضيت ليلة أمس وبطنى تؤلمنى " .

قال له ابن الملك " إن لم تخرج الآن فسأقتلك وتقع فيما
تفر منه " .

ودفعوه بالقوة فخرج ، يتفاخر بصوت منخفض قائلاً "
أنا كورنجو " .

عندما سمعت ذلك أعدت السيف فى غمده ، وأخرجت
عصاى الغليظة لأننى عدلت عن قتله ، وقلت " الحمد لله،
لقد حدث المطلوب ، طالما أن الله قد جمعنا مع الهرب
من المعارك، كلب الكلاب . " .

ثم هجمت عليه وما كدت ألمسه حتى سقط، فقلت
لجربا جاجرى " قيده " فنزل وربطه تماما ، فركب ابن
ملك الهند حصاناً وخرج ، فتقاتلنا معه حتى غروب
الشمس ، وأخذ بعض الناس يقول " لقد تركه جنطوكى "
والبعض الآخر يقول " لا إن من تستهين به ، قد تكون
نهایتك على يده " ، ولكن السبب الحقيقى فى هذا التراخى
أن حصانى توقف عندما شاهد كثرة الفيلة تمنعه من
المسير ، فغضبت ونزلت من فوقه ، وهجمت على
الأعداء.

وبعد ذلك رأيت هذا الكافر وهو فوق ظهر الفيل يفتح
صندوقا ، ويخرج منه شيئاً مثل الشبكة ، ولما ألقاها
التفت حولى ، فأخذنى ووضعنى فوق ظهر الفيل ، وفتح
الصندوق ليلقينى بداخله ، ويذهب بى - هذا أمر

مؤسف - أمرت العفريتين اللذين يحرساني ، فأوقفوا الفيل دون أن يعرف السبب ، وقيدا ابن هذا الأمير ، وسلماه لي. وأمرت جريا جاجرى أن يقيده مع كورنجو ، وبعد أن غربت الشمس تفرقوا فسألني المسلمون عن سبب طول فترة قتالي لفارس واحد فقلت لهم " لأننى أردت أن أقبض عليه وأدخله فى الإسلام لأننى أدركت أنه رجل شجاع " فقالوا " لقد أدركنا ذلك " .

أما الكفار فقد تملكتم الدهشة من أمرى لأنهم منذ أن خلقهم الله لم يروا من يفعل فى ابن الأمير ما فعلت ، ولما شاع الاضطراب بين صفوف الهنود ، أخذ بعضهم يقول إننى من الجن ، والبعض يقول إننى رجل شجاع ، وبعد ذلك صنعت حيلة وجئت بسهام غير مسممة وقلت " ارموا الكفار بها " فلما أحست الفيلة بها هاجت وألقت من فوقها، وجرت وأخذت تدوس الناس بأقدامها ، فلما أدركوا استحالة النصر ولوا الأدبار ؛ أما ابن الأمير فقد أسلم ، وطلبت منه أن يعود إلى وطنه فقال " إنه يخشى أن يقتله أبوه عندما يعلم أنه أسلم " .

أما كورنجو فقد كان المسلمون يخرجون كل يوم ويضربونه ثم يعيدونه إلى سجنه ، ولما وصل الفارون إلى الهند أخبروا ملكهم أن ابنه قد أسلم فغضب وأخذ يجمع المحاربين حتى يأتى للقضاء على جنطوكى ، وتستحق الفيلة سكان المدينة من المسلمين .

أعددت العدة للحرب وذهبت إلى بلاد الهند بجيوش لا
نهاية لها ، وواصلنا السير حتى اقتربنا من المدينة ،
فنزلنا ، وبعد ذلك تسالت مع جربا جاجرى وابن ملك
الهند ودخلنا المدينة ليلاً ، حتى وصلنا إلى قصر الملك .
فوجدناه نائمًا .

ركله ابنه برجله وقال له " قم يا كلب " فاستيقظ قائلاً " من ؟ "

قال الابن " سيدك ، جنطوكى قائد جيوش المسلمين ؛
ألا تعلم أن الإسلام قوة ؟ "

لم يفعل ذلك بأبيه احتقاراً له ، ولكن لأنه كافر ، ولأننا
نريد أن يسلم ، وحتى لا نهلك رجاله تسللنا إليه فى جنح
الظلام .

قلت له " أسلم تخلص نفسك من الموت " فأبى
فقلت للجن " اضربوه " فانهالوا عليه لطمًا ، وقيدوه
وخرجوا به إلى الدهليز .

قلت للابن " اذهب إلى أبيك وحاول إقناعه ، وعرفه
حقيقة الإسلام ليسلم ، لأننا لا نريد أهانتة إكرامًا لك "
فذهب إليه وحاول إقناعه ولكنه أصر على كفره ، فلما
أدركت أن العجز لم يكتب له الإسلام ضربته ضربة
قسمته نصفين ، وطلبت أن يلقي نصفه فى حجرته ليكون
عبرة لأبنائه ، والنصف الآخر فى فناء القصر ليراه

الأمراء ليعرفوا أن هذا مصير الكافرين ، ووليت الابن السلطة بعد أبيه وقلت لخدمه " كل من ترونه يعصى هذا الابن اضربوه " .

ووقف المداحون يمدحونه قائلين " خير من الضرب والسجن طاعة الأمير " ، وعندما جاء الظهر كان أتباعه قد أسروا خمسة وثمانين رجلاً ؛ فقلت للأسرى " أسلموا تأمنوا ، واتبعوا هذا الغلام " قالوا " سمعنا وطاعة " .

قلت " كل يعود إلى منصبه ، واذهبوا إلى أهلكم وادعوهم إلى الإسلام بأنفسكم ، ومن يرفض ما تدعون إليه ، حطت لكم دمه " .

قالوا " سمعنا وطاعة " .

وهكذا فعلت مع كل الناس ، ووليت كل أتباعى فى المدن التى أسلم أهلها ، أما كورنجو الذى رفض الإسلام فقد أمرت أن يقتل ، فأخذ الأطفال يرمونه بالسهم حتى مات ، وحملوه وألقوه فى مكان القاذورات كالكلب .

أمرت العفريتين الملازمين لى أن يذهبا ويستطلعا لى ما يدور فى موطنى فطارا فى الفضاء حيث شاهدا جيشا يسير فى الغابة مثل الجراد لا نهاية له فهبطا وانقلبا إلى صورة آدمى وسألا عن وجهه الجيش ، قالوا إنهم جنود انكوى ذاهبون لمحاربة هذا الشيطان الآدمى الذى يسمى

جنطوكى الذى أعيا الناس أمره ؛ فتركوهم حتى ناموا جميعًا ، ثم ذهبوا إلى خيمة قائد الجيش فوجداه نائمًا والمصباح مشتعلًا ، فحملاه بالسريير الذى يرقد فوقه وطارا به حتى وصلا به إلى ، ووضعاه أمامى ، وقصنا على كل ما شاهداه .

قلت لهما " أيقظاه " فتمدد وأخرج ما فى بطنه من غازات ، وقال " عجا أين أنا ؟ " فركله همباما بقدمه ، فقام يقول " عجا ، أين أنا ؟ "

قال همباما " أمام أمير المسلمين جنطوكى ، اتبع الطريق سوى تتجو من الهلاك " .

قال " وماذا جاء بى إلى هنا ؟ "

قلت " الجن " .

فرفع رأسه ليراها فظهرا له فى صورتيهما الأصلية ، بأسنانهما البارزة ، وفى الحال اتبعنى دون جدال ، وقال لى كل ما لديه من أخبار وما حدث لزوجتى التى تركتها ، وكيف قتلت ، وغير ذلك من الأخبار وفى الحال أعلن إسلامه .

وعندما طلع النهار لم يجد الجيش قائده ، فأمرت أن يعيدوه مكانه ، عند ذلك أسلم الجميع ، وبعد ذلك أمرتهم بالعودة ليحاربوا أميرهم إنكوى قبل أن أعود ، وأمددتهم بألف حصان ، وعادوا .

أما الذين هربوا فقد حملوا خبر إسلام قائدهم وأنه عائد لقتال الأمير فغضب الأمير وسب الشمس والقمر والنار والنجوم ، وجهز جيشاً وأمر عليه أحد خدمه .

وركب ليودعه عند ملتقى الطرق ، عندئذ رأى الغبار يرتفع إلى السماء ، فأمر أن يذهبوا ليستطلعوا الأمر ؛ فقالوا القائد الذى ذهب بجيشه لمحاربة المسلمين عاد ليحاربك ، أى بعد أن علمته الرماية عاد ليرميك " .

وقبل أن أعود وجدتهم أثاروا الفوضى فى المدينة ، وقد قبضوا على أميرهم وأخذ ابنه يتوسل لدى الأمير كباراً لإطلاق سراحه ، وخلال هذه الفوضى وصلت إلى المدينة بجيش لا نهاية له ، وانهالوا عليهم ضرباً ، وكان السماء قد أمطرت دماً فى كل مكان فى المدينة ، وفى الحال أسلموا وأخذوا يضربون الأمير وكانهم يدقون الطبول ، وعندما سمعت أم نور حماتى بأننى جئت ، انفجرت فى البكاء لأنها تذكرت ابنتها التى أمر الأمير أن يذهبوا لقتلها ، وسألتها " من الذى قال اقتلوها ؟ " قالت

" فلان " فأمرت باستدعائه ، وسأله فقال " أطل الله حياتك ، لم أقلتها ، لقد أشفقت عليها ، وأطلقت سراحها في الغابة ، وطلبت منها ألا تعود حتى لا نقتل معا . ولكن لا أعرف مصيرها الآن " .

فشكرته ، وكافأته بسخاء ، واستدعيت المنجمين وقلت لهم " هل نور ما زالت على قيد الحياة ؟ " فضربوا الرمل وقالوا " إنها حية ، ولكنها وقعت في يد الجن ، وقد ولدت لك ابنا حيث كانت حاملا عندما تركتها " .

أما ابن الأمير إنكوى ، الذي ذهب إلى الأمير كبارا فقد قال له أنني تزوجت نور ، وكان هو أيضا يحبها ، وكان تحت هذا الأمير كثير من الجن - وإذا استجاب الله الدعاء حدث المطلوب بسهولة - فأمر أحد الجن أن يأتي له بجنطوكى .

وكان مساعداى قد طافا الدنيا يستطلعان لى أخبارها ، فلما وصل الرسول وقف على النافذة كالطائر ، وكان اجتماع الحاشية قد انفض ، ودخلت المنزل لأنام ، ودخل العفريت على ، وهو يحمل شيئا فقدت الوعي عندما شمته ، ولما حملنى لم يضعنى إلا أمام أميرهم ، وقص على كل ما فعل ، فقال الأمير " لا توقظه وأحمله إلى النهر وألقه فيه حتى يموت ، ويسود السلام بين الناس " ،

وذهب وألقاني في الماء وكانني جثة حصان نفق ، ولكن الله قادر على كل شيء فعال لما يريد " .

عندما استيقظت شربت كثيراً من الماء ، وحملني ماء البحر وأخذ يلقي بي هنا وهناك ، ولا أشعر بأي شيء فقد كنت فاقد الوعي ، حتى حملني الماء إلى البحر المحيط ، وهو البحر الذي يحيط بالدنيا ، وألقيت بي الأمواج على جزيرة ، فأخذت أخرج ما في بطني من أعلى وأسفل ، حتى كادت أمعائي تخرج من بطني ، ولما انتهى أثر المخدر أفقت بسلام .

وأنا على هذا الحال وإذا بمركب يبعثه الله بالقرب مني ، فرأوني وأنا ألوح لهم بيدي ، فجاءوا إليّ وحملوني ، وسألوني " ماذا جاء بك إلى هنا ؟ "

قلت " أعطوني طعاماً أولاً أملاً بطني الخاوية ، قدموا إلي الطعام فأكلت وشبعت وهدأت نفسي .

قالوا " اقصص علينا خبرك " .

فقلت لهم " لا تسألوا عن أخباري ، أخبروني أنتم ماذا تعبدون ؟ "

قالوا " نعبد الأصنام " .

قلت " لعنكم الله ، أنتم وأصنامكم ، رجال فاسدون ،
اعبدوا الله الذى خلق السماوات والأرض ، وخلقكم ،
وخلق كل ما نرى ، وما لا نرى " .

قالوا " عجباً ، لقد نجيناك الآن وأنت موشك على
الهلاك ، وبدلاً من أن تقدم إلينا الشكر تسبنا ؟ "

قلت " نعم ، لعنكم الله ، أنتم لم تتقذونى ، ولكن الله هو
الذى أنقذنى ، ولا أبالى بجماعتكم الصغيرة " .

عندما سمعوا ذلك انهالوا على ضربا ، ولم أكن أرتدى
إلا سائر العورة ، فضربتهم بجمع يدي ، وفى الحال قتلت
أربعين رجلاً منهم ، فتراجعوا إلى الوراء وبدأ عليهم
الوجوم ، وأخذوا يحدقون بعيونهم ولا يتحركون ، وتقدم
شاب منهم وقال " هل نحن نساء حتى يتغلب علينا هذا
الرجل ؟ " فلما سمعوا هذا الكلام زاد حماسهم وهجموا
علي مرة أخرى فأخذت أضرب فيهم حتى أعيانى التعب ،
حينئذ أسرونى ، وقيدونى ، وقالوا " لا ينبغي أن نقتله بل
نحمله إلى أميرنا ليراه " ، وأخذونى وإقونى فى المركب
كما تلقى بالة القطن .

وكان لدى أميرهم صنم ، يسكنه أحد الجن ، وكل ما
يريد معرفته يسأل الصنم فيجيبه الجنى ، فسأل عن أخبار
الدنيا ، فقص عليه كل أخبارها ، وعند وصولهم أمرهم
الأمير بقتلى ، ولكن الأمير رأى أن يتركنى إلى الغد

ويحرقنى فى ميدان عام حتى يرانى الناس جميعاً ، وفى الليل أشعلوا نيراناً كثيرة ، وحملونى إلى المعبد وأغلقوه حتى الصباح ، رأيتنى فى هذا اليوم وحيداً مع الصنم ، فقضيت الليل أذكر الله وأصلى على الرسول ، فلما سمع الجنى الذى يسكن الصنم ذكر الله رق قلبه ، فخرج إلى قائل " أيها الشاب ألا تهدينى إلى الإسلام ؟ " فأسلم وكان ابن أحد الجن اسمه زلزلو بن مزلزلو .

وقبل أن يطلع النهار كان قد خلصنى من الأسر وطار بى وقصد مدينة أبيه ، وقبل أن نصل إلى المدينة كان أحد الجن قد أخبر أباه أن ابنه أسلم ، فغضب غضباً شديداً ، فلما وصلنا إليه أمر بحبس ابنه ، وأمرهم أن يذهبوا بى إلى النهر ويلقونى فيه ، وكانت برودة هذا النهر تفوق برودة الثلج ، وقبل أن يصل الخادم إلى هذا النهر بساعة واحدة ، أراد الله أن يتعب من حملنى فأنزلنى ليستريح ، فغلبه النوم ، فخلصت نفسى وبحثت عن حجر كبير وضربت به على رأسه فانكسرت ومات فى الحال ؛ فدخلت الغابة وأخذت أكل من ثمار أشجارها .

وفى الصباح أمر الأمير بإحضارى من المعبد ، فبحثوا عنى فلم يجدونى ولم يجدوا الصنم ، فأصابهم الحزن والدهشة ، وأمر أن يستدعى الوزير الذى أشار عليه بإيقائى حتى الصباح لأحرق ، وقال له " لقد منعتنى

أمس من قتل هذا الضيف ، وها هو قد هرب وأخذ الصنم معه ، دون أن يفتح باباً أو نافذة " ، ثم أمسك السيف وقطع به رأس الوزير .

ولما رأى أبناء الوزير ذلك قتلوا الأمير ، ونشبت الحرب بين رجال الأمير وأتباع الوزير ، وأخذوا يقتلون بعضهم رجالاً ونساء عدا رجلين استطاعا الفرار إلى المدينة ، هذا ما أراد الله أن يقع بينهم .

وهناك حكمة لا نعلمها فى كل ما يفعله سبحانه وتعالى ، نسأل الله أن يتوفانا على الإيمان ، آمين .

بعد أن قتلت العفريت ظلمت أتجول سبع سنوات فى الغابة ، عارى الجسم ، وذات يوم رأيت عفريتتين كل منهما يخطف رجلاً ، ووصلا إلى ، نظرا إلى وظننا أننا من الجن ، فشعري يصل إلى كتفى ، عريان لا يستر عورتى شيء ، وكنت أصلى هكذا ، فسألانى من أى قبائل الجن ؟

قلت " أنا رجل من الإنس " وقصصت عليهم قصتى .

قال أحدهما " انتظرنى هنا ، بعد غد آتيك وأحملك إلى وطنك ، بعد أن نحمل إلى أميرنا هذين العجائين " .
قلت " أين هما ؟ "

قالا " هذان الرجلان ، حتى يجد أميرنا طعامه "؛
فتعجبت من هذا الكلام .

وبعد يومين رأيت العفريت يعود ومعه ثوب قدمه إلي
لأرتديه ، وحملني وطار بي، وارتفع إلى السماء حتى
سمعت تسبيح الملائكة ، فأخذت أسبح مثلهم ، وأخذ هذا
العفريت يهبط بي حتى ألقاني فى البحر ، وسقط ميتا ،
وظللت أسبح ثلاثة أيام ، حتى وجدت نفسى بالقرب من
جزيرة طويلة فخرجت ومشيت فيها ، وأخذت أكل من
ثمار أشجارها .

رأيت طريقاً صغيراً ، فواصلت السير فيه حتى
وصلت إلى إحدى المدن ، فوجدت سيدة تحكمها ، وكانت
تشبه فى عاداتها أمينة ابنة أمير ززو ، فكانوا يأتون لها
برجل كل ليلة ينام معها ، وفى صباح اليوم التالى تقتله،
وفجأة وصلت إلى هذه المدينة ، فأحببتى حباً جماً ،
وعندما أقبل الليل ، حاولت أن أنام معها ولكنى رفضت ،
وقلت الموت عندى أفضل من انحراف خلقى ، فاحضرت
ماء وبصقت فيه ومسحت جسمى به ، فصرت قرداً ،
ومكثت قرداً لمدة عام كامل والحبل مربوط فى خاصرتى،
يلعبون بي ويرمون لى الفول السودانى فأكل .

وذات يوم قالت لى هذه الأميرة " هل تفعل كل ما
أطلبه منك ؟ "

فرددت عليها بهز رأسى بأننى سأفعل كل ما تأمرنى به ، وفى الليل طلبت ماء وبصقت فيه ، ومسحت جسمى به ، فعدت إنساناً سوياً .

قالت " أوفى بالوعد " .

قلت " سأفعل " .

ثم قمت وأمسكت عنقها ولويته ، فماتت فى الحال من شدة الضربة ، وقمت مسرعاً وتوجهت إلى خزانتها؛ فوجدت سيفاً حاداً ، فأخذت ألهو به وتناولت قطعة من القماش ومسحته بها فرحاً بحصولى على السلاح الذى أقاتل به .

وفى الصباح بحث عنها أتباعها فى كل مكان فلم يجدوها ، فجلسوا فى حيرة يفكرون فيما سيفعلون .

أما زلزولو ابن ملك الجن ، فلم يطلق سراحه إلا بعد عام كامل ، ولما أطلق سراحه قتل أباه ، واستولى على السلطة بالقوة ، وأسلم على يديه كل سكان المدينة ، أما زوجتى التى أمر أمير إنكوى بقتلها ، والتى أطلق سراحها فى الغابة ؛ فقد هامت على وجهها فى الغابة تنتقل من مكان إلى مكان حتى وصلت بفضل الله إلى مدينة طيبة ، ليس فيها إلا النساء ، ويسكنها الجنيات فرحين بها ، قصت عليهن كل ما حدث لها ، فقلن لها :

لا تحزننى ، كلنى واشربى ، والبسى ما تريدن ، فسرت
بذلك .

وأثناء ذلك أنجبت ولداً ، فقام الجن بخدمتها أثناء
الولادة ، لقد كان هؤلاء الجن خدم الملك ، يأتى لزيارتهم
كل شهر ، كما أخبرناها وذات يوم جاء إليهم الملك ،
فذهب الجميع لتحيته ، وذهبت معهن بابنها الذى حملته
على ظهرها .

قال ملك الجن " من هذه ؟ " فأخبرته بقصتها كلها .

قال " يا فتاة ما اسمك ؟ "

قالت " نور " .

قال " سأسمى هذا الطفل ، واصبرى حتى يكبر ابنك ،
وسأخذه فى جيش الجن ، ونذهب لقتل أبيك ونوليّه السلطة
بأية وسيلة " .

قالت " وهو كذلك " وشكرته وانصرفت .

ولما كبر الابن ، أخذ يخرج مع الجن لصيد الأسود ، ثم
أخذ يتبعهم حيثما ذهبوا ، وأصبح هو الوحيد الذى يستطيع
قتل الأسد بالسيف ، وأخذ يخرج معهم لسلب السكان فى
المدن ، وأصبح هو الشيطان الذى يرهبه الناس .

ولما بلغ عمره الخامسة عشر ، سأل أمه قائلاً " يا أمى ، أين أبى ؟ "

فانفجرت فى البكاء ، وقصت عليه كل ما لديها من أخبار .

قال الابن " أصبرى ، إن شاء الله ، سأتيك برأس أمير إنكوى ، من له ابن مثلى لا ينبغي أن يبكى شيئاً ، ولد واحد مثلى خير من عشرات من الرجال لا خير فيهم . "

ثم أعد مائتين من الجن ، وقصد إنكوى ، فقابلته كل سكان المدينة ، فقتلهم جميعاً ومضى لشأنه ، وقبل أن يصل إلى إنكوى وصل عددهم خمسة آلاف ، والجميع من إنس وجن يؤيدونه ، فلما وصلوا المدينة أقاموا دائرة حولها ، ولم يقولوا شيئاً حتى مل الجميع هذا الموقف ، ولم يعرفوا السبب ، لقد بعث إلى والدته لتأتى وترى ما سيفعل ابنها .

بعد أن وجدت جثة الأميرة التى أخبرتكم أننى قتلتها ، استعد الجميع للقتال ، فحملت سلاحى وعدت لممارسة هوايتى الحربية ، وفى هذه الليلة رأى صديقى زلزو ابن ملك الجن مناما فى الليل ، رأى فى مدينة الأميرة ، ويحيط به الكفار ليقتلوني ، وليس لى معين سوى الله ورسوله ، فلما استيقظ فى نفس الليلة ، أمر بدق طبول

الحرب ، واستعد الرجال للحرب وركب الفرسان خيولهم ،
والتف حوله ألف من الجن يتعجبون من خروجه فى
الليل، ولم يعرف أحد وجهته ، وقصد المدينة ليساعدنى .

ولما وصل شعر أن الرؤيا تحققت ، فقد أحاطونى من
كل جانب وأخذوا يطعنوننى من اليمين ومن الشمال ، وأنا
أقول " إننى رجل واحد يغلب ألف ، أنا أبو جربا ! أيها
الكفار ألا تعرفون جنطوكى ؟ " وأخذت رؤوسهم تسقط
كما تسقط العاصفة أوراق الشجر ، وهجم الجن عليهم
وفى الحال قضوا عليهم جميعًا .

وعندما انقشع غبار المعركة ، رأيت زلزالو ، فتبادلنا
التحية ، فقال " رأيت فى المنام أمس أن الكفار يحيطون
بك ؛ لذلك جئتك فى الحال " فشكرته ، وذكر لى ما فعلوه
بأبيه مزلزالو ، وجمعنا ثروة كبيرة وعدنا إلى زلزو ،
وبحثت عن شخص أمين ووليته السلطة فى المدينة بدلاً
من الأميرة التى قتلتها بعد أن أسلم الجميع .

وبعد ستة أشهر عزممت على العودة إلى وطنى ،
وحمل أربعة آلاف من الجن ما قدمه إلى زلزالو من هديا،
وحملنى زلزالو بنفسه ، ولم يتوقفوا إلا فوق سطح منزلى
صباحًا ، فنزلت وأيقظت أولادى ، وقلت لهم " أنا
زوجكن جنطوكى " ، وكلما جاءت واحدة من زوجاتى
عانقتنى لشدة سرورها ، وبعد ذلك خرجت إلى المدينة ،

فعمها السرور ، وأخذ سكانها يهتفون جميعاً ، لقد عاد جنطوكى ، لقد عاد جنطوكى ، جاء الأمراء جميعاً لتحيّتى ، وعانقت جربا جاجرى ، وقبلت رأسه وأخذنا نبكي من شدة السرور والحنين .

حينئذ قلت لهم " هذه الجيوش التى تحيط بالمدينة من أين جاءت ؟ "

قالوا " لا نعرف ، لقد جاءوا وعسكروا ، ولم نقل لهم شيئاً ، ولم يقولوا لنا شيئاً " .

قلت " غدا ابعثوا إليهم برسالة ، ومهما يكن الأمر فليأتوا ، على الرحب والسعة " .

لقد كان قائد الجيش الذى أحاط بالمدينة هو ابنى الذى قصصت عليكم خبره ، لقد وصل مع والدته فى هذه الليلة ، التى ينتظرون وصولها ، وها أنا أيضاً قد عدت ، لقد فارقتها منذ كانت حاملاً فى هذا القائد ، الله قادر على كل شيء . عندما طلع النهار ، استعد هو وجنوده ، وما معه من الجن وكل من إصطحيه ، وبدأوا القتال ، خرج ابنى وأخذ يتفاخر قائلاً " لا يخرج إلا أمراؤكم " (لأنه لا يعرف أن والده استولى على المدينة وقتل جده ، والد أمه) .

خرجت ، وبدأ القتال ، وتكسرت الرماح ، فبدأت حرب
السيوف ، حتى تلتفت ، وتعبت الخيول ، فنزلنا إلى
الأرض ودارت المعركة بالأيدي منذ الصباح حتى
الظهر ، قال الناس " لم يتلق جنطوكى بفارس مغوار مثل
هذا " وأمسك الابن أباه ، ورفعني إلى أعلى ووضعني
فوق كتفه ، وكاد يلقيني على الأرض ، فعركت أذنه ،
وكدت أقطعها ، فشعر الغلام كأن السماء قد وقعت على
رأسه ، فصرخ قائلاً " تبت ، الأمان " ؛ فأمرت بوضعه
في الأغلال ، فهجم رجاله مرة واحدة ، وكذلك فعل
أتباعي ، وبسرعة نشبت معركة حامية ، وصار صليل
السيوف كالرعد يصم الأذان ، وفي الحال قضى على
جيش الغلام ، وبعد ذلك جلست على الكرسي ، وطلبت
أن يأتوني بهذا الغلام الذي قاد المعركة ؛ فلما جاءوا به
قلت له " من أين جئت ؟ وما اسم أبيك ؟

قال " جنطوكى قائد جيوش المسلمين " .

قلت " جنطوكى أبو جربا ، وكيف عرفت ؟ قال هكذا
قالت لي أمي " فأخذ كل رجل في الحاشية ينظر إلى
أخيه " .

قلت " فكو وثاقه " ففعلوا .

قلت " أنى أعرف ذلك ، رجل ابن رجل ، إننى أعلم أنه لا يوجد سواى فى هذه الدنيا ينبى ولداً شجاعاً مثلك ، من هى أمك ؟ "

قال " نور " فأمرت أن يأتونى بها ، فلما رأتنى عانقتنى من شدة السرور ، ودخلت إلى المنزل مع زوجاتى ، وودعت زلزو ، وعاد ، وأخذ كل منا يقص على الآخر كل يوم ما وقع له من أحداث .

بعد ذلك طلبت من جربا جاجرى الاسـتعداد لنعود إلى بلاد السودان لنقتل الأشرار والأوربيين الذين سيطروا عليها ؛ لقد حاربنا الجن حتى أصلحنا أمرهم ، فما بالك بالإنـس ، إن إصلاحهم أيسر علينا ؛ بعد أن وزعت رجالى وحددت لكل منهم المكان الذى يقيم فيه ، اتخذنا طريقنا ودخلنا مرة أخرى ، ولكن لم ندخل محاربين ، لقد جئنا لنرى حالهم ومدى قدرتهم ، ووصلت إلى الشيخ طلحة ، حمای ، وقضيت عنده يومين ، ورأيت أخوتى الترنكاوى الذين فروا من سـكوتو ، ورأيت الذين ألقوا السلاح ، واحترفوا الزراعة ، وذهبت إلى مصر ، ورأيتهم يعرفون كل شىء ، فقلت لهم " تحيتى لكم أيها المصريون من الصغير إلى الكبير " .

حينما تجولت فى البلاد رأيت السيطرة على السكان بصورة لم أر مثلاً من قبل ، رأيت العدل قد قام بين

الناس ، فقلت لجربا جارى هذا لا يحدث إلا بإرادة الله ،
والأفضل أن نقوم بتعليم الناس القراءة والكتابة حتى نجد
ما يعيننا على أداء فريضة الحج ، لعل الله يخفف عنا ما
اقتربناه من ذنوب " .

فهب واقفاً وقال " لا ، لن يحدث هذا ، لن نحترق إلا
القتل " .

فناديته وهمست في أذنه قائلاً " أتعرف فائدة العلم؟
أعرف أن كل ما ذهب سيعود ؟ ولولا جهلك لأدركت ما
أعنى ، إذا رأيت الأمراء قد أقاموا العدل ، وتركوا الظلم ،
يصير قتالهم أمراً عسيراً " ، عند ذلك وافق على رأيي .

فقلت له " الأفضل أن أبعثك إلى مدينة كتسينا ، لأننى
أسمع أنها مجمع للعلماء الأفاضل وطلاب العلم " .
قال " سمعاً وطاعة " .

بعد ذلك ذهبت إلى مدينة كتسينا ، أخذت أبيع
وأشتري ، وقد ألقت تلاميذ المدرسة التى التحق بها جربا
جارى ، وبينما هم جالسون أمام حانوتى يشمون الهواء ،
سمعت يوماً أحدهم يقول " يوم الأحد ، عشرين من
شهر أكتوبر ، إن شاء الله فى هذه الوقت سنذهب إلى
مدينة زاريا " .

فسألته السبب فقال " سنذهب إلى زاريا لنرى سمارو
والمحطة ومعسكر الجنود " .

لعلك تعرف أن من شب على شيء شاب عليه فقلت " سأذهب معكم ، لا ينبغي أن ننتظر حتى نسمع الأخبار ، لابد أن نرى بأعيننا ، فالرؤية خير من السماع".

ومرت الأيام حتى جاء اليوم ، فاستأذنت من أسرتي ، ونبعت على جريا جاجرى ، بأن يهتم بعمله ، واتخذنا طريقنا حتى وصلنا إلى مدينة كانو ، حيث رأينا طائفة ينظر إليها أهل المدينة صغارا وكبارا فى دهشة واستغراب ، ولكن هذا لم يدهشنى لأننى رأيتها فى مصر ، وها هم فى كانو مثل الجراد ، ولما غادرنا كانو ووصلنا إلى زاريا ، توجهنا إلى المحطة فى حى سمارو ، لم أر مثل هذا فى وطنى ولكنى رأيته فى الشرق ، ولم يدهشنى شيء كما أدهشنى ما رأيته فى معسكر الجنود ، وقد رأيت الرجال قد حملوا السلاح يروحون ويجيئون حاملين السنكى والبندقية فى وسط الميدان ، فشعرت بجسدى يقشعر ، وبدأت جذوره تتحرك ، ورأيت ما لم أراه وسمعت ما لم أسمع ، فقلت " ويحى الأمس غير اليوم".

ذهبنا أولاً إلى من يطلقون المدافع ، ورأينا كيف توضع فيها الطلقات وكيف يوزع عليهم العمل على المدفع ، وكيف يصدر إليهم الأمر بإطلاق النار ، وفى كل مدفع مرآة يرون فيها الهدف الذى يطلقون عليه النيران ، الذى تقربه إليهم هذه المرآة حتى يخيل للإنسان أنه يستطيع أن يمد يده ويلمسه ، فإذا وضعوا القذيفة ،

وصوبوا المدفع على الهدف تماماً جاعوا بالرصاص ،
ووضعوه فى ثقب فى المدفع فيخرج من فوهته ، ويحدث
ما يحدث من دمار .

وذهبت مع التلاميذ ، ونظرت فى هذه المرأة ، فرأيت
مدينة زرو ، كأننى أستطيع أن أمسكها بيدي ، فقلت "
نعم، إن هؤلاء الرجال لهم شأن عظيم " ، ورأيت ضمن
هؤلاء الرجال " إندا غانا " عرفتة من مشيته والوشم الذى
رسم على شفتيه ، فقلت فى نفسى " هل هذا إندا غانا ؟ "
وانصرفت بفكرى عن هذا الأمر .

بعد ذلك رأيت الجنود فى كل مكان ، يحملون
اللاسلكى فى أيديهم يتحدثون مع بعضهم ، ودخلنا حجرة
كبيرة فلم نجد فيها إلا المدافع يصلحونها ، فقلت فى
نفسى: " أهكذا تغيرت الحياة !! أم أننى فى حلم غريب؟ " .

وواصلت السير مع التلاميذ فرأيت العجب ، فقد كان
الجنود يستقبلون الأوامر باللاسلكى ، ويستعملون الأعلام،
فيحرك أحد الجنود العلم فى يده ، فيرد عليه جندى آخر
من بعيد ، فيحرك العلم الذى يمسكه بطريقة خاصة ،
ويستعملون المرايا كذلك التى ثبتت على بعد ميل،
فيتحدث الإنسان من خلالها إلى الجندى القريب منه فيمده
بالمساعدة ، وواصلنا السير حتى وصلنا إلى من يضعون
الذخيرة فى بنادق طويلة ، إذا أطلقت يخرج الرصاص

ويصعد إلى أعلى، ويطلقونها على الطائرات المعادية ،
ويستطيعون رفع رؤوسهم إلى أعلى من خلال الخنادق
التي حفروها ، وقد أطلقت أمامنا القذائف فلم نرها عندما
ارتفعت في الفضاء ، ولم نعرف أين سقطت .

وعندما عدنا ذهبنا إلى الجندي الغاني ، وحييته فقال
لي : سيدى ، ألسنت جنطوكى ؟

قلت " نعم أنا جنطوكى " .

فقال " ألم تعرفنى ؟ "

قلت " أنت إندا غانا " .

قال " نعم ، أطال الله حياتك " .

وبدا يقص على أخباره منذ أن افترقنا ، وكيف حصل
على هذا المنصب الكبير فى جيش غانا ، وسألنى عن
سيدته ، فقلت له " لقد ماتت هناك فى بلاد الجن " ، ثم
سألنى عن جريا جاجرى .

فقلت له " لقد التحق بالمدرسة ، وصار معلما " .

فقال لى " وما أخبار حربك ، وانتصاراتك ؟ "

قلت " اترك الحديث فى هذا الأمر يا بنى ، الجهل هو
الى جعلنا نحاربهم " .

الماء الشافى

Ruwan Bagaya

تأليف : الحاج أبو بكر إمام

كان يعيش في عهد الشيخ ابن زيارينو رجل مجنون ،
كان يسمى كوجي Kojé أمير القصة ، وسمى بهذا الاسم
لأن جنونه لم يكن يدفعه إلى سب أحد ، أو ضرب أحد ،
ولم يكن يريد شيئاً سوى سماع القصص ، فأخذ يطوف
في البلاد ، يقص على الأغنياء والأمراء قصصه ، وهم
في مقابل ذلك يقدمون له الطعام ، فإذا قص لك قصة لم
تسمعها من قبل ، وأعطيته مالا ، يأخذ جزءاً مما أعطيته
ويرده إليك ، على أن تقص له قصة لم يسمعها ...

وهكذا يطوف في البلاد ، حتى شاء الله أن ينزل في
بلدة اسمها كونتا جورا Kwantagora ، وهي بلدة كبيرة
في بلاد السودان - غرب إفريقيا - فذهب إلى أمير
المدينة ونزل عنده ، وبعد أن أنزل متاعه ، خرج إلى
باب النصر ، وبدأ يمارس هوايته في طلب القصص
والاستماع إليها ، وظل حوالى ثلاثة أيام يقص على
الأمير قصصه ، ويستمتع إلى ما يقصه عليه رجال
الحاشية ، مقابل ما يقص على أميرهم .

وبينما هو يتجول فى المدينة ، وصل إلى مبنى ضخم
به حجرات كثيرة ، ووجد خدما يجلسون على بابه،
فسألهم " بيت من هذا ؟ "

فقالوا " من فى هذه الدنيا كلها لم يعرف الحاج
إلم !!؟؟ " "

قال أمير القصة " هل سيخرج الآن ؟ "

قالوا " وماذا سيخرجه الآن ، طالما أن الظهر لم يحن
حينه ؟ "

حان وقت الظهر ، فسمع وقع الأقدام تف تف تف فقام
كل الجالسين فى الممر ، فلما ظهر رب البيت خرجوا
جميعا راكعين ، تحية له ، فلما جلس نظر إلى كوجى
Koje وقال : من هذا ؟

قال كوجى : أنا أمير القصة ، جئت هذه المدينة منذ
عشرة أيام .

وقص له كل شىء عن هوايته لسماع القصص
الغريبة، وكيف يدفع له ... وما يدفع له ، ثم سأل هل
يشترى ؟

قال رب البيت : لا بأس ، قل وسأستمع إليك ، لقد نلت اليوم ما تتمنى .

فابتسم كوجى وقال : وهو كذلك كل منا نال ما تمنى .

ثم بدأ أمير القصة يقص أخباره ، ولم يتوقف ، ولما قص حوالى ثلاثين قصة قال لرب البيت : ادفع ثمن هذه القصص حتى أحس بالقوة التى تدفعنى للاستمرار .

قال رب البيت : زد .

فأخذ يقص حتى تعب ، ولما انتهى من الحديث قال رب البيت :

كل قصصك لا تستغرق وقتاً أكثر مما بين الصبح والمغرب ، ومع ذلك يسمونك أمير القصة ؟ ثم قال له : عد غداً أنت وأصحابك جميعاً ، وسأقص عليك أخبار كل ما عملته فى هذه الدنيا ، حتى شاء الله أن أجمع كل هذه الثروة التى تراها ، وسأحاول أن أختصر هذه القصص حتى أقصها عليك فى عشرة أيام .

فودعه كوجى أمير القصة وانصرف.

وعندما طلع صباح اليوم التالي ، حضر وجلس ليستمع
إلى رب البيت ، وبعد أن ظهرت الشمس بقليل خرج ،
فصبح عليه الرجال الذين ينتظرونه في مدخل القصر ، ثم
جلس على كرسيه واضجع ونظر إلى كوجي وقال له :
كم أذنا لك ؟

قال : اثنان

فقال رب البيت : ضف إليها الثالثة حتى تحسن السمع.

قال كوجي : وهو كذلك ، شكراً .

الباب الأول

الحاج يخرج للبحث عن الماء الشافى :

قال رب البيت : أولا ، اسمى الحاج إمام ، كان والدى عالماً كبيراً من علماء أمير السودان ، اسمه نا - بكن - كوجى NA BAKIN KOGI وقد تقدم به السن حتى بلغ الكبر ، ولم يرزق بمولود ، حتى ولو ميتاً ، مما سبب له حزناً شديداً ، فهو يملك الكثير من الكتب الضخمة ، ولم يجد لها وارثاً ، ولكن له زوجة ، لها ابن من رجل آخر ، كان شيطاناً ، يقال له سقيمى SAKIMU ، مهما يقدم له أبى من خير ، لا تقبله الأم أو الابن بالشكر .

وذات يوم - وهو على هذا الحال - كبر الولد وصار شجاعاً ، وأصبح فارساً ، وبعد أن بلغ الخامسة عشر من عمره ، وأحس بقوة الشباب ، أخذ يخرج إلى القرى المجاورة ، ويقطع الطريق ، وينهب الناس ، وقد حاول أبى كثيراً ، أن يمنعه فرفض ، فأمر بحبسه .

وبعد أن قضى ثلاثة أيام فى الحبس ، أمر بإطلاق سراحه ، فعاد إلى البيت غضبان ، ويحس بالضيق ،

ولكنه لم يظهر شيئاً ، ولما أقبل الليل ، أخذ سيفه ، وتسلسل إلى حجرة نوم أبى ، وقطع رأسه ، وأخذ الجثثة وكفنها .

وعندما طلع النهار ، خرج إلى الأمير وقال له إن أباه قد مات فى الليل ، بعد أن أحس بمغص شديد ، فاجتمع الناس ، وشيعوه إلى مثواه ، ثم تفرقوا ، واجتمع النسوة ، وأخذن يبكين كالعادة ، ثم سكتن .

وبعد مرور أيام على موت أبى ، رأى سقيمو رؤية ، رأى أبى واقفاً ، ورأى شيئاً صغيراً كانواة التمر يخرج من ذكره ، ثم أخذ ينمو حتى صار كالأسد ، وعندما بلغ ذلك انقض على سقيمو وقتله .

هذه الرؤية أقضت مضجعه ، فلما طلع الصباح ، جمع علماء التنجيم ليضربوا له الرمل .

أخذ العلماء يخطون على الرمل خطوطاً ، ثم يمحوونها ، عدة مرات ، وأخيراً قال كبيرهم : ستلد إحدى نساء الشيخ الذى توفى فى هذا البيت ولدا سيقتلك ؛ فقال سقيمو : مع أننى لا أعرف فى هذا الفن ، إلا أنه كذب ، فرب هذا البيت لم يسبق له الإنجاب ، اغربوا عن وجهى ، كهنة لا فائدة منهم .

فنفض كل منهم يده من الرمال ، وانصرف فى خجل .

وفى منتصف الليل استيقظ سقيمو من نومه ، وأخذ يفكر ويدبر ، وتذكر ما قاله المنجمون ويقول : كما يجب أن نخاف الله ، يجب أن نخاف قول المنجمين كذلك ، الأفضل أن أهلك هؤلاء النسوة الأربع كلهن ، قبل أن يوفين العدة ، كيلا تصير أقوال أصحاب الحياة الطويلة حقيقة .

لذلك فكر فى الحصول على سم ليدسه لهن ، واحدة بعد الأخرى ، حتى يمتن ، فيقال إن الحزن على فراق زوجهن قتلهن ، ولكن والدتي كانت قد تركت المدينة قبل ذلك ، فمنذ وفاة والدي ، أخذها أبواها لتعيش معهما فى القرية التى يعيشان فيها .

ولكن سقيمو لم يتركها ، فأرسل خادماً من خدمه الأشرار إلى هذه القرية ، وشرح له ما سيفعله حتى يسرقها ، ويخترق بها الغابة ليقتلها ، فلما أقبل الليل وضع الخادم السرج على الحصان ، وذهب وسرقها ، بعد أن ربط فمها وذهب بها خارج المدينة ، حيث أخفى حصانه ، وضعها مقيدة على الحصان ، واخترق الغابة بها بسرعة شديدة ، حتى اقترب الصباح ، فوقف واستل سيفه ، ليقتلها فوطئ ذيل حية ضخمة ، فلدغته ، فسقط فى الحال ميتاً ، واخترق الحصان الغابة جرياً .

تحيرت والدتي ، ولم تعرف شرقاً ولا غرباً ، وخافت أن تسأل عن الطريق إلى المدينة ، وممرت أيام عليها وهي تسير على غير هدى ، حتى وصلت إلى هنا ، إلى " كونتا جوار " ، وأراد الله أن تبلغ في هذا الوقت الشهر الثاني من حملها ، وممرت الأيام ، وكبر الجنين ، ثم ولدتي هنا ، في بيت أمام المدينة ، فسميت باسم الحاج إمام ، لأن إمام المدينة لم يكن له ولد أو حفيد ، لذلك قال إنه وجد ابنا وسماني إمام ، أي الإمام الثاني من بعده .

وكانت أمي تسمى " ياقوتة " ، عندما بلغت الأربعين يوماً من الولادة ، عقد لها على إمام المدينة ، وهكذا حتى بلغت الثانية عشرة من عمري ، وقد حاول الإمام كثيراً أن يعلمني القراءة ، ولكنه فشل في ذلك ، وهما أنا قد كبرت ، ولا أعرف حتى الألف ، ومع ذلك جعلني كابنه تماماً ، ولم ينظر إلى نظرة غضب واحدة ، ولا ضربني .

وذات يوم ، بعد أن انتهيت من صلاة الجمعة ، رأيت الإمام - أبي - يعود إلى البيت ، وعيناه يسيل منهما دمع غزير ، فقابلته باكياً وقلت له : بابا عافية .. فقال : أين هي العافية ؟ !! لقد أخرجني الأمير اليوم أمام الناس .

ولما سألته عن سبب ذلك قال : لأنه كان يجلس بين رجال الحاشية اليوم فقال إن ابنه ياريم Yarima مريض ولا يستطيع الحركة ، فقلت له : سمعت أنه يقال لو وجد

الماء الشافى ، فى أية مدينة لارتاح كل سكان هذه المدينة
من وباء هذا الزمان ؛ لأننى قلت هذا الكلام البسيط ،
غضب الأمير ، وادعى أننى أسخر منه .

عندما سمعت أبى يقول ذلك غضبت ، فعدت إلى
البيت وأخذت عصاتى الصغيرة ، وذهبت إلى حجرة أبى،
وطلبت المغفرة منه ، وقلت له سأتجول فى الدنيا ،
وخرجت من المدينة من الباب الشرقى ، تفاعلاً فقط ،
وليس لمعرفة للجهة التى سأقصدها ، وأخذت طريق
تمبوكتو، سرت كثيراً ، وبعد أن سرت سبعين يوماً ،
رأيت على البعد صخرة فى وسط غابة لا حياة فيها ،
فقلت فى نفسى : لأذهب إلى هذه الصخرة ، ربما أجد ماء
أسد به رمقى .

قضدت الصخرة مباشرة ، وعندما وصلت إليها ،
رأيت كهفاً كبيراً ، فتوقعت أننى سأجد فيه ماء ، فأطلت
برأسى فيه ، ثم توغلت بداخله وسمعت من يقول لى :
أنت إنسى أم جنى ؟ !!

عندما سمعت ذلك ، أسقط فى يدى ، وخفت وأخذ
كبدى يرتعش ، ثم تشجعت وقلت : إنسى ... فرأيت شيخاً
كبيراً يقبل علىّ ، وهو يمسك مسبحة فى يده، وسألنى عن
قصتى ، فقلت له كل شىء من البداية حتى النهاية .

ولما عرف أن في نيتي الوصول إلى الماء الشافى ،
صرخ صرخة شديدة ، وقال : " يا والدى أنت إنسى أم
جن؟ ما دفعنى إلى أن أسأله هذا السؤال إننى رأيته
يحشرج حشرجة وصلت إلى صدره ، فأجابنى قائلاً :
إننى إنسى ... أخوك ، قضيت هنا سبعين عاماً ، فى
العبادة ، لم أر مخلوقاً قط سواك اليوم .

وبدا يقص على قصته ، وقصة مدينته ، وأقاربه ،
فأحسست كأنه أبى الأخ الأكبر للإمام ، الذى طالما قص
على الإمام قصته ، وقال إنه هام على وجهه فى الدنيا ،
ولم يعرف أين هو الآن ، ولما انتهت من كلامه عرفته
بنفسى ، فأخذنا نتعانق ونبكي فرحاً ، وسألنى عن أخبار
المدينة فقلت له كل شىء .

قضيت يومين عنده لأستريح ، وأكل من ثمار
الأشجار ، لأنها طعامه الوحيد ، وبعد أن تألفنا طلبت منه
أن يضرب لى الرمل ، ليحدثنى عن أخبارى وأخبار
نيتى ، فضربه وقال لى : إن الماء الشافى موجود فى هذه
الدنيا ولكنه تحت سيطرة الجن ، وليس على ظهر هذه
الأرض التى تطأها قدماك الآن .

وعندما انتهى من قص خبره قلت له لا بأس ، طالما
أنها موجودة فى هذه الدنيا ، سأبحث عنها إلى آخر يوم

من حياتى ، مع أن الإمام زوج والدتى ، ولكننى لن أسمح لأحد أن يهينه .

بعد أن قضيت سبعين يوماً فى الرحلة ، وصلت إلى مدينة تمبوكتو ، فأعددت نفسى كما يعد التجار أنفسهم ، وذهبت إلى الأمير ، وقلت له إننى تاجر ، وتجارتي فى أعقابى ، ستصل بعد ثلاثة أيام — ما دفعنى إلى أن أقول له ذلك إننى تركت ماشية أحد التجار خلفى فى الطريق .

لعلك تعرف رحيل الرجل المفلس ، لا ينام إلا فى استراحة التجار فى الطريق لذلك تركهم .

وتعددت أن أشتري ماء كل يوم ، وشربه بثلاثة قروش ، وأخرج إلى باب البيت الذى أنزل فيه ، وأصبها فى كل مكان ، لأنه كان لدى صديق غنى ، يسأتى لزيارتي كل يوم فى المغرب ، فإذا جلس لتحيتى أقول له : كش الأولاد وسخوا الأرض بالشربة ، فإذا التفت ليجلس فى الغرب قلت له ، وهنا أيضاً ، وإذا التفت جنوباً أو شمالاً ، أقول له وهنا أيضاً ، كل المكان وسخوه ، حتى يظن أننى غنى ، أطعم كل فقراء المدينة ، منذ أن جئت ، فى الوقت الذى أعيش فيه على الكفاف .

وبقدرة الله ، بدأ الجميع يعتقدون ذلك ، حتى استطعت أن أقترض منه حوالى خمسين جنيهاً ، وكل يوم أتحايل عليه قائلاً ، عندما تصل ماشيتى ، لن أبيع لأحد سواه

فقط ، وسيمسك أى ثور ، ويخفض فى ثمنه كيفما يشاء ،
لأنها كلها ملكى .

ومضى ثلاثة أيام ، ولم تصل ماشيتى ، وذات يوم
رأى بعض التجار ، فقال لى : لنسألهم عن أخبار ماشيتك ؛
فأجبتهم : يجب أن نسألهم .

فقابلتهم وسألتهم : هل تركتم ماشية كثيرة وراءكم ؟
فأجابوا : نعم ستصل غداً .

أى الماشية التى تركتها ورائى ، قد رأوها .

وعندما أحسست أنه إذا وصلوا غداً سيكتشف كذبنى ،
ذهبت إلى بيت هذا التاجر وقلت له : أريد خمسين جنيهاً
أخرى ، قبل أن تصل الماشية فى الصباح وتباع ،
فأعطانى فى الحال ، وبذلك اقترضت منه مائة جنيه .

وبعد أن خرجت من عنده ، اخترقت الغابة ، بدلاً من
اتباع الطريق العام ، وبعد أن سرت واحداً وأربعين يوماً ،
وصلت إلى مدينة يقال لها " سابورى Saburi " وهى
مدينة كبيرة ، ولكن كل سكانها جهلاء تماماً ، لا يوجد
فيهم من يعرف حتى الألف إلا أنا فقط ، وأنا أيضاً ، لا
أعرف شيئاً من القرآن ، إلا آية واحدة ، كنت أسمع
المعلم يقرأها دائماً ، إذ صلى التراويح وهى
" مدهامتان " :

عندما وصلت أخذت مسبحة طويلة ، وقصدت بيت الأمير ، وقلت له إننى عالم .

فقال : من أين ؟

قلت : من البلاد العربية .

عندما سمع الأمير ذلك سر بقومى ، وقال : إلى أين ذاهب ؟

قلت : سابقى هنا ، لقد كنت أرى دائماً فى منامى هذه المدينة ويطلب منى أن أتى لأعلمكم الصلاة لتدخلوا الجنة كلكم بسبب عدلك يا أمير .

لما سمع الأمير ذلك ، جمع كبار رجال المدينة كلهم وأخبرهم .

جمعت ستة لأعلمهم الصلاة ، ولم أعرف ما أقول لهم ، مكثت كل يوم أعلمهم هذه الآية "مدهامتان" وجاء كل أبناء المدينة ، لأعلمهم القراءة ، وبعد أيام قلائل حفظ كل واحد منهم "مدهامتان" ومن حفظها جيداً أخذ يرددها بطرق مختلفة ، فمرة يرفع صوته ، أو يخفضه ، أو يخرج صوتاً مختلفاً حتى يحفظها تماماً .

بعد أن مكثت حوالى سبعة أشهر ، حضر إلى المدينة ذات يوم أحد العلماء فأخبره الأمير قصتى وشهرتى فى المدينة كلها ، ولعلك تعرف أن العلماء يعيبون زملاءهم ،

فجاء وتبادلنا التحية ، فى هذا الوقت جمعت مالا كثيراً ،
لأننى كنت صاحب الأمر والنهى فى المدينة، حتى
جعلونى كالصنم الذى يعبد .

وعندما وصل هذا العالم وتبادلنا التحية قلت :

ما اسمك ؟

قال : اسمى المعلم زرقية بن محمد ، وأنت ما اسمك؟

قلت : المعلم الحاج إمام ، معلم المعلمين .

عندما طلعت النهار ذهبنا للصلاة ، فأحس أننى لا
أعرف شيئاً ، فأخذ يهاجمنى لدى الأمير ، وطلب أن
يمتحننا معاً ، ليرى من منا الأعلم ، فقال الأمير : لا ،
المعلم الحاج إمام لا يغلبه أحد فى هذه الدنيا كلها ، ولكن
المعلم زرقية بن محمد أصر على طلبه ليخرجنى ،
ليسخر الناس منى .

و ذات يوم نادانى الأمير وأخبرنى بما قال هذا المعلم
له ، فلما سمعت ذلك قلت فى نفسى " اليوم انكشفت كذبة
الرجل " .

قال الأمير : لم أسمعك تقول شيئاً ؟

فقلت : لابد أن يكون ذلك ، فالعلم القليل مضلل ،
وطلبت من الأمير أن يعلن على الناس الحضور في
صباح الغد ، كباراً وصغاراً ، لمشاهدة المناقشة .
فلما سمع الأمير ذلك رفع يده تحية لي وقال " عالم ابن
عالم " .

وفي الصباح تجمع الناس فبعث الأمير إليّ ، فحضرت
وجلست وسط الناس ، وبينما أن جالس رأيت ثلاثة أولاد
يحملون كتاباً كبيراً ، فقلت " من أين جئتم ؟ قالوا : من
منزل المعلم زرقية بن محمد " .

وبعد قليل حضر المعلم زرقية ، فأعطى فروة وجلس
عليها ، وحوله كثير من الناس ، بعد أن تبادلنا التحية قلت
" هذه الكتب جمعتها ؟ " .

فقال : عندي التوراة ، والزبور ، والإنجيل ، والقرآن ،
والسمرقندي الأول والثاني ، وكتب أخرى لا أذكر اسمها ،
ولم يسبق لي أن سمعته ، فقلت له : أف كل هذه الكتب لم
تحفظها ... ثم تقول إنك تريد مجادلتى ؟؟ !!

فنظر إليّ مبتسماً ، فقلت لبعض الأطفال " انقلوها في
ذلك الركن ، سنرى نحن وأنت ، ما فائدة معرفة الكتب
فقط ، كقراءة البيغاء ؛ فنقلها الأولاد .

بعد أن هدا الناس وسكتوا ، كنست الأرض ، وكأني
سأضرب الرمل ، ورسمت علامة هكذا (ونظرت الى
المعلم زرقية وقلت : ما هذه ؟
قال : نون .

قلت : ويحك ، لا .

قلل : راء .

قلت : هكذا الراء فى بلادكم ؟

قلل : لام .

قلت : أى معلم جاهل علمك ذلك ؟

ظل يخمن حتى ذكر حروف القرآن التى تشبه هذه
العلامة كلها ، فقلت كذاب ، فقال إنه عجز عن معرفتها،
فقلت للناس : قربوا ، انظروا ، ونظر الناس وقلت هذه
ليست راء ، وليست لام ، وليست نون ، إنها هلال أول
الشهر ؛ فنظر الجهلاء إلى رسمى وقالوا : هو كذلك يا
معلم المعلمين، هذا هلال .

فنظرت إلى المعلم زرقية وقلت للأولاد " التفوا حوله
وارجموه بالحجارة ... فالتف الأولاد حوله وأخذوا يقولون
" ايهو - ايهو ... فخرج من المدينة هارباً ، ولم يتذكر
شيئاً حتى كتبته تركها، وتبعه الأولاد يرمونه بالحجارة
حتى نجا منهم بصعوبة ، وهكذا تخلصت من هذا المعلم .

الباب الثانى

الحاج مع المعلم زرقية فى السجن :

بعد أن قضيت اياماً قلائل ، وصلت إلى مدينة تسمى ياميل Yamel ، وعندما اقتربت من المدينة سمعت دقات طبول كثيرة ، وأصوات صفارات مختلفة ، وأفرحاً كثيرة، وأثناء سيرى رأيت ولداً يجرى متجهاً إلى مكان الاحتفال ، فناديته قائلاً : أنت يا غلام ماذا حدث فى المدينة اليوم ؟

قال الولد : جاءوا اليوم بزوجة الأمير المفضلة .

قلت : من أين ؟

قال الولد : أبنه أمير قرية النعم ، لقد زوجوها الأمير .

عندما دخلت المدينة لم أجلس إلا عند باب القصر ، الذى أقيم فيه الفرح ، ثم دخلت الفرح مدعياً أننى أعرف كل شىء ، وأظهرت السرور على وجهى وكأنها ليلة حنة أخى الأصغر ، وفى الحال اشتهرت لدى الهتيفة ، ولما سألوني عن اسمى قلت : الحاج إمام يحيى الناس فى الفرح بشلنين ... ، شلنين ، أما أنا فأحى بجنييه ... جنييه،

هذا السرور الذى أظهرته جعل الأمير يرحب بى ،
وتصادقت مع ابن الأمير حتى أصبح لا يفرق بيننا سوى
الليل فقط .

وأصبحت حيثما أذهب ألقى التحية من رجال القصر
والأغنياء والعلماء وكل رجال المدينة ، وهكذا صرت فى
المدينة ، لذلك أخذ يقصدنى كل من أراد أن أتوسط له
طلباً للسلطة.

وبمرور الأيام انتقلت إلى المدينة ساسا Sasa ، وما
كدت أدخل المدينة حتى وفقنى الله ، فسنزلت فى بيت أحد
الأثرياء الشوام ، وتصنعت عدم المبالاة كأننى رجل من
الأولياء ، فلما رأى الرجل ذلك بدأ يصاحبنى ، وبعد أيام
قليلة جعلنى خادماً له ، وسلم إلى كل أموره ، فغرقت فى
الثروة ، لا أعمل أبيض ولا أسود ، سوى أكل الطعام
وغسل اليدين .

رويدا رويدا بدأت أدخل فى مشكلة المكسب والخسارة،
فأقيم الحفلات الموسيقية ، وأخذ الطبالون يقولون لى : يا
حاج لا تفسد حجتك ، وأنا أقول لهم " لقد جئت وسأعود
كما جئت " وابتدعت بدعة بالمدينة.

فحينما تسير تجد الناس قادمين للاحتفالات التى أقيمها،
لقد كنت أفعل فى المدينة ما أشاء ، حتى سمع الشامى

ذلك ، فبدأ يعمل الحيل ليقبض علىّ ويسجننى ، فإذا
نصب لى فخاً من هنا تخلصت من هنا .

وعندما رأى ذلك ، بعث ذات يوم من يخبرنى أنه
مات، فجاءوا وقالوا لى ، وألحوا علىّ لأذهب لأرى
بنفسى ، لأنه ليس له سواى ، فلا ابن ولا حفيد له .

وكنت أعرف حال الشامى ومكره ، ولولا إلحاح الناس
ما ذهبت إليه، قالوا لى إنه فى هذه الحجرة، لم يدفن حتى
الآن ، حتى أحضر لأننى كابنه ، ونظرت من نافذة
الحجرة ، فرأيت نائماً فاتحاً فمه ، منتظراً دخولى عليه
الحجرة ليقبض على .

عندما نظرت إليه جيداً شككت فى موته ، فقلت " الله
أكبر " ولكن لا أظن أنه مات .

فقال الرسول الذى استدعانى " سبحان الله ... لماذا ؟ "

قلت : لأننى سمعت أن الشوام لا يموتون وفمهم
مفتوح، لابد أن يبقوا ، وهما هو الشامى يموت وفمه
مفتوح .

عندما سمع الشامى كلامى أغلق فمه لكى أصدق أنه
مات ، وكأننى عبيط ؛ عجيبة : هل الميت يتحرك ويقفل
فمه ؟ عندما رأيت ذلك خرجت هارباً .

أحسست أن الإقامة فى هذه المدينة أصبحت غير مناسبة لى فخرجت منها وسرت فى الغابة ، فرأيت قرويا يسير ومعه مائة جنييه إلا شلنا وخمسة قروش ، ولما سألته عن مصدر هذا المال ، قص على كيف حصل عليه، وكيف أنفق شلنا وخمسة قروش ، وفى الطريق أراد أن يقف ويقضى حاجته ، فأعطانى المال لأحفظه له، أى أنه صار رفيق الرحلة.

وعندما انتهى ، قال لى هات المال لنفترق ، فقلت له دون حياء ولا خوف أعطيك ماذا ؟ !! هذا مالى ... واشتد الجدل حتى كبرت المشكلة فذهبنا إلى بيت القاضى- الذى أعرف من قبل ذلك أنه يحصل على رشوة - وعندما سألنى فأجبته كأننى صادق تماما ، ثم سأل الفلاح ، ولكن الدهشة منعتة من قول ما يستند إليه القاضى فى حكمه .

فقال له القاضى : هل لديك شهود ؟

قال الفلاح : لا .. الله ورسوله .

ثم التفت إلى وسألنى : وأنت هل لديك شهود، يا شاب ؟

قلت : نعم .. غفر الله لك يا معلم .. لى كثيرين .

فقال : من ومن لديك ؟

قلت : المعلم طلحة وأخوه شاهدان ، المعلم سليمان وأخوه الأصغر ، المعلم هاشم وأخوه شاهدان ، وها هو أصغرهم المعلم مختار يشهد ، وبعض الناس حوالى مائة قادمون فى منتصف الليل كلهم سيشهدون .

عندما سمع القاضى ذلك فهم كلامى ، فالمعلم طلحة وأخوه معناهما شلنان ونصف والمعلم مختار معناه ثلاثة قروش ، ومائة رجل قادمون فى منتصف الليل معناه مائة شلن ، أى أنه فى منتصف الليل سأحضر له ، مائة وستة شلنات إلا ثلاثة قروش ، إذا حكم لى - هذا الزمن لا يصدق فيه إلا الأثرياء - وفى الحال حكم لى المرتشى ، فحبس الفلاح ثلاثة أشهر ، بحجة أنه سرقنى ، وفى الليل أحضرت له كل هذه النقود وعدت لما أنا فيه .

وذات يوم ذهبت خارج المدينة للنزهة ، فوجدت عقدا من المرجان ، ولم أعرف أنه عقد ابنة الأمير ، الذى سرق منها ، فأخذته إلى السوق لأبيعه ، وعندما رأى الناس قبضوا على ، وقادونى إلى دار القاضى ، وقالوا إننى سرقته ، فحكم على بعشرين جلدة ، وحبست ثلاثة أشهر ، وفى السجن التقيت بالفلاح الذى سلبت نقوده ، وجعلت القاضى يحبسه أول أمس ، وعندما التقينا عن قرب قال لى : الله أكبر ما حدث لى حدث لك .

لقد جمعوا أقدامنا معا وربطوها ، ورأيت سجيناً
فنظرت إليه من أسفل إلى أعلى فوجدته يشبه المعلم
زرقية بن محمد ، الذى جعلتهم يرحمونهم فى مدينة
سابورى مدينة الجهلاء ، فذكرته بحادثة هذا اليوم ، فقال:
ويحك ... إننى كنت أشك فى معرفتك " ، وقص كل منا
للآخر كيف افترق وما حدث له .

بعد ثلاثة أشهر أطلق سراحنا ، فاسترحنا يومين ،
وتهيأنا للسفر معا إلى مدينة رس Ris؛ فقد أصبح رفيقى ،
وبينما نحن نسير فى الغابة قابلنا جملاً شارباً ، فتتبعنا
فاتحاً فمه ، فجرينا إلى شجرة ، وتسلقناها ، فوقف الجمل
تحت الشجرة ينتظر نزولنا ليهاجم علينا ، ولم نستطع أن
نفعل شيئاً منذ الصباح حتى الظهر ، حتى شعرنا بالجوع،
وقرب العصر رأيت بعض الفلاتا ذاهبين للعبة " الشارو"
فلما رأيتهم من بعيد سببتهم ، ولعلك تعرف أن الفلاتا
يغضبون بسرعة، فقصدونا جرياً من بعيد ، ليعرفوا سبب
ذلك ، فلما رفع الجمل عينه ورأهم جرى وراءهم ، ولم
يعد إلينا ، ففر كل منهم واختفى فى الغابة.

نزلنا من فوق الشجرة ، وواصلنا السير حتى وصلنا
مدينة " رس " ، وأخذ المعلم زرقية يتلفت حوله حتى
تفرقنا ؛ فواصلت السير حتى لقيت مركباً فركبته ،
وقصدت مدينة القاما Alkama لأبحث عما تركت بلدى

من أجله أى الماء الشافى ، ونزلنا فى جزيرة لنرتاح قليلا، فأخذت أتمشى حتى أبحرت المركبة وتركتنى وحدى ؛ بعد أن أبحرت المركب أخذت أبحث عن مركب آخر، حتى أصل إلى شاطئ البحر ، فرأيت رجلا جالسا ، فلما اقتربت منه وجدت أنه المعلم زرقية بن محمد ، فناديته قائلا : زرقية بن محمد .

فرد قائلا : الهمة يا ابن الشيخ .

فتصافحنا وقال : والله منذ أن جئت عرفتك وقص كل منا أخباره على الآخر منذ أن افترقنا .

بعد التقائنا واصلنا السير حتى وصلنا إلى مدينة ماء، فذهبنا إلى قصر الأمير فأمر أن يهيا لنا منزلا فنزلنا فيه .

و ذات يوم انتظرت حتى يخرج الأمير من المسجد ، وأخذت أضرب المعلم زرقية ، ولم يستطع أن يتخلص منى ، فقال الأمير : أنت .. ماذا حدث اليوم حتى تضرب أخاك ؟ خيرا .

فقلت : أين هو الخير طالما أنه يسببك ؟ أنا لا أستطيع أن أترك أى إنسان ليسب أميرا مثلك ، فسر الأمير من كلامى ، وأمر أن يطرد المعلم زرقية من المدينة ، ويرجم بالحجارة ، وهكذا افترقنا .

ولما رأيت أن الأمير قد أمر بعقاب أخى هكذا ، بدأت
أحس بالشفقة عليه ، ولكن رأيت بعد ذلك كيف يحدد
الإنسان ما يزرع ، إن خيرا فخييرا ، وإن شرا فشرا.

الباب الثالث

استقرار الحاج فى طنـدجو وخبره مع الجثة :

بدأت أبحث عن الماء الشافى ، ولكن لم أجـد واحدا سمع خبره ولو مرة واحدة ، فلما رأيت ذلك استأذنت من الأمير ، فأعطانى هدية ، وعزمت على الرحيل إلى مدينة أخرى تسمى طنـدجو .

هناك وجدت فتاة، بنت أحد العلماء ، واسمها "جميلة " ولعلك عرفتى الآن أتدخل فى كل أمر ، فبدأت أسعى لخطبتها ، وتبادلت معها هدايا الخطبة ، وحتى هذه اللحظة ، لم تكن الفتاة قد حددت من تريده زوجها ، فأنفقنا أموالا كثيرة بلا حدود ، وذات يوم ذهبت إلى أبيها وقلت له : يجب أن تختار هذه الفتاة من يصلح زوجها ، ليرتاح كل إنسان .

عندما قال لها ذلك قالت له : بعد ثلاثة أيام ، اذهب يا أبى ، وقل لكل واحد ممن يريدون الزواج منى : إنه قد أصابنى مـغص شديد ليلة أمس قضى على ، لنرى ما سيقوله كل واحد منهم .

قال الأب : لا بأس .

بعد ثلاثة أيام ، ذهب إلى بيت أحدهم وقال حاله يا فلان لقد توفيت جميلة أمس أصابها مغص شديد أسلمها للموت .

فلما سمع الرجل ذلك قال : تستحقون ذلك لقد قيل لكم زوجوها ، فمنعكم حب المال حتى ماتت ، ولا يوجد من يذكرها .

سمع أبوها ذلك فارتدى حذاءه ، وخرج مسرعا ، يمسح دموعا كاذبة ، متصنعا البكاء ، وقصد منزل رجل آخر ، وقال له ذلك ، فلما سمع ذلك قال له الآخر : هذا هو جزاء الطمع ، اذهبوا وادفنوها .

خرج أبوها وقصد منزلي ، عندما سمعت هذا الكلام ، شككت فيه ، مع علمي أن قدرة الله تفعل أكثر من ذلك ، وفي الحال انفجرت في البكاء الكاذب ، وعندما وصلت إلى منزلها ، وجدتها ممددة على السرير ، فاحتضنتها ، وأخذت أهل بالصلاة ، فلما سمعت ذلك ، فتحت عينيها ، وطلبت من أبيها أن يعقد لي عليها ، فقد وجدت الزوج المنشود وفي الحال عقد لي عليها ، وحدد يوم الزفاف ، وأقيمت الأفراح وانتهى كل شيء .

ولما رأى الناس الذين انتصرت عليهم ذلك ، بدأوا
يحقدون على حقدا شديدا ، فكانوا كلما رأوني أخذوا فى
ذمى ، ونظروا لأننى كنت غريبا عن المدينة ، كان على
أن أسكت ، إلا أن حقدهم اشتد ، فبدأوا يدبرون لى
المكائد، ويرسمون الخطط لخطف زوجتى ، فصنعوا لى
دواء للعمى ، وقد أسقط فى يدى ، وعجزت عن كل شىء
حتى العثور على الطعام ، وعندما رأيت الأمر بلغ هذا
الحد ، اتجهت إلى حرفة صيد الأسماك ، لأنها حرفة لى
منذ الطفولة ؛ اخترت لى خادما اسمه أرمى ، فكان
يسحبنى كل يوم بعد أن أصابنى العمى ، ويذهب بى إلى
شاطئ البحر، وينزلنى فى القارب ، فألقى بالشبكة فى
الماء ، وأبدأ فى الصيد ، ولعلك تعرف حال من أصابه
العمى حديثا ، لا يسلم بالعمى بسهولة ، فكنيت كلما ذهبت
إلى الصيد مع هذا الغلام ، إذا وصلنا إلى الشاطئ يقول
لى : يا حاج وصلنا .

ولكى لا يقال إننى أعمى ، أدعى أننى أرى قليلا ، مع
العلم أننى لا أبصر شيئا ، فإذا قال الخادم : وصلنا ،
أنهره قائلا : هل تظننى أعمى ؟ أنا كذلك أعلم أننا وصلنا
لأننى أرى ، وإذا قال : ادخل أو انزل من المركب قلت :
لقد عرفت قبلك ، وتهيات للنزول .

وقد وهب الله هذا الولد الصبر على ، لذلك لم يغضب
من هذا ، وبينما نحن معا على هذا الحال ، جاء شخص
إلى وقال إنه يريد أن يخدمنى فقلت له : لا بأس - ومن
العجيب أنه كان المعلم زرقية ولم أعرف فى حينه -
وظلا يخدمانى معا ، وأنا لا أعرف صناعة أو حرفة غير
صيد الأسماك ، كل شىء يقدمانه إلى لا أشكرهما عليه ،
إذا قالالى : تمهل أمامك حفرة ، أقول لهما : هل أنتما
تبصران أكثر منى ؟

ولما تعبنا من أحوالى قال زرقية لابد أن يعاقبنى ،
وذات يوم طلبت منهما أن يصطحباني إلى الصيد فى
بحيرة اسمها بحيرة قارون ، وعندما وصلنا قالالى
وصلنا ؛ فلما سمعت ذلك قلت لهما : " لقد عرفت أننا
وصلنا ، أنتما دائما تظنان الناس عميان ، إن ما أصابنى
هو مرض فقط لا غير . فسكتا .

وعندما توغلنا فى البحيرة ، وانتهينا من الصيد ، اتجها
بى نحو الشاطئ ، فلما وصلنا إلى وسط البحيرة ، قال
المعلم زرقية : إنزل لقد وصلنا ، فقلت له : اليوم أنتما لا
قائدة منكما ، تدعيان أن الناس عميان ، لقد عرفت أننا
وصلنا ، ثم تدليت من المركب لأنزل على الأرض ،
وبمجرد نزولى وجدت نفسى أغوص فى قاع البحيرة ،
وبقدرة الله ، وصلت إلى منزل فى القاع ، فوجدت

مخلوقات تشبه الإنسان ، لها رؤوس كبيرة — علمت بعد ذلك أنهم سكان البحر من الجن — فرحبوا بى .

بعد أن استرحت سألونى عن أخبارى ، فأخبرتهم بكل شىء ، فلما سمعوا ذلك أشفقوا على ، وأعطونى دواء شفى عينى ، وأمر الأمير أن يصعدوا بى إلى ظهر الأرض ودلونى على الطريق .

ودارت الأيام حتى وصلت مدينة يقال لها باكو Bako قريبة من البحر ، وفى هذه المدينة ، رأيت رجلا طويلا جدا ، لا يوجد من يدانيه فى الطول ، ومعه ثور سمين يقول " من يأخذ ثورى ، وبعد سبعة أيام يأتى ليلمس رأسى ؟ " وأخذ يتجول كثيرا حتى تعب ، ولم يجد من يقول له شيئا ، فظل يتجول حتى وصل إلى منزلى ، وأنتم تعرفوننى أتدخل فى كل شىء ، ففكرت فى أخذ الثور إلى البيت وذبحه حتى أكل وأشبع ، وليكن ما يكون ، من كتب له أن يعيش حتى العام القادم سيعيش .

ثم سبقتى وقال إنه إذا فشلت سيذبحنى ويقدم دمى قربانا لصنمه ، اسم هذا الرجل زندورو بن زوتور .

ولما أخذت الثور سألته عن سبب طوله ، الذى فاق المثال ، فقص على قصته ، وقال "إنهم يسمونه فى بلادهم " الجبل " ؛ لأن طوله سبعين ذراعا فقط ، وقال إنه من قبيلة أواجايين أونقا، أى القبيلة التى عاشت فى أيام سيدنا

نوح ، عندما حدث الطوفان ، وأخبار أجداده لا تخفى
على من يعرف قصة الطوفان.

عندما سمعت ذلك ، عدت إلى بيتي ، ولم أنم من كثرة
التفكير ، وبعد أن مضى خمسة أيام خطرت فكرة على
بالي ، وفي اليوم السابع جئني مبكرا في الصباح ،
فنظرت إليه وقلت "ويحك يا طويل " . وتبعه الناس ليروا
كيف سيلتهمني ، وعندما جاء قال " أخرج حان الموعد "
فقلت له : انتظر قليلا حتى أنتهى من إصلاح حائط هذه
الحجرة ، الذى تشق من المطر " .

فقال : عجا .. كيف تصلح الحائط ؟ !!

قلت : هذا أمر سهل فى مدينتنا طل برأسك لسترى
" فأدخل رأسه ليرى ، فقامت مسرعا ، ولمست رأسه ،
وقلت " آه لمستها " فرد الناس " نعم .. لمس .. نعم لمس
" فعاد زندورو بيته غضبان ، وهكذا انتهت مشكلتى مع
زندورو بن زوتور أكثر بنى آدم طولا.

مكثت سبعة أيام ، أسأل شيوخ المدينة وتجارها عن
الماء الشافى ، فلم أجد من يدلنى عليه ، فخرجت وقصدت
الهند ، فلما دخلت رأيت المعلم زرقية فناديته قائلا :
زرقية بن محمد.

فالتفت إلى قائلاً " الهمة يا ابن الشيخ " فتبادلنا التحية ،
وقصصنا على بعضنا أخبار ما حدث بعد أن افترقنا .

بعد أن مكثنا حوالي ثلاثة أيام ، قام أحد اللصوص
بقتل خادم أمير المدينة ، وسحبه حتى شاطئ النهر
ليرميه ، وفي صباح اليوم نفسه قصد المعلم زرقية النهر
ليستحم ، وبمجرد وصوله رأى القتيل - وما أدراك ما
العبيط - لقد فرد البطانية ، ولف فيها الجثة ، وحملها إلى
البيت ، الذي نسين فيه .

استيقظ كل سكان المدينة من النوم ، فلما وصل إلى
البيت وجدني نائماً ، فأخذ الجثة وحملها إلى حجرتي التي
أنام فيها ، ووضعها في ركن من أركانها ، كل هذا دون
علمي .

بعد أن أذن للصلاة ، استيقظت وخرجت لأتوضأ ،
وذهبت إلى المسجد لأصلي خلف الإمام لأنال ثواب
الجماعة ، ولما انتهت الصلاة قرأت بعض الأوراد
وعدت إلى البيت ، وصعدت إلى السرير لأرتاح قليلاً قبل
أن تظهر الشمس ، وبينما أنا على هذا الحال ، رأيت
المعلم زرقية يخرج فجأة من حجرته ، فلما رأيته نزلت
وبادلته التحية ، وجلسنا نتحدث في شئون الحياة الدنيا .

بعد ذلك بقليل رأيته ينظر تجاه الركن ، حيث ترقد
الجثة ، وقال : أف ، هذا القماش الذى تحفظه ألا تخش
عليه من الجراد ؟ "

فقلت ، أى قماش ؟ ليس عندى قماش ، ثم قمت
وذهبت الى الركن ونظرت فإذا بشيء ملفوف ، لما رفعته
وجدته ثقيلًا ، ففتحته فإذا برجل ميت ملفوف ، عند ذلك
عرفت من فعل هذا .

لما رآنى المعلم زرقية اقترب منى وقال " ما الذى
وجدته ، وتخفيه عنى ؟ ثم قام وأمسك الجثة ، وخرج بها
إلى وسط البيت .. ثم تراجع إلى الخلف وأخذ يهلل قائلاً:
عجيبة .. يا حاج بدأت تقتل خدم الأمير ، وتسلب
أموالهم؟ أحسن شيء الآن .. أن أذهب لأخبر الأمير بما
فعلت ، لا أقبل أن ألام على أمر لم أفعله .

عندما سمعت ذلك قلت اليوم نفذت حيلتى ، ونظرت
إلى المعلم زرقية وقلت له : أنت غبى من الذى لا يعرف
قدرة الله ، أمس أعلن الأمير أن كل من يجد هذا الخادم
يقتله ، ومن يفعل ذلك سيعطيه مائة جنيه .

ولما سمع المعلم زرقية ذلك قال : لماذا يريد الأمير
قتله ؟

قلت : حينما كان الأمير يتعسس بالليل ، عاد فوجده قد دخل بيته ، فلما علم الأمير بذلك ، أمر أن يقبض عليه ، ويقتل ، فهرب الخادم واختفى ، رأييت كيف جاء الله به إلى هنا؟ لأذهب به وأنال كثيرا من المال دون تعب".

فقال زرقية : أنا الذى قتلته ، وهذه الجثة سأحملها إلى الأمير .

قلت : لا أنت كذاب ، فقال : والله هذه جثته ، ولما رأييت أصراره على ذلك قلت له "احملها إليه ، إذا لم تكن ملكك حسبى الله " .

ظن المعلم زرقية أن الأمر حقيقة ، فلف حواية ، وقصد بيت الأمير فجمعت متاعى وتركت المدينة ، وهكذا افترقنا .

الباب الرابع

الحاج يدعى الجنون :

ذات يوم نزلت فى استراحة التجار فى الطريق ،
فسمعت التجار يتحدثون ويقولون إنهم منذ أن خلقهم
الله لم يروا أحدا بلغ ما بلغه المعلم زرقية من الغباء ، ولم
يعرفوا العلاقة التى تربطنى به .

عندما سمعتهم يقولون ذلك ، قلت لهم : أين رأيتموه ؟
قالوا فى بلدة كذا ، وذكروا اسم المدينة التى خرجت منها ؛
فسألتهم مرة أخرى قائلاً : لماذا تقولون إنه غبى جدا ؟

فقال كبيرهم : يوم الجمعة الماضى ، ذهبنا لتحية
الأمير ، وبينما نحن جالسون ، فإذا به يدخل بشىء فى
بطانية ، وقدم جثة كبير خدامه وقال : ها هو من طلبت
أن يقتل جئت لك بجثته .

فنظر الأمير إلى الجثة متعجبا وقال .. لماذا قتلته ؟

فقال المعلم زرقية : أنت أعلنت عصر أمس ، وقلت
إنك تريد أن تقتله ، لأنه دخل بيتك عندما خرجت تتعسس
فى الليل " فلما سمع الوزير كلامه قال : إنه مجنون .

فنظر المعلم زرقية إلى الوزير وقال : أنت المجنون
ولست أنا ، فلما سمع الأمير ذلك قال : أين الخدم ؟ ..
أضربوه حتى يموت ؛ فأخذوا يرفعونه إلى أعلى ويلقونه
على الأرض ، فلما رأى الأمير أنه كاد يموت ، قال :
احملوه وألقوه في الشمس قبل أن يفارق ، وقرب العصر
فاق ، فحملوه إلى مستشفى المجانين فقيّدوه وصابوه .

عندما سمعت ذلك أخذتني الشفقة عليه ، لأنه رفيقى
الذى نطوف الدنيا معا ، وسألت : ألم يقل إنه سيقتل ؟
فقالوا : لا .. لقد قال الأمير : إنه لابد مريض ، لذلك
لن يقتلوه .

وبينما كنت أتجول في السوق ، أسأل عن أخبار الماء
الشافى ، رأيت فتاة ، فأعجبتني فنويت أن أتزوجها ،
وكان لها زوج لا تحبه مطلقا ، فناديتها ، واتفقنا فطلبت
منى أن أزورها في الليل ، وكانت هذه الليلة ممطرة ،
وخلال هذا المطر حضر زوجها ، فأشعلت له النار ،
وجلس يدفئ ظهره .

عندما وصلت تسالت إلى الحجرة وأخذت أطل عليه ،
فرأيتة يحك ظهره .. وكان المعلم زرقية أيضا بالمدينة ،
جاء إليها بعد أن أفرجوا عنه ، وتصادف أنه كان يمر في
هذه الليلة ، فلما رأى أطل برأسى ، تسال إلى الحجرة
ودفعنى من الخلف إلى داخل الحجرة .

عندما رآنى الزوج قال : ماذا جاء بك إلى هنا ؟ فقلت له : والله لقد دفعونى . وكنت على وشك أن أجرى ، ولكنه أمسكنى وأدخلنى فى اصطبل الخيول ، وحبسنى معها ، وفى الصباح قادونى إلى دار القاضى ، فأخذت أفكر فى الأمر ، وأخيرا قررت أن أدعى الجنون .

سأل الأمير عن سبب القبض على فقص عليه كل شيء ، فنظر إلى وقال : ما اسمك يا شاب ؟ قلت : شرقى .

قال : فى أى يوم نحن ؟

قلت : الجمعة .

فسألنى مرة أخرى : فى أى شهر نحن ؟

قلت : شوال .

فسمعت رجال الحاشية يقولون : تذكر .

فسألنى الأمير مرة أخرى : هل تعرف الله ؟

قلت : ويحك ، من الذى لا يعرف الله ؟

قال : أين هو ؟

فقلت فى نفسى يجب أن أتمهل كيلا يقولون إننى كنت أدعى الجنون لذلك قمت مبدىا حذرى وأشرت إلى السماء،

أقصد أن الله وحده فى السماء ، وليس له شريك ، وأبقيت رأسى مرفوعة إلى السماء مدة طويلة فانفجر الناس فى الضحك ، وقالوا لابد أننى مجنون ، ولكننى قاربت على الشفاء .

فقال الأمير : لا شك أنه ليس مجنوناً ، ولكنه عبيط " ثم أخرجنى .

ولم يأت يوم الجمعة التالى حتى جعلونى رئيساً للمجانين ، وأصبحت أشغل مركز "الرئيس المجنون " وقد نلت الحظوة ، حتى إنه أصبح لا يبت فى أمر أو أى مشكلة بالمدينة حتى يرجع إلى فيها .

ونحن على هذا الحال جمعنا الابن الأكبر للأمير ، أى كبير رجال القصر ، وقال أنه يدعونا ، لننزع لعائلته المرحاض ، لأنه لا يسمح لأحد بدخول بيته إلا نحن المقربين إلى أبيه فذهبنا جميعاً إلى البيت وبدأنا العمل ؛ فكان لعاب كل واحد منهم يسيل من الرائحة الكريهة ، أما أنا فقد كنت أغنى ، وأثناء ذلك كان لعابى يسيل دون أن يراه أحد .

وعندما رأى ابن الأمير لعاب رجال القصر يسيل هكذا ، غضب وقال لهم : إذا كانت رائحة الفضلات كريهة جداً اتركوا العمل ، لماذا تشغلون ولعابكم يسيل

هكذا ؟ لو كان الأمير قد أحضر لكم طعاما ، كنتم هجمتهم عليه بيد فى الفم ويد فى الإناء .

لما غضب ابن الأمير ذهب وأخبر أباه ما فعله رجال القصر ، وقال : إننى فقط الذى لا يسيل لعابه ، وبدلا من ذلك كنت أغنى .

سمع الأمير ذلك فغضب ، وأمر باستدعائهم جميعا . وأخذ يسب أمامهم واحدا واحدا، ونجوت من ذلك بصعوبة، وهذا ما جعلنى أكبر فى نظر الأمير وأبنائه .

لما رأيت أننى انتصرت على أهل المدينة ، قلت فى نفسى إن المثل يقول " الجلوس بعد الأكل مؤامرة "، لذلك قمت فى هذا اليوم وقصدت قصر الأمير ، وقلت له " أريد أن أسافر لأيام قلائل ، ولكنى سأعود بعد ثلاثة أيام"، وتركت له كل ثروتى ليحفظها لديه أمانة حتى أعود، ثم واصلت الرحلة طلبا للماء الشافى ، أى طلبا لما جعلنى أغادر بلادى.

الباب الخامس

التقاؤهما والمعلم زرقية يطرد الذباب عن فضلات الحاج:

واصلت الرحلة حتى وصلت إلى مدينة كبيرة جدا
تسمى تيجي ، فرحب بى أمير المدينة ، واصطحبني
الناس إلى منزل فنزلت فيه ، وذات يوم كنت أجلس مع
رجال القصر ، فسمعت الأمير يقول : لقد ضايقني رئيس
ساسة الخيل أمس ، وحرم على النوم ؛ فقال الوزير :
لماذا أطال الله عمرك ؟

فأجابه الأمير قائلا : أنت تعرف أن زوجته توفيت
الشهر الماضى ، ومن يوم وفاتها حتى اليوم لا ينام
مطلقا، فإذا انتصف الليل قام وأخذ ينشد بعض الأشعار
كالمجنون ويقول : ليت الموت أخذنى وترك زوجتى
لأرتاح .

عندما سمعت ذلك قلت للأمير : أطال الله حياتك ، هل
تريد أن أعالجه ؟ قال الأمير : نعم أطال الله حياتك لقد
حاولت ذلك كثيرا .

فلما أقبل الليل وانصرف كل رجال الحاشية ، تسالت وتوجهت إلى دار رئيس الساسة ودخلت حجرته واختفيت تحت السرير وبعد قليل دخل بيته ، ثم توجه إلى حجرة النوم ، وهو ينشد الشعر ، ويتنهد كلما تذكر زوجته حتى استولت ذكراها على روحه تماما ، وعندما سمعته قادما ، جلست ساكنا بلا حركة فدخل وصعد السرير ونام ، ولكنه لم يستطع النوم من شدة الشوق إليها ، وعند منتصف الليل سمعته يردد الأشعار التي قصها على الأمير نهارا .

سمعته يقول : ليت الموت أخذه وترك زوجته ، فظهرت فجأة له ورددت عليه بصوت مختلق قائلًا : من أجل أمنيتك هذه بعثت لأقبض روحك لتلحق بها ، ثم جريت وراءه .

فلما سمع ذلك — وما أدراك بالجاهل — أخذ يجرى خارج الحجرة ظنا أن الموت بعث إليه ليقبض روحه ، ولم ير النوم في هذا اليوم ، ولما طلع الصباح ذهب إلى الأمير وقص عليه كل ما حدث ، قائلًا : لقد طاردني الموت أمس من حجرتي ، ولم أنم مطلقا فيها ، ولولا أنني جريت خارجها لقبضت روحى .

عندما سمع الأمير ذلك انفجر في الضحك ، ومنذ ذلك اليوم لم يذكر رئيس الساسة هذه المرأة مرة أخرى ، ولا أظهر الشوق إليها .

لأننى سببت له هذا الخجل بدأ يكرهنى ، ويتصيد أخطائى لدى الأمير فلم تعد بيننا علاقة طيبة ، بذلك فقدت الخطوة فى المدينة ، ورأيت أن الأمير بدأ يحتقرنى ، فتظاهرت أننى سأترك المدينة احتراما لنفسى ، ولكننى تذكرت أنهم يقولون إن الإنسان يجب أن يثار لما يحدث له من إساءة ، لذلك قلت فى نفسى : لن أرحل حتى أرى نهاية رئيس الساسة .

ذات يوم دخل أحد اللصوص منزل الرجل الذى أنزل فى بيته ليسرقه ، فوجده مستيقظا ، وكان رب البيت موقفا ، فأوقع اللص على الأرض حتى أنشقت رأسه ، فسقط ميتا ولم يتحرك .

ضايق هذا رب البيت فجاء وأيقظنى وقال لى : ما العمل يا حاج ؟ لقد قتلت رجلا ، فسكت قليلا ثم قلت : لا يهمنى إذا استطعت السكوت .

لم أنتظر وطلبت منه أن يحمل هذه الجثة وذهبنا بها خارج المدينة ، ألقيناها هناك وأخذنا يد فأس وبلطة وتوجهنا إلى بيت رئيس الساسة ، فوجدناه ممددا فى الفراش يغط فى نوم عميق ، فبحثت عن وجنته وضربتة بالعصا الغليظة عليها ، وخرجنا مسرعين ثم عدنا إلى البيت ونمنا ، وصاحب البيت ينتظر ما سأفعل .

استيقظت من منتصف الليل ، وخرجت أتجول فى
المدينة ، وأعظ الناس حتى الصباح وقد أحس كل واحد
فى المدينة أننى قضيت الليلة أحدث الناس .

وفى الصباح الباكر خرج النسوة إلى النهر فرأين
الجثة على باب المدينة ولم يعرفن من القاتل ، فذهبن
وأخبرن الأمير ، فقال أحد أفراد الحاشية أمس أحسست
أن هذا الضيف الذى ينزل فى دار المعلم محمود شقيق
يونس الكبير لم ينم ، وقضى الليل يعظ الناس ، لعل الله
أسمعه أية حركة فى الليل ، حينما كان يتجول فى المدينة.

وفى الحال أمر الأمير باستدعائى فحضرت ، وسألونى
فقلت : نعم سمعت شخصاً من أفراد الحاشية ، وشخصاً
آخر خارج المدينة ، سمعت أحدهما يقول للآخر " طالما
أنك لطمتى ، لابد أن أقتلك " ، هذا كل ما سمعته أطال
الله عمرك .

عندما سمع الأمير ذلك بعث يطلب رئيس الساسة
ليذهب ويعلن فى السوق ، كل من يرى رجلاً تورمت
إحدى وجنتيه يأتى ويدل الأمير عليه ، وفى الحال ذهب
رجال الشرطة إلى رئيس الساسة وجاءوا به ، وهو لا
يعرف شيئاً مما حدث ، وكلما هم بالكلام أسكته الأمير ،
وأمر بحبسه سنة لعدم وجود الشهود .

ولما أحسست أننى أفسدت فى هذه المدينة كثيرا ،
خرجت قاصدا قرية أخرى لأنزل فيها ، وواصلت البحث
عن الماء الشافى فلم أجد إليه سبيلا ، وبينما كنت أسير
فى الغابة رأيت قرويا يتشاجر مع رجل آخر ، فضربه
بعصا غليظة فأوقعه ميتا فلما رأيت أنه سيهرب قلت :
قف ؛ إلى أين ستذهب ؟ لا بد من الذهاب بك إلى العمدة .

فلما علم أننى سأذيع سره ركع وأخذ يطلب منى
المغفرة ، وأن أتستر عليه ، وأخفى سره ، ولما أحسست
أنه خاف قلت له : كم ستعطينى لأكتم سرك ؟ قال :
سأعطيك عشر بقرات .

فنظرت إليه وأظهرت عدم الرضى وقلت : روحى
أبيعها لك بعشر بقرات ؟ لا أوافق .

رويدا رويدا ، وافق أن يعطينى عشرين بقرة ،
فرضيت بذلك ، وذهبنا إلى حظيرة والده ، وفصل
عشرين بقرة وأعطاها لى ، فسقتها إلى المدينة ، وادعيت
أننى اشتريتها ولففت الجثة ، وذهبت بها إلى المدينة ،
وحفظتها فى البيت .

وبعد منتصف الليل ، خرجت قاصدا منزل المعلم
زرقية ، الذى لم يعلم بنزولى إلى المدينة ، ولكننى عرفت
أنه بها ، وسألت عن صناعته التى يزاولها ، فقبل إنها
السرقه فقالت : الحمد لله .

وبينما أنا أجلس عليه ، سمعته يقول لزوجته : أنا خارج أبحث عن عمل .

فقلت له : الله يوفقك .

وبمجرد أن خرج من منزله عدت إلى بيتي ، وحملت الجثة بعد أن لففتها ، وكأنها سلعة بالضبط ، وذهبت بها إلى بيت هذا اللص ؛ فلما وصلت قلت لزوجة المعلم زرقية : تعالى خذي ، لقد جئت وسأعود بسرعة ، لأن بعض التجار ينزلون في الإسراحة .

قامت وجسمها يرتعد ، وأخذت ما معي ، وقالت : اذهب بسرعة ، واجمع كل ما معهم وإذا كان هناك حصيرة أو ملابس لف كل شيء فيهما .

وخرجت وبحثت عن مكان لأختبئ فيه ، لأضحك عليها ، وعندما اقترب الصباح عاد رب البيت . تف تف ، ولما دخل الحجرة قال لزوجته : اليوم حفظني الله ، لقد أطلق بعض الشوام على النار من البندقية ، فلم أسرق شيئاً .

فلما سمعت الزوجة ذلك قالت : ما أحضرته اليوم يكفي ، ونظر إلى اللفة الضخمة وقال : نعم .. لا بد أنه يكفي .. هاتي لنرى ما فيها .

لعلك تعرف ما يحدث عادة بين الزوج وزوجته ،
جلس وأخذ يقص عليها الأكاذيب ، ويمدح نفسه قائلاً :
لقد خطفتها من بين عشرة رجال كبار ، فلما سمعت ذلك
قلت في نفسي: إنه يشعر بالغرور .

وفضاً اللفة فإذا بهما يجدان جثة رجل ميت ، ولما
أمعنا النظر وجدا أنها جثة طفل اسمه "طنجيو" ابن أحد
المحاربين في الحي الذي يسكنان فيه اسمه "جيو" ؛
فقال المعلم زرقية : والله ... أقسم بأبي لم أحضر لك
هذا.

فقالت : من ؟ إن لم يكن أنت ، لقد قلت إنك خطفتها
من بين عشرة رجال وفي الحال نشبت معركة بينهما ،
وتبادلا الضرب بالأيدى ، المعلم زرقية يقول لزوجته
إنها كذابة، وهي تقول له إنه كذاب ، ولما طلع النهار ،
علم الأمير بالقصة ، فأمر في الحال باستدعائهما .

وفي الليل علمت أن المعلم زرقية ، هرب وكأنه
استخدم طاقة الإخفاء ، ولكنى مكثت في المدينة مدة
طويلة بعد ذلك .

و ذات يوم تركت المدينة ، وقصدت مدينة منتا حيث
المعلم زرقية ، وصادف هذا اليوم ، يوم سوق المدينة ،
لذلك توجهت إلى السوق بمجرد وصولي ، وذهبت إلى

حيث يبيع النساء الثريد ، فوطئت إحدى النساء كم ردائي
وقبل أن أتكلم سببتى المرأة قائلة " عامل .. ذليل " .

ولما نظرت إليها ، رأيت أنها لم تبلغ سن أختي
الصغيرة ، فقلت لها : لن أرد إلا على زوجك ، فنظرت
إلى بغضب وقالت : كذاب ، المعلم زرقية أقوى منك ، لا
تستطيع أن تساوى رأسك برأسه .

لما سمعت ذلك علمت أن المعلم زرقية فى هذه
المدينة ، ومن كلام هذه المرأة عرفت أنها زوجته ، لذلك
قلت لها : إن لم يكن ذلك كذبا .. فليلقنى زوجك فى الغابة
ظهر غد .

قالت : وهو كذلك ، سأقول له ، المعلم الذى يبيع
المعارك أين تظن أنك تلاقاه .. فى البيت ؟ !! .

وجاء الظهر فجاءت هذه المرأة المشاكسة إلى بيتي
تسب وتلعن قائلة : هيا .. قم .. نذهب إلى الغابة .

فقلت : هيا نذهب ، اسبقينى .

وقد أخذت تحرض زوجها بشتى الأساليب والأكاذيب ،
حتى قام وأخذ عصا غليظة ، وقصد الغابة معها ، وظلا
ينتظران حضوري ، وليكن ما يكون ، وعندما رأيتهما
يمران ، أخذت مادة صباغة ، وصبغت بها وجهي ،
وأخذت يد فأس ، وحملتها على كتفى ، وبدلاً من السير

فى الطريق العام ، الذى يتوقعن أن أسألكه ، خرجت لهما
من خلف الغابة ألعنهم ، وأسبهم أثناء سبرى .

عندما رأىانى قالت الزوجة : ها هو المجنون ، قادم
هناك ، فسمعت الزوج يقول : أين هو ؟ ، فالتفت ، وهو
يغمض عىنيه .

فلما أحسست أنه خاف ، قربت منه وأنا أسب وألعن ،
ووطئت قدم زوجته ، فنظرت إىيه ، فلفت رأسه ،
فنظرت إىى فلطمتها ثلاث لطمات على وجهها ، فلم يقل
زوجها شىئا ، ثم قلت لها اخلعا ملابسكما ، لأرى ما
معكما ، فخلعوها وجسمهما يرتجف خوفا .

ونحن على هذا الحال ، غلبنى الضحك ، وهممت
بالعودة وتركهما ، ولكنى فكرت فى أمر مضحك ، طلبت
من المعلم زرقية أن يفعله لى ، فالتفت وتوجهت إىى حافة
الطريق وقضيت حاجتى ، وناديت المعلم زرقية وزوجته
وقلت : خذى إناء وطبلى لزوجك ، وأنت اجلس هنا ،
واطرد الذباب عن فضلاتى ، إذا تركت الذباب يأكل
الفضلات سأقتلك .

فقال : نعم ، أطل الله عمرك ، سأفعل .

وقام وجسمه يرتجف ، وأخذ يطرد الذباب عن
فضلاتى ، وأخذت زوجته إناء وظلت تطبل على رأسه ،

وتغنى ، ولما رأيت أنه أطاع أمرى ، وأن الضحك
سيغلبنى اخترقت الغابة، وذهبت لشأنى ، ولم أعرف كيف
انتهى بهما الأمر .

عدت إلى البيت ، وأخذت أضحك حتى آلم الضحك
بطنى ، ثم جمعت متاعى ظهر ذلك اليوم خشية أن ألقاه
فى المدينة ، وواصلت رحلتى أبحث عن الماء الشافى.

الباب السادس

الصوص يضايقون الحاج :

واصلت الرحلة حتى وصلت مدينة اسمها ميسكا فنزلت في منزل أحد العلماء يسمى دولا ، كان الناس يفخرون به لكثرة عبادته ، قائلين إنه يصلي الليالى الطوال ، رحب بى هذا العالم ، وتصادقت مع خادم له يسمى " كاطو " لا يفرق بيننا إلا الليل فقط ، وذات يوم قضيت الليل مع كاطو فى الحديث والسمر ، ثم ذهبت بعد ذلك إلى حجرتى لأنام ، فلم أكد أتهيا للنوم ، حتى سمعت وقع أقدام تف تف تف قرب الباب فانتحيت ناحية من الحجرة ، فرأيت رجلا ضخما يدخل الحجرة ، فقممت من النوم ، وجلست معتقدا أنه سيهرب إذا رأى استيقظت ، ولكنى رأيت أنه لم يهرب ، فقلت فى نفسى ، وجدت من يشبهنى .

عندما اقترب منى قمت ، وقلت : مرحبا ، مرحبا خذ هذه الحصيرة واجلس ، هل سترفض أن تقول لى ما حدث منذ التقينا فى السوق ؟ وأخذت أحدثه كثيرا كأننى أعرفه .

فلما سمع ذلك ، جلس وأخذ يفكر ، أين قسابلنى وتلفت حوله وقال : أين عرفتنى ؟ قلت : أعرفك منذ زمن طويل ، إلى جانب ذلك أعرف كل أقاربك ، وكلهم يعرفوننى ، والتقيت كثيرا جدا مع أخوتك ، وكانوا يسألوننى عن أخبارك فقلت لهم لا أعرف ، حتى شاء الله أن نلتقى اليوم .

فنظر إلى مرة أخرى من أسفل إلى أعلى وقال : إذا كنت تعرفنى فما اسمى ؟ فرفعت رأسى إلى أعلى ، وصرخت صرخة شديدة ، وقلت : اسمك حرامى ، حرامى ، حرامى .

عندما سمع صراخى ، هرب ، فتجمع الناس ، وطاردوه ، ولكنه نجا ، كل هذا وأنا نائم فوق فراشى ، لم أتحرك ، وعندما طلع الصباح أخذ كل الناس فى المدينة يتتدرون بما فعلت .

أحسست أن اللصوص بدأوا يضايقوننى ، فستركت الحى ، وذهبت إلى بيت رئيس المتسولين بالذئاب ، ونزلت عنده ، وكان لنزولى على هذا الرجل سبب قوى ، لما سمعته يأمر بإعطائى حجرة لأضع فيها متاعى ، قلت له : لا .. لا .. إننى أفضل أن أظل هنا ، أنام معك ، طالما أن ذئباك مكممة .

فقال : أنا أنام هنا معها ، لماذا تريد أن تنام مع الذئلب؟ !!

فقلت : منذ أن كنت في بلدنا ، وأنا أشتاق للنوم معها ، وحتى في بيت رئيس المتسولين ، الذي كنت أخدمه ، وهذا هو سبب نزولي عليك ؛ فقال : الحمد لله لقد وجدت البيت الذي تريده .

رأى اللصوص الذين يطاردوننى ، أننى غـيرت مسكنى، فلما وصلوا إلى مسكنى الجديد، وجدوا ذئاب المتسول نائمة ، ولم يروها ، فقال أحدهما للآخر ، ادخل أنت ، وأعطنى ما تجد من متاع وسأقوم بربطه .

ولما دخل اللص الحجرة أيقظت حركته الذئاب النائمة، فهبت قائمة مذعورة ، وانضمت لبعضها ، وأخذت تهز أذانيها ، وسدت على اللص مكان الدخول ، وبدأت تعوى ، لأنها رأت رجلا أجنبيا في الحجرة .

عندما أحس اللص بذلك ، أخذ يصيح وينادىنى قائلاً : أنت ، أنت ، قم ، أمسك حرامى ، فلما استيقظت ورأته وعرفت ما حدث ، قلت : لا ، لن أمسك أحدا ، لأنه لم يسرق منى شيئا ، اذهب لحالك .

ونحن على هذا الحال ، استيقظ صاحب البيت ، فسألنى ماذا حدث ؟ فقلت له كل شيء ، ثم قممت ضربت

اللص ضربته بعصا غليظة ، فأخذ يئن أنينا شديدا فأمسكته وقيدته وسجنته ، وطحنت شطّة ، ومسحت عينيه بمسحوقها ، فأخذ يبكي ويصرخ حتى الصباح.

وعندما طلع النهار ، نظرت إليه من أعلى إلى أسفل ، ففوجئت أنه المعلم زرقية بن محمد ؛ فالتفت إلى وعيناه محمرتان من الشطّة ، وقال : الهمّة يا ابن الشيخ ، وقضينا اليوم معا ، ونحن نضحك كلما تذكرنا ذلك الحادث ، وقصصت عليه قصة المرأة ، التي جعلتنا نتشاجر في السوق ، وسألته عنها ، فأخبرني أنه طلقها منذ زمن طويل ، وقال إنه لم يكف عن طرد الذباب عن فضلاتي إلا المغرب ، عندما مر عليه بعض التجار ، فسار في حمايتهم ، وكان كلما هم بالقيام ، ظن أنني هناك أراقبه ، لذلك لم يقم من مكانه حتى مر به التجار.

وقال إنه لم ير في حياته امرأة تجلب المصائب لزوجها كأمراته هذه ، فقد سببت له ذات يوم مشاجرة كبيرة مع رجل ضخّم ، إذ لطمها على وجهها ، فجرت وقالت له ، وفي الحال قام وتوجه إلى مكان هذا الرجل الضخم ، فلما وصل نظر إليه ، فأحس أنه لا يوجد من يدانيه ضخامة

فقال له : أنت لطمت زوجتي ؟ ! فرد الرجل بغضب : نعم ، أنا ، لعلك جئت لتثار لها ، فلما سمع ذلك قال

للرجل ، الطمها مرة ثانية لأرى كيف حدث ذلك ، فنظر إليها الرجل وطمها لطمه شديدة .

فلما رأى عينيها تدمعان ، وتورمتا من شدة اللطمه ، قال مرة أخرى للرجل " نعم حقيقة أنت الذى لطمتها ، اضربها مرة أخرى لأرى ، فنظر الرجل للمرأة ، وطمها مرة أخرى حتى سقطت على الأرض ، وفمها ينزف دما .

فلما رأى المعلم زرقية ذلك قال لامراته : قومى ، لننصرف ، الله ينتقم لنا منه ، وبينما هما عائدان فى طريقهما ، ظلت المرأة تبكى فقال لها : كفى عن البكاء ، عندما كنت تريننى ، وكأننى لا أفعل شيئا ، كنت ألوح له بيدي وهى داخل كم ردائى .

أخذت المرأة تطوف فى المدينة ، تقص على كل من يقابلها قصة زوجها ، وحتى الآن إذا زرت المدينة ، تجد الأطفال يقصون قصته ، لذلك طلقها ، وقال إنه فعل خيرا بانفصاله عنها ، لأنه كاد أن يقتل بسبب الجرائم التى ترتكبها .

كما قص لى قصة مضحكة ، فقد دخل أحد اللصوص ذات يوم منزله ليلا ، كان يظنه نائما ، وبمجرد دخوله قصد السرير الذى ينام عليه ، ليسرق القميص الذى ينام فيه ، وظل يحاول السرقة حتى طلوع القمر ، فكلما وضع اللص يده على جسم المعلم زرقية ، فتح عينيها ، فلما

أحس اللص أنه استيقظ قال له : جئت لأدعوك ، لنعمل غدا في مزرعة رئيس المزارعين ، فمنعه الضحك من اتباع اللص ، لقد عانينا كثيرا فى الحياة .

لعلك تعرف أن ما يؤخذ ظلما لا بركة فيه ، فقد نفدت أموالنا تماما ، فتركنا هذه المدينة ، واتبعنا الطريق حتى وصلنا إلى مدينة نصرأوا ، حيث افترقت عن المعلم زرقية ، حين قال إنه سيواصل الرحلة حتى يشاء الله وجمعنا أحياء ؛ فقصدت قصر الأمير ونزلت عنده ، واتخذت لى مسجدا ، أجلس فيه لا أعمل شيئا ، إلا التظاهر بذكر الله على حبات المسبحة ، فأخذ كل سكان المدينة يقدمون إلى الطعام والصدقات أنواعا مختلفة ، ولكنى رفضت أن أأمس شيئا منها ، بينما احتفظت بجوال كبير فيه كمية من الطعام والخبز ، كنت أكل منه ، مما ساعدنى على الإمتناع عما يقدمونه إلى من طعام ، لأننى كنت أريد أن يعتقدوا أننى من أولياء الله فيعظموننى .

وبعد أيام قلائل ، بدأ كل إنسان فى المدينة يعتقد ذلك ، وجاء كل منهم بطعامه ، يطلب منى أن أنال منه ولو لقمة واحدة ، لينال البركة من يدى .

وهكذا عشت فى هذه المدينة ، معززا مكرما ، إذا أرادوا أن يقيموا شعيرة من شعائر الدين - كالصلاة مثلا - طلبوا منى أن أكون إماما لهم ، ولعلك تعرفنى ،

مهما بلغ الجهلاء من الجهل ، فأننا أجهل منهم جميعا ، كانوا يحاولون كثيرا ، ولكنى كنت أرفض فى كل مرة ، حتى العالم ، كان يظننى عالما ، ويخشى أن أصلى خلفه ، فيخطئ مع وجود صاحب الكرمات - يقصدنى .

ومرت الأيام ، وذات يوم ، توفيت ابنة أمير إحدى القرى الصغيرة ، فطلبوا منا أن نستعد ، لنذهب لنشيع الجنازة ، فقلت : نعم ، أين طريق المدينة ؟ فدلونى عليه وقالوا : عند الظهر ستجهز ، لذلك يجب أن يعد لى حصانا لنذهب بسرعة لأن المدينة بعيدة قليلا ، فطلبت من الأمير والعلماء الذين معه أن يذهبوا ، أما أنا فساأصلى الظهر هنا فى البيت ، ثم ألتقى بهم هناك ، فأمر الأمير أن يتركوا لى حصانا جيذا ، فقلت : لن أركب شيئا ، فقالت الجماعة : صاحب كرامة .

ولما اقترب الظهر ، خرجوا جميعا ، فتسللت وخرجت من المدينة ، واتبعت الطريق ، واخترقت المدينة ، وأنا أجرى جريا سريعا ، حتى تصيب وجهى عرقا ، وكادت روحى أن تزهق ، حتى رأيتهم بالقرب من المدينة .

وبينما كنت أسير فى الغابة ، سمعتهم يقولون : حتى الآن لم يخرج من المدينة ، فرد الوزير : هؤلاء يطبسون كالطيور .

ثم تجاوزتهم وأخذت أجرى بسرعة ، حتى وجدت بحيرة ، فخلعت ملابسى واغتسلت ، حتى ردت روحى ، ولما وصلت إلى المدينة ، سألت عن المنزل ، فدلونى عليه فدخلت المسجد ، وجلست على بابيه ، وأخذت أسبح بالمسيحة ، وبعد برهة وصلوا ، فلما أحسست بوصولهم ، خرجت من المسجد ، والمسبحة فى يدى وقلت : الحمد لله على سلامتك ، فلم يستطع الوزير أو رجاله الرد من فرط الدهشة ، وركع كل واحد منهم أمامى ، وسجدوا لى ؛ فقلت " قم سبحان الله ، لا يسجد إلا لله فقط " .

ولما انتهينا مما نحن فيه ، مضوا أمامى ، وأنا خلفهم ؛ فلففت من داخل الغابة ، وأسرعت إلى البيت ، وهكذا كانت المدة التى قضيتها فى مدينة " نصرآوى " .

الفصل السابع

الحاج وزرقية يتوبان ، الحاج يقتل أخاه :

عندما هدأت أعصاب الأمير ، سألته أن يجمع شيوخ المدينة كلهم ، رجالا ونساء لأسألهم ، لعل الله جعل أحدهم يسمع مرة أخبار الماء الشافى ، فقال الأمير : لا بأس ، وفى الحال جمعهم ، وسألتهم ، فسكتوا أولا ، ثم قال رجل عجوز صغير الجسم ، جاعوا به محمولا فى سلة ، لقد سمعت مرة عنه ، عندما كنت صغيرا ، كان جدى يقول إنه فى بلدة يقال لها "رامى" أو "راما" لقد نسيت اسم البلدة - يوجد بئر فوق صخرة ... ماذا يسمى؟ ماذا يسمى ؟ لا أذكر اسمه بالضبط ، يوجد الماء الشافى فى هذا البئر ، ولكن إذا أردت يا مولاي الآن أن تعرف خبرها تماما ، واسم المدينة والأرض ، يجب الذهاب إلى بيت المقدس ، حيث يوجد أخى الأكبر الذى سمع أخبارها معى ، فربما يذكر اسمها لأنه أكبر منى سنا.

غادرت هذه المدينة ولم أتوقف إلا فى قرية اسمها سرى ، لا عادة لسكانها إلا صيد الببغاوات وتعليمها

الكلام ، ثم يطوفون بها فى البلاد لبيعها ، فاشتريت واحدا منها ، ولم أعلمه سوى جملة واحدة ، فإذا سؤل أى شىء أجاب عنه بها وهى " ويحك يا سيدى ، ترى مثلى ، ثم تقول لا أساوى مائة جنيه ؟ ولما اختبرته بعدة أسئلة ، وجدته يجيبنى هكذا ، فأخذته ذات يوم إلى سوق المدينة ، وأخذت أتجول به ، وهو فى القفص .

ومرت الأيام ، حتى وصلت إلى قرية تسمى يلوى فنزلت بها ، وكان هذا اليوم يوم وقفة السحرة ، وبينما كنت نائما بالليل ، جاء بعض اللصوص وسرقونى ، فأخذت أهمل أقول " سارق يسرق سارقا " .

ولما أقبل الليل اشتريت سكينة حادة ، وأخذت أتجول فى المدينة للسرقة ، فدخلت ممر بيت كبير ، فوجدت مجموعة من الشباب أشعلوا مصباحا ، وجلسوا يعدون أموالهم ليلة العيد ، وأغلقوا عليهم باب البيت ، فقرعت الباب ، فقال واحد منهم " من هناك ؟ "

فقلت : لص .

قالوا : لص !

قلت : نعم .

قالوا : لماذا جئت ؟

قلت : جئت لأسرقكم .

فقال واحد منهم : لا بأس .. ادخل واسرق .

فقلت : افتحوا الباب ، لتروا سأسرق أم لا ؟

فقام كبيرهم غضبان ، وفتح باب الممر ، فدخلت وأطفأت المصابيح ، وقصدت الحائط، وطعنتها بالسكين ، ثم عدت إلى جانب الممر ، وأوقعت نفسي ، وقلت : الحقونى لقد قتلنى ، فلما سمعوا ذلك ظنوا أحد أخوتهم ، ففروا جميعا إلى داخل البيت ، فقامت وجمعت متاعهم كله ، وتركت المدينة ، وذهبت إلى قرية أخرى وبعته ، وحصلت على مصاريف العيد ، ولما انقضى العيد ، خرجت لأتجول لعسل الله يرزقنى بأحد أعرفه ، وأثناء تجولى سمعت صوتا ينادينى ، وكأنه من السماء يقول " الهمة يا ابن الشيخ " فنظرت ، فإذا به المعلم زرقية بن محمد، فتصافحنا ، وأخذنى إلى منزله ، وقضينا الليل نتحدث معا ، هذا اللقاء جعل الأمور تخيفنا ، فكل مرة نفترق ثم نلتقى مرة أخرى ، فالتقينا كثيرا .

ولما اصطحبنى المعلم زرقية ، قال لى أثناء الطريق " يجب أن نغفر الآن الذنوب التى ارتكبتها ، فغفرنا لبعضنا ، ومع ذلك لم أطمئن إليه ، لأنى أعرف أحوال الناس ، لذلك استعرت مصحفا فى الصباح ، واغتسلنا ، وأقسم كل منا ألا يضر أخاه مدى حياته ، ولما طلع النهار ، قلت له : سأرحل إلى بلدة القدس ، وأنا مفلس

اليوم ، فقال .. لا بأس لنذهب .. ماذا أملك هنا ؟ فذهبنا إلى بلدة كبيرة ، وحملت البيغاء إلى السوق ، فكانوا يقولون لى : ما هذا الطير الذى لا تفارقه ، فكنت أرد عليهم بأنه عيناى .

ورأى رجل أوروبى فقال : هذا البيغاء للبيع ؟

فقلت : نعم .

قال : بكم تبيعه لى ؟

قلت : مائة جنيه .

فسمعت الأوروبى يتكلم كلاما لم أفهمه ، ولم أفهم ماذا يعنى ، ولا يعنينى ذلك ، ثم سمعته يقول بالإنجليزية ما معناه " اذهب بعيد عنى يا غبى " فقلت : لا تسبنى ، أتظن أننى لا أعرف الإنجليزية ، إذا كنت تشك فيما أقول ، اسأل هذا الطير ، واسمع ماذا يقول لك " .

فرايته ينظر إلى البيغاء ويقول " هل هذا حقيقة يا بيغاء ؟ فأجاب " ويحك يا سيدى ، ترى مثلى ثم تقول لا أساوى مائة جنيه ؟ فانفجر المعلم زرقية والأوروبى فى الضحك ، وأحضر مائة جنيه كاملة ، وأعطانيها ، ولم نقض الليل فى هذه المدينة ، ولكننا سرنا بالليل حتى بيت المقدس .

وفى هذه المدينة المباركة ، قال المعلم زرقية ، لنتب
عن الذنوب التى تعودنا على فعلها فوافقت على كلامه ،
وجمعنا العلماء ، وأخذوا يدعون لنا ، لكى لا يلعب
الشيطان بقلوبنا مرة أخرى .

بعد أن استرحت شهرا ، طلبت من الأمير أن يجمع
لى كبار رجال المدينة لأسألهم ، لعل أحدهم ، يعرف
مكان الماء الشافى ، فقال الأمير : لا بأس ، وجمع كثيرا
من الناس ، أمام باب قصره ، وسألهم ، فسكتوا جميعا ،
فى بداية الأمر ، ثم تقدم رجل عجوز وقال : إنه يعرف
مكانه ، فسألته عن بلده ، فقال إنه ولد فى مدينة "
نصراوى : أى أنه الشقيق الأكبر الذى أخبرنى عنه أخوه
الأصغر ، فأخبرته بكل ما دار بينى وبين أخيه الأصغر ،
فقال نعم أبونا واحد.

نادى الأمير هذا الشيخ ، وطلب منه أن يقص على
خب.رها ، فقال : الماء الشافى موجود فى مدينة إرم ،
وهى مدينة الجن ، الماء الشافى ليس فى هذه المدينة ،
ولكنه فوق جبل كبير ، يسمى جبل قاف ، لا يستطيع أى
مخلوق أن يصل إلى هناك ، إلا الجن فقط ، ولا يستطيع
ذلك إلا الطيرون فقط ، ولكنى نسيت الآن اسم البئر ،
ولو حاول الجن أن يصل إلى هذا الجبل للحصول على
الماء لا يصل إلا بقدرة الله ، حيث يوجد بعض المردة

الذين يحرسون هذا البئر ، كما يوجد من يقرأون آية الكرسي ، حتى لا يجد الجن الفرصة للدخول ، وهناك قواعد أخرى لابد أن تتبع قبل الدخول ، وإذا أخطأ إنسان ودخل ، مات ولم يعد ، وربما قد نسي جدنا بعض هذه القواعد أو الأدعية ، هذا كل ما عرفت من أخبار الماء الشافي ، أطال الله حياتك .

عندما طلع النهار ، ركب المركب ، وقصدت بلاد إرم ، وأثناء الرحلة ، جنحت المركب وتحطمت فغرق كل الركاب الذين كانوا معي ، ولكنني استطعت أن أصل إلى الشاطئ بصعوبة ومشقة ، وعندما أفقت وجدت نفسي في جزيرة لا يوجد فيها أي مخلوق ، ولا يوجد أي شيء يستطيع الإنسان أكله ، لا قش ولا عشب ، الأرض فقط ، وها أنا وسط البحر ، تحيطني المياه من كل ناحية ، ولا توجد أي جزيرة بالقرب مني ، تذهب صرخاتي أدراج الرياح ، ولا يأتي الجن هذا المكان ، فما بالك بالطيور .

حفرت الرمال ودفنت نفسي فيها ، وحاولت الانتحار ، ولكن الله لم يرد بحثي عن أي شيء أقتل نفسي به ، فلم أجد ، وبينما أنا في هذه الحفرة ، أنتظر الموت ، فجأة رأيت اثنين من الجن ، وقد حملا آدميا ، وهبطا به بالقرب مني ، وحفرا الرمل على هيئة حجرة ، ثم سمعت كبيرهما يقول " بحرمة سليمان بن داود افتح " فرأيت

الأرض تتشق ، ويدخلان بهذا الرجل ، خفت جدا ،
ودفنت جسمي كله في الرمال ، وكتمت أنفاسي ، وكان
الرمال أصبحت لي قبرا ، ولذلك لم يستطيعا بقدره الله
رؤيتي ، وبعد قليل رأيتهما يخرجان فقالا " بحرمة
سليمان بن داود اغلق " فرأيت الأرض تنضم ، فسويا
الرمال فوقها ، وكان شيئا لم يكن .

وبمجرد انصرافهما خرجت ، وذهبت إلى هذا المكان ،
وأزلت الرمال ، التي وضعاهما ، وقلت " بحرمة سليمان
بن داود افتح ، فرأيت الباب يفتح ، فدخلت وعندما رأيت
الرجل المحبوس قام وركع أمامي ، وقال

" يا الله خلصني " فسألته عن اسمه ، ومن أين جاء ،
فقص على كل شيء ، فعلمت أنه أخى " سقيمو " ابن
زوجة أبى ، الذى قتل والدى ، والذى حرص على قتل
زوجات أبى لأنه رأى الرؤية التى حدثتكم عنها .

لما عرفت ذلك ، خطر على بالى حادثة مفسرى هذه
الرؤية ، فنظرت حولى ، فوجدت بالقرب منى سيفاً فى
جراب من الذهب ، فأخذته وسحبت السيف منه ، فرأيت
كلمة الشهادة مكتوبة على طرفه ، فنظرت إلى هذا الرجل
وأخبرته من أنا ، وطلبت منه أن يتذكر تفسير الرؤية التى
راها ، وأخبرته كل ما حدث ، حتى تمت ولادتي ، وكيف
نشأت ، فلما سمع ذلك انقض على ، فقطعت رأسه

بالسيف ، وقلت : قبل أن يأتى الجن ويقتلونى ثارت
لأبى".

أما عن سبب حضوره إلى هنا ، فقد كان يأكل تمرا
ذات يوم ، فرمى بالنواه بعد أن انتهى فسقطت على رأس
ابن ملك الجن الصغير ، حيث كان يلعب ، فسقط الطفل
ميتا ، لهذا حملوه إلى هنا حيث قتلتهم .

الباب الثامن

وصول الحاج إلى هدفه ، وعودته إلى وطنه:

بعد أن قطعت رأسه ، أخذت قطعة من القماش ،
لأمسح السيف ، وبمجرد مسح ، ظهر لى أحد الجن
وقال " اطلب حاجتك يا سيدى " فرميت السيف خوفا ،
ومددت يدي ومسحت عيني ، وكأنى أقول له اقتلنى ،
لأرتاح من العذاب ، فسمعت قلبى يحدثنى قائلا : "دع
العذاب يمر " .

فقلت: من أنت ؟ !!

قال الجن : أنا خادم هذا السيف ، يافث بن نوح ،
أمرنى أن أخدم هذا السيف ، لأنه حارب به منذ أن كان
حيا حتى مات " .

عندما سمعت ذلك ، انشرح قلبى ، وقلت " لا بأس ..
إن كان الأمر كذلك ، احملنى لأصل إلى الماء الشافى :
فصرخ وقال : ليس لى هذه السلطة ، ولكن يمكن أن
أحملك إلى كبيرنا ، إذا وافق ، هو وحده ، الذى يملك هذه
السلطة فى كل المدينة ، ... منذ أن خلقت الدنيا ، خلق

الماء الشافى هنا ، من أجل الجن جميعا ، ومنذ هذا الوقت
تسيطر ذريتهم عليه حتى الآن " .

فقلت له : لا بأس ، احملنى ، وقبل أن أنطق البسمة ،
وصلنا إلى كهف كبير ، قريب من مدينة " إرم " فقال :
هو فى هذا الكهف " .

دخلنا فوجدنا عفريتاً كبيراً ، فركعت وحييته ، وقلت له
كل ما جاء بى ، منذ البداية حتى النهاية ، لم أخف شيئاً ،
حتى قصة سقيمى - أخى الأكبر - قصصتها عليه ،
فتعجب وقال : لابد أنك ابن حر ، لأنك ضحيت بنفسك
من أجل أبو فلان " ثم استطرد قائلاً " الأخ الأكبر للإمام،
الذى قابلته فى الكهف يعبد الله ، هو صديق لى ، جمعنا
معا حادث غريب ، فذات يوم ، كانت أمى تتجول فى
الصحراء ، فوصلت إلى بلاد السودان ، وهى تحملنى
على ظهرها ، فتملكنى الظماً ، حتى أخذت أبكى ، فقابلت
أمى أمه ، - أى أم الشيخ العجوز والإمام - تغرف الماء
من البئر ، فلما سمعتنى أبكى ، قالت لأمى " انتظرى
أعطى هذا الطفل الماء ليشرب " فوقفت وأخذتنى أمهما ،
وأعطتنى الماء بنفسها .

وقبل أن تتصرف جاءت أم الإمام ، وأعطتنى زهرة
- وثمره الكولا - جورو - وشيئاً مثل جوز الهند،

وأعطته لأمى ، وأخرجت قرشين ، وأعطتهما لى ،
فأمسكت فى كل يد قرشا ، وأخذت ألعب بهما ، كانت تظن
أن أمى آدمية ، ولم تعرف أنها من الجن ؛ فسألتها أمى
عن بلدها ، فدلته عليها ، وبعد ثلاثة أيام ، جاءت لها
والدتى فى الليل ، وكشفت لها عن نفسها ، وتصادقا معا ،
وكانت أم الإمام تحمل هذا الشيخ العجوز - الذى رأيته
فى كهف الجبل - على ظهرها .

وكانت أمنا سببا فى نمو الصداقة بيننا ، حتى كبرنا ،
وحتى الآن ما زلنا نزور بعضنا ، كل ليلة جمعة ، أذهب
إليه ، ونقضى الليل فى السمر ، واليوم عاش كل منا
ثمانين عاما ، ونحن نعبد الله فى هذا الكهف .

وأخوك الذى قتلته فى الجزيرة ، قتل أخى من قبل ،
وأنا ملك الجن ، فى هذه الدنيا كلها ، والذين رأيتمهم
يحملن ولدى ، وهذا الكنز الذى دخلته كنزى ، والسيف
الذى فى يدك ، سيف يافث بن نوح ، الذى حارب به حتى
توفى ، وهو الآن ملكى ، ولولا ما استطاع أى مخلوق
الوصول إلى الماء الشافى حتى أنا ، ولولا أنك أخذته
لبعثت ليؤتى به لأعطيك إياه ، حتى تستطيع الوصول إلى
الماء الشافى .

وهناك سببان أوجبا على مساعدتك : السبب الأول ،
أنك قتلت الذى قتل أخى ، والسبب الثانى ، أنك ضحيـت
بروحك ، من أجل أخى الإمام ، وأنت تعرف أن الأخ
الأصغر لصديقك ، كأخيك تماما .

عندما سمعت ذلك ركعت وشكرته ، فنصحتنى ألا
أدخل المدينة فى المساء ، ولا تنتظر الصباح ، فتمت مع
أولاده ، وعندما طلع النهار نادانى ، وقال : احفظ ما
سأقول لك ، وإلا ستهلك " .

قلت : لا بأس ، أسأل الله أن يساعدنا .

قال : انظر قمة الجبل الموجود فى وسط هذه المدينة
البعيدة ، هى المدينة الكبرى ، التى يسكنها الجن ، فى
الدنيا كلها ، واسمها مدينة " إرم " ، وهذا الجبل الذى تراه
على البعد الذى يخرق السحب ، اسمه جبل " قاف " إذا
دخلت ستجد مكتوبا على باب المدينة كلمة " لا تسأل "
ومهما ترى من أمور لا تهتم بها ، واقصد الجبل مباشرة ،
بهذا السيف المسلول وإذا دخلت المدينة ، ابدأ فى
إنشاد هذه الأشعار ، " ويفعل فى ملكه ما يشاء ، تعالى
الله وجل الحكم " حتى تغرف الماء وتعود .

سبب استمرارك في هذه القراءة أنك ستري أموراً
عجيبة لم تتعود على رؤيتها ، ستري البقرة تحلب
صاحبها الفلاتا ، وتري الحصان يركب الفارس ، والكلب
يسب ، والكتكوت يخطف الحداة ، والعنزة تطارد الذئب ،
والرجل يلد ، والدجاجة تفلح الأرض ، والديك يزرع ،
وأموراً أخرى عجيبة كهذه ، أنت تعرف الله يفعل ما
يريد ، ويفعل أكثر من ذلك غرابة ، آلاف ، آلاف المرات
إذا شئت .

قراءة هذه الأشعار ستجعل الجن يعرفون أنك تعرف
قدرة الله ، لذلك لن يضروك ، ولكن لا تقطع أى شئ ،
وإذا رأيت أنهم سيضرونك ، لن يصيبك أى أذى ، وعند
دخولك ستري اثنتى عشرة حجرة ، متوالية ، اترك
الحجرة الخامسة على يديك اليمى ، وادخل السادسة ،
وفيها ستجد البئر ، وهو يسمى بئر سينين ستجده ، مغطى
بغطاء من اللؤلؤ ، لو اجتمع كل من فى الدنيا ، لن
يستطيعوا فتحه ، حتى يقال " افتح بحرمة النبى سليمان
بن داود ، يا سليمان ، يا سليمان ، يا سليمان ، افتح لأجل
من لا نبى بعده ، افتح من أجل أفضل الخلق ، النبى
محمد "؛ فإذا فتح خذ دلوا من الذهب ، ستجده على حافة
البئر ، فألقه داخل البئر ، وأنت تتشدد ، ما قلته لك من
الشعر ، وإليك بزجاجة العطر هذه ، خذها ، إذا ملكت
أكثر منها هلكت لأنك إذا ملأت هذه الزجاجة ، ووصلت

إلى بلاد السودان ، ومسح به أى إنسان رأسه ، لا يصيبه
صداع إلى الأبد ، لذلك فهذه الزجاجة الصغيرة تكفى ،
لا تخف ، ولا تتسى شيئاً مما قلت لك ، الله يرجعك
بالسلامة .

أخذت الزجاجة ، وقصدت المدينة ، وقلبى يدق ، كل
ما قاله لى وجدته حقيقة ، ففعلت كل ما قاله لى ، حتى
وصلت إلى الجبل ، لذلك كان على أن أعد الحجرة
الخامسة على يدى اليمنى ، وأدخل السادسة ، كما قال ،
ولكننى خفت ، فعددت الرابعة على يدى اليسرى ،
ودخلت الخامسة .

ولما دخلت ، سمعت من يقول : أه لقد أخطأ ،
أضربوه ، فأخذوا يضربوننى ، وألقونى خارج المدينة ،
والسيف معى ، حتى كسروا رجلي ، فزحفت ومسحت
السيف ، فظهر لى العفريت ، فطلبت منه أن يعيدنى إلى
كهف ملك الجن ، وفى الحال أعادنى .

فما رآنى ملك الجن ، مصاب بالجراح ، فى كل
جسمى ، قال : لقد نجوت ، ولم يقتلوك ، قلت لك انتبه ،
ها قد رأيت ما أصابك ، لقد كتب الله لك النجاة ولم
يهلكوك " ؛ فقلت له أين حدث الخطأ ، فقال ، اجلس
حتى يتم لك الشفاء ثم عد بعد ذلك ، وعالجونى حتى
شفيت .

بعد عشرين يوما كرر نصيحته لى ، وعدت ، وفى هذه المرة لم أخطئ حتى عدت بالماء، لقد ظهر لى الجن، بأشكال مختلفة ، فلم أهتم بهم ، ولما غرفت الماء سمعتهم يدقون لى الطبول ، لقد كانت دقات طبولهم جميلة ، وخرجت ، ووصلت إلى ملك الجن ، فسر بى .

وبعد أن استرحت سبعة أيام ، قال لى : لا بأس أن تستعد للعودة " ، وقال " لن يستطيع أى عفريت فى هذه الدنيا ، أن يحملك ، لتقل الماء الذى تحمله ، إلا أنا وحدى، ولولا ذلك لجعلت أحد العفاريت يحملك إلى بلادك، قبل طلوع الصبح ، ولكنى سأحملك بالرغم من كبر سننى ، وسأحاول أن أختصر لك الطريق ، لأخرجك من بلادنا .

حملنى بنفسه ، حتى البلاد الواسعة ، بلاد الناس الذين يقال عنهم ، إنهم ملكوا الدنيا ، أى الأوربيين ، وقبل أن نفرق أحضر خاتما من الذهب ، ومنحه لى ، وقال : إن له خادما كخادم السيف ، إذا أردت شيئا ، امسحه فيخرج لى الخادم ، لأتنى لن أستطيع حمل السيف، ولكن الخادم لن يستطيع الظهور الآن ، لأن الماء الشافى معى ، مهما مسحت لن يظهر فأخذت هذا الخاتم ، ووضعتة فى يدى ، وأخذت الزجاجاة وربطتها فى جيب قميصى خشية ، سقوطها، وقال : إذا اشتقت لرؤيته فلا أذهب إلى الكهف

الذى يعتكف فيه عمى — الأخ الأكبر الإمام — يوم الجمعة — فهو يزوره فى كل ليلة جمعة ، ليقضى الليل معه .

ركعت وشكرته ، وكدت أبكى من فرط السرور ، وتقدمت إليه وسألته المغفرة ، عما يكون قد بدر منى .

ولما اختفى ، قصدت البحر ، وسألت أحد النصارى الذى يمتلك بعض المراكب أن يحملنى فى إحداها إلى بلاد السودان ، فقال إنى لا أروق له ، فأنا شديد القذارة ، كان يظن سواد جسمى قذارة غطته ، ولم يعرف أنها خلقه الله ، وحاولت وحاولت ، ولكنه رفض ، وأخيرا طردنى بعيدا عنهم ، مدعين أن رائحتى كريهة ، حتى لا أطلب لهم القمل .

عندما طلع النهار ، وجدت قاربا قديما ، فأصلحته ، ونزلت به البحر المالح ، ومعى أدوات الطعام وصفيحة الماء ، لأن ماء البحر لا يصلح للشرب ، ففيه ملح كثير ، وقصدت جهة السودان ، وقلت ، إذا شاء الله أن أحمل الماء الشافى إلى السودان حملته ، وإذا لم يشأ ، فأرادته فوق كل شىء .

وظللت أجدف ، أقع هنا ، وتدفعنى الرياح هناك ، والأمواج تحملنى مع المركب ، وتقذف بنا معا ، ولما رأيت أننى لا أشم رائحة الأرض ، تركت التجديف

وقلت: لأذهب حيث أراد الله أن أذهب " ، وإذا أحسست
بالنعاس لم أهتم به ، وتغلبت عليه ، وقطعت أملى فى
النجاة تماما ، حتى أصبحت لا أعرف تواريخ الأيام .

و ذات يوم كنت نائما ، فتوقفت بى المركب ، ففتحت
عينى ، فرأيت نفسى فى وسط شىء مثل البئر ،
فأصغيت، فسمعت أصواتا ، كأنها كلام لبعض الناس فوق
رأسى ، فرفعتها فرأيت السماء ، فقلت " اليوم أراد الله أن
أتى هنا ... الحمد لله " .

وبينما أنا أفكر ، رأيت من يدلى دلو ، فأمسكته فأخذ
يشد ، وأنا أشد ، حتى سمعت من يقول : أه من الذى
يمسك الدلو ؟

فقلت : أنا وقعت هنا ليلة أمس ، وخشيت أن أقول
إننى من البحر المالح فيخافون ، ولا يخرجوننى .

فلما قلت ذلك سمعتهم يصرخون، وفى الحال تجمع
الناس، وأدلو لى حبلا فأمسكته فأخرجونى وأنا فى
أقبح صورة يتدلى شعرى حتى الكتف عندما رأونى
تفرقوا من شدة الخوف وذهبوا وأخبروا أمير المدينة،
فجاء ومعه رجاله، فسألونى عن أخبارى فقلت لهم أنا
رجل آدمى أعطونى طعاما لآكل، حتى أستطيع أن أحدثكم
وأقص عليكم قصتى كلها .

وأمر الأمير ، فأحضروا لى طعاما فأكلت ، وكانت حركة البحر قد أصابتى بالصمم ، فسقونى دواء لمدة سبعة أيام ، حتى شفيت ومكثت عدة أيام ، حتى هدأت أعصابى ، لأننى كنت كالمجنون ، أو كمن بعث يوم الحشر .

ولما هدأت أعصابى بعد عدة أيام ، رأى أهل المدينة شكلى تماما ، عاداتهم كلها وكلامهم وملابسهم ولون بشرتهم مثل أهل السودان ؛ فلما انتبـهت إلى ذلك سألت الأمير قائلا : أطل الله عمر الأمير ، أين أنا ؟ !!

فقال : فى مدينة كانوا .

قلت : أى كانوا ؟ !! مدينة السودان ؟ !!

قال : نعم .

قلت : لا بأس ، أين كونتا جورا ؟

قال : بعد مسيرة خمسة عشر يوما من هنا ، دون أن تستريح فى الطريق .

لما سمعت ذلك هلت بالصلاة ، وقلت الحمد لله ، الله يعلم بأى طريقة جئت إلى هنا ؟ فأمر الأمير أن يأخذوني إلى بيت كبير ، وقالوا من هذا البئر خرجت .

قلت : ما أسماها ؟

قالوا : مبير حامى .

فقلت للأمير : هذه البئر عيناها تلتقى مع البحر المالح ، فأنا خرجت من البحر المالح ، وأراد الله أن تسحبني قوة عين هذه البئر معها حتى هنا ، حيث خرجت فتعجبوا ، وقصصت لهم قصتي منذ البداية حتى النهاية ، فسر الأمير بسماع ذلك .

قصة خروجي من هذه البئر ، لا كذب فيها ولا شك ، وحتى اليوم إذا أردت أن تسمع القصة ، اذهب إلى مدينة "كانو" واسأل عنها ، فكل كانوى عمره عشرين عاما يعرفها ، وكل من تسأله عن مدينة كانو ، قل له أن يريك بئر فى برجامى ، يوصلك حتى البيت الذى يوجد فيه البئر ، وخشية أن يقع فيه أى إنسان يغرف منها الماء فيموت ، أمر أمير كانو أن يصنعوا لها غطاء من الصاج ليغطيها ، كما أمر أن يغلق البيت ومنع زيارته ، والآن هى مغلقة والمياه كثيرة ، ولم تظهر لأستخرج الماء منها .

وبعد أن استرحت عشرة أيام ، أعطاني الأمير هدايا كثيرة ، وأمر أن تعد لي ناقة حتى تنقلني إلى باب بيتي في كونتا جوار ، فقد مضى خمسة عشر عاما تماما على خروجي منها حتى اليوم الذي عدت إليها فيه ، فخرج الإمام إلى الباب ، ولم يستطع التعرف علي ، وخرجت طفلا عمره خمسة عشر عاما ، وعدت شابا عمره ثلاثون عاما لحيتي طويلة حتى عارضي .

عندما كشفت له عن شخصيتي ، احضتني ، وأخذنا نيكى من شدة السرور ، ودخلت البيت معه ، فلما رأته أمي ، لم تنسني ولم أنسها ، فتعانقنا حتى كاد يغمي علينا من شدة السرور ، فصب الناس علينا الماء حتى أفقنا ، وأخذت كل المدينة تبارك لأهلي .

وأخبر الإمام الأمير ، أن ابنه الذي خرج يتجول في الدنيا قد عاد ، فبعث مرحبا بعودته ، ولم يعرف أحد ، ما أخرجني من بلادى ، أو ما حصلت عليه وبعد أن استرحت سبعة أيام ذهبت إلى الإمام ذات يوم ، أنا وأمى ، وقصصت عليهما أخبار رحلتي منذ أن خرجت حتى اليوم الذي عدت فيه ، وأخذت الماء الشافي وقدمته لهما ، فاكتشفت أنه قد تبعثر منى ، حينما كانت الأمواج تتقاذفني في البحر المالح ، ولم يبق إلا شيء قليل ، فقدمت لهما الجزء الباقي .

عندما سمع الإمام ذلك قام فى الحال ، وأخبر أمير السودان ، فأمر باستدعائى لأقص عليه القصة كلها ، وقدمت له الماء الشافى ، فأخذنى وعانقنى ، وأمر أن تدق لى الطبول منذ الصباح حتى الظهر ، ولأختصر لكم القصة أقول أن الأفراح التى أقيمت والسرور الذى عم والخير الذى ناله الأمير ورجاله والدهشة التى أصابت الجميع لا حدود لها .

وسألت الأمير عن الولد الذى تركته مريضا ، هل شفى ؟ أعنى " يا ريمما " الذى قال لو أعطى الماء الشافى ، قال الأمير : لقد عالجنَاه ، حتى تعبنا ، وحتى الآن لا يتقدم ، ونتمنى أن يموت الآن لنرتاج ، فهو بين الموت والحياة ، لمدة خمسة عشر عاما .

عندما سمعت ذلك قلت : لا بأس ، انتظر لنرى المشكلة التى أثارها الإمام ، ما إذا كانت الحقيقة أم لا ؟ فأخذت عصا صغيرة ، وغمرتها فى الزجاجاة ، وألقيت بها فى قليل من الماء فى إناء وأعطى للولد فشرب ، وبمجرد أن شربه مرة واحدة ، هب قائما وشفى فى الحال .

ولم يبق إلا القوة فقط فسر الأمير وبدى وكأنه
سياخذنى ويلتـهمنى من فرط السرور ، وأخذ الناس
يتعجبون من قوة الماء الشافى .

وعجب الإمام من أخبار أخيه الأكبر ، وملك جن
الدنيا ، واستدعى الأمير الإمام ، وسأله المغفرة لتكذيبه له ،
عندما تكلم عن الماء الشافى ، فغفرا لبعضهما . . .

لقد كانت رحلتى ذات فائدة عظيمة لأهل السودان ،
ولكنهم لم يعرفوا ذلك ، وقبل قيامى بهذه الرحلة ، كان
دواءنا فى بلاد السودان ، لأفائدة منه للنباتات أو
الحيوانات ، لأنه لا يوجد به قطرة واحدة من الماء الشافى
ولكن بسبب قوته حولها ، فأصبحت كل العواصف التى
تهب على البحر المالح وتمد الأرض بالماء الذى يرويهـا،
وأصبح الدواء صغيرا إذا خلط به وسقى منه الحيوان أو
النبات ، أرأيت كيف أن كل الأدوية تفيد ، لأننى صبيت
بعض الماء الشافى فى البحر ، والآن إذا وجدت شجرة أو
حيوان يشرب من الماء الذى يخرج من هذا البحر
وعولجت من أى مرض تم لها الشفاء .

بعد أن استترحت حوالى شهر ، بدأت أستعد لحك
الخاتم ، فلما ظهر لى الخادم ، أخبرته باسم المدن التى
حفظت فيها متاعى كله ، فحملنى وذهب لنقل متاعى ،

ولم أترك شيئاً حتى الأبرة نقلتها ، وكل شيء تجده الآن في بيتي .

وبينما أجمع متاعى ، ذات يوم قلت للخادم أن يحملنى إلى المدينة التى تركت فيها زوجتى " رقية " لأحضرها فلما رأتى سرت جداً بعودتى ، وخرجت أتثره فى المدينة معها .

فوصلنا إلى قرية صغيرة ، فرأيت المعلم زرقية فى السوق بين القصابين ، يدق طيلة وينبح وكأنه كلب أحد المتسولين ، فلما فتحت عبنى ورأيت ناديته فنظر إلى وقد طلى وجهه بلون أحمر وقال : الهمة يا بن الشيخ " وألقى الطيلة واتبعني واتبعني كل الناس ، وقص كل منا على الآخر أخباره ، منذ أن افترقنا ، وسبب عدم التقائنا بسرعة ، فأعطيته كل ثروتى ، التى تركتها بالمدينة ، وتركت له حرية التصرف فيها ، وأخذت زوجتى ، وعدت إلى كونتاجورا .

وحتى الآن ، إذا أردت المعلم زرقية ، أو أى إنسان ألفته ، أو اشتاقت زوجتى لرؤية أهلها ، أمسح الخاتم ، فيظهر الخادم لى ويحملنا إلى حيث نريد ، وهذا البيت بناء الجن لى ، وكنت أتمنى أن يبنوه لى من الحديد ، ولكننى خشيت أن يملأنى الغرور ، فأتكبر على الناس " .

هذه هي قصة الدنيا ، وأشكر الله ، ومازلت أشكره
حتى الآن ، الحمد لله رضيت أم لم ترض .

إلييا الإبن الأقوى

Iliya Dan Mai Karfi

تأليف : أحمد إنجاو

أمر عجيب :

كان يعيش فى إحدى بلاد الشرق رجل يسمى صحابى وكان له زوجة تسمى مرجانة ، كانا يعيشان فى منزل ريفي ، لم يكنا بالأثرياء تماماً ، ولم يكونا من الفقراء فقد كانا متوسطى الحال ، يمتلكان بعض الدواب والمزارع ، إلا أن شيئاً واحداً كان يـكـدر عليهما صفو الحياة الدنيا وهو عدم الإنجاب فلم يمن الله عليهما بنعمة الولد .

لقد بذلا الكثير من المحاولات لعلاج حالة العقم إلا أن كل هذه المحاولات باءت بالفشل وممرت السنون تلو السنين حتى من الله على مرجانة بالحمل ، ويعجز القلم عن وصف مظاهر الفرح والسرور لدى الأبوين ، وأخذا يستعدان ليوم الولادة منذ الشهر الرابع .

وذات يوم كان صحابى يعمل فى الحقل خلف المنزل ، وكانت الشمس قد توسطت السماء وفجأة سمع زغرودة تنطلق ثلاث مرات من منزله ، فألقى فأسه وعاد مسرعاً إلى المنزل فلما وصل وجد أن الأمنية التى طالما تحققت ، فقد ولدت مرجانة ولدا جميلا ، وبعد أسبوع اجتمع الناس وأقيم حفل التسمية وأطلق على المولود اسم إيليا .

ودارت الأيام وبلغ الرضيع الفطام ، إلا أن مرض الشلل أصاب رجله وإحدى يديه ، ومكث على هذا الحال حتى كبر ، لا يستطيع مغادرة سريره إلى أى مكان إلا محمولا ، وقد حزن والده لمرضه حزناً شديداً ولكنهما لم يستطيعا إلا صبرا وذات يوم ذهب والدا إيليا إلى المزرعة ، وتركاه وحده فى المنزل فوق سريره ، وقد استغرق مفكرا فى أمور الحياة الدنيا ، وماذا كان يمكن أن يفعل لو كان سليم الرجلين ، وفجأة سمع من يلقى عليه السلام " السلام عليكم ، السلام عليكم " فرد عليه إيليا قائلا " عليك السلام ، من الذى دخل " ثم رأى ثلاث رجال يرتدون الملابس العربية التى يرتديها الحجاج ، يحمل كل منهم مسبحة طويلة فى يده ، جلسوا فرحب بهم إيليا فردوا التحية مبتسمين .

نظر إيليا إلى هؤلاء الرجال جيدا ، فأدرك أنهم ليسوا كمن تعود أن يراهم من الناس ، فظن أنهم ممن يقال عنهم أنهم يطوفون البلاد يعظون الناس .

سأل هؤلاء الرجال إيليا عما إذا كان لديه بعض الطعام يقدمه إليهم ليأكلوه قال إيليا " لا يخلو المنزل من بعض الطعام ابحثوا فى كل مكان وخذوا ما تجدونه وكلوه ، لأنى لا أستطيع القيام والبحث " فسألوه عما أصابه ، قال " هذا المكان الذى تروننى فيه ، أنام فيه منذ ولادتي ، لم

أخرج من باب المنزل ولم أذهب خارج هذه الحجرة إلا
محمولاً " .

الله أرحم الراحمين ! لم يكن هؤلاء الزوار بشراً ،
كانوا ملائكة بعثوا لامتحان إيليا ، وشفائه ، طلب أحدهما
ماء في إناء ، وقرأ عليه بعض الأدعية ، وقدمه إلى إيليا ،
وقال " اغسل وجهك وجسمك " أخذ إيليا الماء بيده السليمة
واغتسل ، وفي لمح البصر ، وجد جسمه معافى تماماً
وكان شيئاً لم يكن ، واستطاع أن يمد رجليه ويده
المشلولة ، وأصبح من لم يره من قبل ، لا يدرك أنه كان
مريضاً .

مد رجليه من فوق السرير ، وانحنى أمام هؤلاء
الرجال ، وقدم لهم الشكر ، وفي غبطة وسرور ، ذهب
وأحضر بعض اللبن ، وركع وقدمه إليهم ، فشرب كل
منهم وأعطى رفيقه ، حتى شربوا جميعاً ، ثم مد كبيرهم
يده إلى إيليا وقال " اشرب أنت أيضاً يا إيليا " أخذ إيليا
اللبن وشرب . وبعد قليل قال أحدهم لإيليا " كيف تشعر
بجسدك الآن ؟ " قال إيليا " أشعر أن قوة جديدة قد تسالت
إلي ، وأشعر أن الأرض ، بما عليها لا تنال مني " .

قال كبيرهم من إيليا أن يشرب مزيداً من اللبن . وبعد
أن شرب قدرأ أكبر من اللبن ، قال له الرجل " حسناً ،
أمن بالملك الأعلى ، واتبع أوامره واعمل بكل ما يأمرك

به ، وستكون أشرف من كل سكان البلد وسيشتهر اسمك
فى كل مكان فى الدنيا ، ولا تثنيك الصعاب والأخطار
عن حبك لربك . وهذا الأمر مؤكد ومكتوب ولن تموت
فى ميدان القتال مهما حمى الوطيس .

ولن ينتصر عليك أى إنسان فى هذه الدنيا ، إلا رجل
واحد فقط يسمى ورجاجى ، ستلتقى به ، ولكن إياك
ومحاربته ، وعليك الآن أن تعقد العزم على الذهاب إلى
مدينة قب ، ولا تنتظر لتستنفد قوتك فى المزرعة ، أو
الحديقة أو الغابة . "

وبمجرد انتهائهم من هذا الحديث اختفوا دون أن يشعر
بهم إيليا . فتملكته الحيرة ، وحزن لأنه لم يعرف السبب
الذي سيذهب من أجله مدينة قب ، وقد اختفوا دون أن
يسألهم ، ورأى الأمر كله كالحلم الخاطف ، وبعد قليل
هدأت نفسه ، وذهب إلى المزرعة حيث يعمل والده ،
فوجدهما قد انتهيا من عملهما وأصابهما التعب فاستغرقا
فى نوم عميق ، فألقى عليهما السلام ، فلم يستيقظا ،
فاقترب منهما وأخذ فأساً وقصد فرعاً كبيراً من شجرة
الباو باو ينام والده فى ظله وقطعه ، وبالرغم من الصوت
المرتفع الذى أحدثه القطع وسقوط الغصن إلا أن والديه لم
يستيقظا من نومهما . فأخذ باقى الفئوس وثبتها فى جسم
الشجرة وذهب إلى مكان واختبأ فيه وهو يضحك ويقول

فى نفسه " عندما يستيقظان ويهمان بالعمل فلن يجدا فاسهما وسيبحثان عنها . "

وبعد أن ضربتهما حرارة الشمس ، قاما مذعورين ، ونظرا إلى أعلى فوجدا أن غصن الشجرة الكبيرة قد قطع ، فتعجبا لأنهما يعلمان أنه لا يقوم بهذا العمل فى الوقت القصير إلا عشرة رجال أشداء ، ونظرا فلم يشاهدا أحدا إلا فتوسهما مثبتة فى الشجرة ، فحاولا اقتلاعها ولكنهما عجزا عن ذلك ، ولما رأى إيليا أنهما عجزا خرج إليهما ضاحكا ومد يده واقتلع الفتوس جميعا . فلما رأى إيليا على هذا الحال ، زالت دهشتهما لقطع الشجرة وتثبيت الفتوس فيها . وأخذا يتعجبان من أمر إيليا . وهذا كل المكان ، وأخذت أم إيليا وأبوه ينظر إليه من أسفل إلى أعلى . وبعد قليل أدركا أنه ابنهما إيليا قد كتب له الشفاء ، فرفع الأب رأسه إلى السماء حامدا الله .

ولشدة دهشة والدى إليها لم يستطيعا أن يقولا له شيئا ، وركع إيليا أمامهما ، وقص عليهما كل ما حدث . وأخبرهما أنه لن يبقى معهما ، وقال أنه أمر بأن يذهب إلى مدينة قب .

فرح والده كثيرا لشفاء أبنهما ، ولكنهما شعرا بالحزن عندما تذكر أنهما سيفارقهما ، فركع مرة أخرى ، وخفض من صوته وأخذ يحث والديه على الصبر ، ويحدثهما

حديثاً لطيفاً ، حتى يهدأ من روعهما ، ثم طلب منهما المغفرة ، وودعهما ، واتخذ سبيله إلى مدينة قب .

وفى أثناء الرحلة التقى برجل يجر حصاناً صغيراً ، فسأله إيليا مازحاً هل يبيعه هذا الحصان . فوافق صاحب الحصان ، وسأومه فى الثمن وهو على يقين أنه لا يملك درهما ، ثم وضع يده فى جيبه ، مازحاً فأحس أن فيها مالاً ، فأخذه ودفع ثمن الحصان . وهنا ورد على خاطره أنه من الأفضل أن يعود إلى منزله ، ويرعى الحصان ثم يستأنف الرحلة ، فالتفت عائداً إلى منزله .

أطلق إيليا على حصانه اسم قوليلى ، أخذ يرعاه ويربيه على تحمل الصعاب ، والصبر على الجوع ، وقبل مضى ثلاثة أشهر كان الحصان قد امتلأ وصار لا مثيل له فى المنطقة المجاورة ، وظل فى مربطه حتى مل الراحة ، وأخذ يتشوق إلى الرحيل أكثر من صاحبه .

عندما شعر إيليا أن وقت رحيله قد حان ، ذهب إلى والديه وأخبرهما ، وطلب منهما المغفرة ، فأكثر من الدعاء له ، وودعاه وفى صباح اليوم التالى ، استعد إيليا وامتطى صهوة جواده قوليلى وبدأ الرحلة .

لقاء إيليا بورجاجى :

دخل إيليا الغابة وواصل السير ، وهو لا يعرف له وجهة ، حتى أقبل الليل واستولى عليه الجوع والتعب والظما ، كما تعب حصانه كذلك. واصل السير وسط سكون الغابة ، حتى وجد حديقة أمامه مملوءة بالثمار والأزهار العجيبة ، وفي وسط الحديقة أقيمت خيمة من الحرير الأبيض ، نزل إيليا وربط حصانه ، ودخل الحديقة وأطل برأسه فى الخيمة فلم ير إلا سريراً من الحديد وبعض الفراش والوسائد. لم ينتظر طويلاً ، وصعد السرير ونام وسرعان ما استغرق فى النوم حتى طلع النهار. وغربت الشمس مرة أخرى ، وأقبل الليل وطلع النهار وهكذا استمر ثلاثة أيام نائماً لم يستيقظ. وفى الليلة الثالثة كان إيليا مستغرقاً فى نومه ، أخذ قوليلى يسمع حركة وضوضاء مقبلة تجاه الخيمة ، وكان عاصفة تهب ، تهتز الأرض من تحتها وكأنها ستتشقق. أخذت الأشجار تسقط ، وفاضت مياه النهر فى الغابة. ثم صهل الحصان بشدة حتى يستيقظ إيليا ، وكأنه ينبهه إلى القيام بسرعة لاقترب هذا المخلوق الضخم إليه. لقد كان هذا المكان هو منتزه ورجاجى الذى طلب من إيليا ألا يتقاتل معه .

بعد قليل ، شعر إيليا بالخوف ، وأشار إليه قوليلي بأن يصعد إلى مكان مرتفع ليختبئ فيه ، وبسرعة صعد إيليا فوق إحدى الأشجار الطويلة فى الحديقة واختبأ . وبحث قوليلي عن مكان اختفى فيه .

بعد ذلك وصل ورجاجى ، على ظهر حصان كبير كان يشبه الجمل مقبلاً من بعيد ، ونزل عند مدخل الخيمة . نظر إليه إيليا جيداً فوجده شيئاً مخيفاً ، لأنه لم ير من قبل شخصاً ضخماً مثله ، رجل عريض وطويل كان يقطع الأشجار التى تعترض المكان بيده . ثم أنزل صندوقاً كبيراً من فوق ظهر حصانه وأخذ ما يشبه المفتاح من الذهب وفتح الصندوق فخرجت فتاة جميلة حمراء مثل الجن ، وقد تزينت بأنواع شتى من الحلوى الذهبية واللؤلؤ والمرجان ترتدى حذاء منسوجاً من الحرير الأحمر . وقد بلغ شعر رأسها الأرض فكانت ترفعه بيدها .

أمسك ورجاجى يد هذه المرأة ودخلا الخيمة ، ففتحت حقيبة وأخرجت مائدة للطهى ووضعت عليها طعاماً وشراباً ، وجلسا يأكلان ويشربان حتى شبعا . ثم صعد ورجاجى إلى السرير ونام فأخذت تهوى له حتى غلبه النوم . فلما رآته قد استغرق فى نومه خرجت تتجول فى الحديقة ، وأخذت تسير وتتشد بعض الأغاني الجميلة

بصوت منخفض ، تأخذ بلب من يستمع إليها . وبعد قليل رفعت رأسها إلى أعلى ، فرأت إيليا فوق الشجرة مختبأ . فنظرت إليه جيدا ثم قالت " ايها الشاب الوسيم انزل "

نزل إيليا وهو يرتعش فأمسكت يده ودخلت به إلى الحديقة . وبينما كان ورجاجى يغط فى نوم عميق ، فتحت جيبه ووضعت فيه إيليا . ف شعر وكأنه قد نزل فى بئر عميق .

وبعد وقت قليل استيقظ ورجاجى من نومه ، واستعد للقيام وأخذ الفتاة ووضعها فى الصندوق ، وأغلقه وعلقه فى سرج حصانه . واتخذ طريقه عائدا إلى المنزل . وقصد بعض الجبال العالية تسمى " الجبال العالية " وهى مكان لم يصل إليه أى مخلوق من قبل ، ولا يستطيع الوصول إليه إلا جيجى والد ورجاجى ، ويحيط بالقصر مبان كثيرة جميلة ومتنوعة . والرخاء ونعم الحياة فى كل مكان .

كان جيجى يفوق ورجاجى حجماً وطولاً وجمالاً ولكنه شاخ تماماً وفقد بصره . لاحظ ورجاجى أثناء السير أن الحصان يسير فى ببطىء على غير عادته . يسير وكأنه سيقع ، غضب ورجاجى وضربه فنبهه الحصان قائلاً " صبرا يا سيدى ، قوتى لا تتحملك إلا أنت وربة البيت

فقط ، ولكن ليس لدى القدرة على أن أحمل مخلوقات
ثلاث . "

بحث ورجاجى فى كل مكان فلم ير أحدا ، وأخيرا
شعر بشيء ثقيل قليلا فى جيبه ، فمد يده وأخرج إيليا ،
ونظر إليه جيدا وقال " أنت يا بنى آدم ، ماذا فعلت حتى
جئت إلى هنا ودخلت جيبى ؟ " كان إيليا يتوكل على الله
دائما ، ولا يخشى أحدا ، فنظر إلى ورجاجى دون خوف
أو دهشة وقال " يا سيدى ، امرأتك هى التى وضعتنى فى
جيبك يا سيدى " وفى الحال أغضب وأخذ هذا الصندوق
الذى ترقد فيه الفتاة وألقى به فوق جبل فى وسط النهر ،
وقال " امكثى هنا ، أيتها المرأة القذرة ، ستبقيين هنا حتى
يوم القيامة " .

أخذ ورجاجى إيليا وأجلسه أمامه على الحصان
وواصل السير وبعد قليل هدأت نفسه ، فسأل إيليا عن
موطنه ومدينته وأخباره كلها فقص له قصته منذ البداية
حتى النهاية ، وفى الحال ألقت المحبة بين قلبيهما ،
فواصلتا الرحلة يتحدثان عن أخبارهما كأنهما صديقين .

وقبل أن يصلا إلى المنزل قال ورجاجى لإيليا " إذا
وصلنا إلى المنزل سأحملك لتحية والدى ، فإذا مد يده
ليحييك لا تمد إليه يدك ، يوجد حداد عند باب المنزل ،

ستذهب إليه وتأخذ منه قضيباً من الحديد وتضعه فى النار ، فإذا مد إليك يده مددت إليه هذا القضيب الحديدى فمسكه بدلاً من يدك . فقال إيليا " وهو كذلك " .

وإصلاً السير حتى بلغا باب القصر ، فتملكت الدهشة إيليا لضخامة البناء فقد كان يشبه الجبل الأبيض ، زين بمختلف الزينات ، وحينما سرت بداخله رأيت الكراسى والفرش . حتى نوافذه من المرايا مغطاة بألوان مختلفة من الستائر ، والمصابيح فى كل مكان . وخلاصة القول أنه مملوء بجميع متع الحياة ونعيمها .

بعد قليل خرج جيجى جيجى ووقف على باب الدهليز ليرحب بورجاجى . يسأله عن المدن التى زارها ، فقال له ورجاجى أنه زار بلاد الشرق ، حيث عاد بصديق من هناك ، فأمر أن يأتى إيليا لتحيته .

وكان إيليا قد وضع القضيب الحديدى الضخم فى النار ، وأخذ ينفخ فى النار حتى التهب الحديد ، وأخذ ينتظر حتى يستدعيه . ذهب ورجاجى مع إيليا ، مد جيجى يده لإيليا ليحييه فمد إليه القضيب الحديدى فأمسك الحديد الملتهب كأنه يمسك يد من يحييه ، وبعد قليل ترك القضيب وقد صار بارداً قائلاً " إنك يا ورجاجى قد

وجدت الصديق الذى يشبهك وجدير بأن يكون لك صديق".

وفى اليوم التالى خرج إلى باب القصر ، ووقفاً يتأملان من بعيد اتساع الريف وضخامة الأشجار ، ونظر إيليا فرأى على بعد حصانه قواليلي يرعى بالقرب من القصر . فملأ السرور قلبه وأسرع إليه وأمسكه فتعجب ورجاجى من هذا الحصان ، فأخذه وربطاه فى المربط ووضعاه له الطعام وقدماه إليه الماء .

وفى المساء ركبا حصانيهما وخرجا يتنزهان ، وتتبعان حافة الجبل وهما فى فرح وسرور ، وواصلتا السير حتى وصلا إلى مكان جبلى ، وبالقرب من الجبل رأيا صندوقاً مفتوحاً وكتب عليه " هذا الصندوق من قبل لورجاجى ليكون قبراً له ، فلما رآه إيليا قال " دعنى أجربه لأرى لعله صنع لى " فنزل ودخل الصندوق ، فوجده مناسباً له تماماً ، كأنه قد صنع له بمقاساته ، لقد ملأه حتى تعذر عليه التحرك داخله ، فمد يده من داخله وأغلق غطاءه ، فانقل الصندوق تماماً . ولم توجد ثغرة تدخل منها شعرة الرأس .

أعلق ورجاجى الصندوق دون أن يودع إيليا ، لم يحمله وصيته يبلغها لأبيه ، لذلك طلب من إيليا أن يفتحه ليبلغه الوصية ويودعه ، فمد إيليا يده ، وحاول أن يفتح

الصندوق ، ولكنه عجز عن تحريك الغطاء . فتألم وقال " لا أستطيع فتح الصندوق " قال ورجاجى " خذ سيفى الذى أحارب به ، وأقطع حافة الصندوق " فمد إيليا يده وأخذ السيف ، وقال ورجاجى " اقترب منى " فاقترب إيليا، فنفخ ورجاجى فى جسد إيليا بكل قوته ، وفى الحال أخذ إيليا السيف بسرعة كأنه يحمل عودا من الغاب وقطع الصندوق بقوة ، فدوى الصوت فى أنحاء الغابة ، واشتعلت النار فى الغابة ، واضطرب المكان كأن السماء قد انطبقت على الأرض ، وانتشرت السنة النار فى كل مكان ، وبدلاً من أن ينفتح غطاء الصندوق ازداد إحكاما .

وبعد أن هدأت المنطقة ، قال ورجاجى " اقترب يا إيليا لأزيدك قوة ، سأمدك بكل ما لدى من قوة " قال إيليا " سيدى إذا زادت القوة التى لدى عن ذلك ، لن تستطيع الأرض بمن عليها أن يسلبنيها ، أشكرك كثيراً ، أريد أن تقول كل ما تريد ، إذا استطعت سأفعل ما تريد . "

قال ورجاجى " لا شئ أكثر من ذلك تستطيع فعله لى، لقد انتهت حياتى الآن . أترى هذا الصندوق أنه قبرى ، أشكرك بارك الله فىك ، وقالك الله من شر الناس ، إذا وجدت فرصة للعودة ، بلغ تحياتى إلى والدى ، وأخبره بما أصابنى من أقدار فى هذا المكان ، أسأله الله أن نلتقى فى دار السلام .

هذا الكلام الذى قاله ورجاجى ، أثار غضب إيليا ،
وأحزنه ، وأفقده لذة الحياة ، وتحير فيما يفعله ، ثم انفجر
فى البكاء ، وطلب المغفرة من ورجاجى ودعاه له ،
ومكث مدة على حافة الصندوق يبكى . وبعد أن هدأت
نفسه وتذكر أن كل شئ بقضاء من الله ، ولذلك أخذ
يحدث نفسه قائلا " الآن إذا رجعت ماذا أقول لجيجى
جيجى ؟ لا ينبغي أن أعود إلى هذا المكان " ثم ركب
حصانه ، وواصل السير ، وهو لا يعرف له وجهة ،
وتتبع انحدار الجبل ، وأخذ يسير حتى بعد عن المكان
فتلفت حوله فوجد دموع ورجاجى تتصبب من ثقب
الصندوق ، فأشفق عليه ، وانفجر فى البكاء مرة أخرى ،
ثم نزل من فوق الحصان وجلس يفكر ، وقد بدى الحزن
على وجهه ، وبعد أن مكث فترة على هذا الحال ، قام
وواصل رحلته .

إيليا يهيم على وجهه :

واصل إيليا السير أياما وأياما حتى وصل إلى مدينة صغيرة ، فنزل ليستريح يومين . ولم يمض وقت طويل حتى ألفه سكان المدينة ، وفرحوا بقدومه . وصار كآخ لهم ، كلما ذهب إلى مكان عاد إليهم . وبعد أن أستراح قال لهم ذات يوم أنه سيذهب إلى مدينة قب . فدهش الناس لذلك .

على طريق مدينة قب يعيش عفريت ضخم يقطع الطريق على القوافل ، لو تعرض لجمع كبير من المحاربين يسلب متاعهم ، ومهما كانت شجاعة المحاربين يستطيع هذا العفريت التغلب عليهم ، وقد ذاعت أخباره في كل مكان في المدينة ، حتى قطع الطريق تماما ، وصار لا يسلكه أحد . وكان هذا العفريت يسمى جوجي ، وله تسعة أبناء ، ومن بينهم فتاة تسمى جيلي ، لها عين واحدة ، هي التي ورثت كل أفعال جوجي الشريرة وطباعه .

ولمعرفة الناس أخبار هذا العفريت حاول الناس أن يمنعوا إيليا من الذهاب إلى مدينة قب . ولكنه أصر على

عزمه . فلما أعييتهم المحاولة تركوه . وأشاروا عليه أن يغير الطريق ، فقال أنه لابد أن يسلك هذا الطريق ، فودعوه ، وذهب إلى مقصده .

ولم يكن إيليا يفخر بشيء كما يفخر بسيفه ، والقوة التي وضعها الله فيه ، وكان لسرجه اثنا عشر حزاما ، وكان سيفه إذا ضرب به الصخرة انقسمت نصفين . وإذا اجتمع عليه مائة من الشجعان العتاه استطاع القضاء عليهم وتفريقهم .

وقبل رحيلهم بيوم واحد ذهب إلى مسجد المدينة الكبير ، وأكثر من الدعاء وسأل الله أن يوفقه ، وعقد العزم على الذهاب إلى مدينة قب ، وسلوك الطريق الذى يقال أن أحدا لا يسلكه إلا وقضى عليه . وأخذ على نفسه عهدا بالا يستعمل سيفه حتى يصل إلى مدينة قب ، مهما كانت شدة الأخطار التى سيواجهها فى الطريق . عاد منزله واستعد ، وفى الصباح ركب حصانه ، واتخذ طريقه وواصل السير أياما وأياما دون أن يرى فى طريقه منزلا ولا مدينة . فلم تقع عينه إلا على الغابات .

واستمر على هذا الحال حتى وصل إلى جبل طالما سمع عن عظمتة كثيرا ، فلما رآه تحقق ما سمع ، أخذ ينظر إلى قمته وطوله فلم يجد لها نهاية ، أخذ يطوف

حوله لعله يجد مكانا يجتازه بسهولة، وأمضى خمسة أيام وهو يطوف حوله ، وأخيرا اكتشف مكانا صغيرا ، استطاع إصلاحه بسيفه وصعد منه وواصل الرحلة .

وبعد حوالي أسبوعين وجد النهر الكبير الذى سمع عنه كثيرا ، فنزل وتفقد المكان جيدا ، وربط حصانه ، ووضع متاعه فى الكوخ ، ونام . ولما طلّع النهار قصد شجرة كبيرة وقطعها ، وأخذ يصنع قارباً ، قضى شهرا فى الغابة لا عمل له إلا صناعة القارب ، ولما انتهى أنزل فيه متاعه وحصانه ، وعبر النهر قاصدا مدينة قب .

وبعد أن عبر النهر قضى حوالي عشرين يوما ، اقترب من مدينة تسمى كانىغو . وقبل أن يصل حدود المدينة رأى على البعد فرقة من المحاربين يحيطون بالمدينة ، وتعذر الدخول إليها والخروج منها . وأخذوا ينتظرون سكان المدينة حتى يخرجوا إليهم فيقضو عليهم بعد أن يفتحوا باب المدينة . وقد عزم المحاربون على أن يكسروا الباب ويدخلوا المدينة بالقوة ويستولون عليها بالحرب إذا اعتصم أهلها داخلها . وكان عدد هؤلاء المحاربين كثيرا جدا ، ومهما كانت شجاعة الإنسان ، إذا رأى كثرتهم ومدى استعدادهم ، يتراجع عن قتالهم .

اجتمع كبار رجال المدينة فى مسجد المدينة الكبير ،
وأخذوا يدعون الله لعله يخفف عنهم هذه المصيبة بعد أن
أغلقوا أبواب المدينة كلها .

الله سميع الدعاء ، وإذ بإيليا يهاجم معسكر هؤلاء
المحاربين فجأة من الخلف ، وهو على ظهر حصانه
قوليلى ، وهو لا يعرف ماذا يجرى خلف أسوار المدينة .
هاجمهم وهم باختراق صفوفهم ، فالتقوا حولهم وأعلنوا
عليه الحرب ، وأخذوا يضربونه بالسيف والسهام
والعصا الغليظة والرماح . تذكر إيليا الوعد الذى أخذه
على نفسه ألا يستعمل السلاح حتى يصل إلى مدينة قب .
فمد يده وجذب زمام حصانه واندفع به بين صفوفهم قائلاً
" أيها الوثنيون ، سيغلبكم الشجعان " وأخذوا يضربونه
وهو يضربهم بيده ، واشتد القتال بينهم وبينه وحده .

وبعد قليل فرقهم جميعاً ، وقتل بعضهم وجرح البعض
الآخر ، فلما رأوا أنهم مهزمون لا محالة ، نجا الباقون
وولوا الأدبار ، ولم يتركوا إلا الموتى والذين لا
يستطيعون الفرار ، وانهزم معسكر المعتدين .

كان هذا هو اليوم الأول الذى بدأ فيه إيليا اختبار قوته
وشجاعته . ومضى إلى بوابة المدينة فوجد الأبواب كلها
قد أغلقت ، فراجع إلى الوراء ، ودفع حصانه قوليلى

فقفز إلى السور وإذ به داخل المدينة . ذهب إلى قصر المدينة فلم يجد أحدا ، فقد ذهب الجميع إلى المسجد حيث يرددون الدعوات . لم ينتظر وتوجه إلى المسجد ، وسألهم عن سبب تجمعهم في هذا المكان فقص الأمام عليه قصة هؤلاء المحاربين ، فقال إيليا " لقد استجاب الله اليوم دعوتكم ، ولم يبق أحد من المحاربين ، لقد طردتهم جميعا فاطمئنوا " نظر الناس إلى إيليا ، فى دهشة مما يقول ، ولكنهم لم يصدقوا .

لما أدرك إيليا عدم تصديقهم لكلامه ، طلب منهم أن يبعثوا من يطل خارج السور ليرى بنفسه ، قال بعض الكبار منهم ، ابعثوا من يتحقق من الأمر . وفى الحال بعثوا بعض الشجعان ، فصعدوا فوق السور ونظروا على البعد ، فلم يجدوا أحدا ، إلا الموتى والجرحى مبعثرين فى كل مكان . فأخذوا يصيحون صيحة النصر الحربى . وحملوا الأخبار إلى الأمير . وعم السرور جميع أنحاء المدينة وفى الحال انطلقت الطبول والمزامير . واجتمع الأمير مع جميع كبار المدينة وأخذوا ينظرون إلى إيليا فى دهشة بالغة ويعربون له عن شكرهم . كما قص عليهم كيف بدأت هذه المعركة .

وعندما أقبل الليل ، اجتمع كبار رجال المدينة ، وتبادلوا الآراء ، وطلبوا من إيليا أن ينتظر ليعينوه أميرا

بعد وفاة أمير المدينة ويولونه السلطة ، وجمعوا له ألف مد من الذهب والكثير من الفضة ، وغير ذلك من المتاع القيم ، وقدموه إليه ، إلا أنه أخبرهم أنه ليس بحاجة إلى شيء منهم . وكل ما يريده منهم أن يدلوه على الطريق إلى مدينة قب . عندما سمع هؤلاء الناس اسم المكان الذى يقصده ، قاطع بعضهم كلامه وأخذ بعضهم يتنهد والبعض الآخر أخذ يقول لا حول ولا قوة إلا بالله . واجتمع أمير المدينة وإمامها وكبار رجالها ، وحاولوا إقناع إيليا بعدم الذهاب إلى مدينة قب ، لأنهم متأكدين من هلاكه ، وقصوا عليه قصة الغابة التى تقع فى الطريق إليها والتى لم يسلكها أى مخلوق من خمسين عاما ، والتى ليس فيها إلا الفيلة والحيوانات المفترسة وهذا العفريت الذى يسمى جوجى قاطع الطريق . وأن أكثر من مائة رجل ذهبوا لقتله فتعذر عليهم وقتلهم جميعا .

إيليا يلتقى بجوجى :

كل هذه القصص لم تثنى إيليا ، إلا أنها زادت إصرارا على الرحيل قال " دلونى على الطريق فقط . إذا هلكت سيجمعنا الله على الخير يوم القيامة . وإذا نجوت أرجو من الله أن أعود إلى مدينتكم مرة أخرى لمساعدتكم أكثر مما فعلت الآن " .

صبروا على ما سيلاقيه وتركوا إيليا ، ودلوه على طريق مدينة قب ، واصطحبوه إلى خارج المدينة ، وودعوه ، وواصل السير نحو الغابة الموحشة أياما وأياما لا شيء فيها إلا التلال والجبال والشلالات والأنهار . أحيانا تهطل عليه الأمطار بغزارة ، وأحيانا يسير فى أماكن لم يسلكها مخلوق منذ أن خلق الله الأرض . وهكذا مرت الأيام حتى دخل إيليا الغابة التى يعيش فيها جوجى . وواصل السير حتى وصل إلى المكان الذى يعيش فيه العفريت تماما .

رأى جوجى إيليا من بعيد قادما ، وهو أمر لم يحدث منذ سنوات عديدة فاسرع وسحب عصاه الغليظة ، وبدأ يستعد ويلعق شفثيه . وذهب للقاء إيليا وهو يصيح ،

فيخرج الدخان من فمه ، وقد أصاب قواليلي الرعب من صراخه ، فسار الهوينا وكاد يركع على الأرض ، فغضب إيليا وضربه ، وأسأنف السير ، قصد جوججى إيليا مباشرة لقتله ، ولكن إيليا تذكر وعده بالأستعمل السلاح . فانتزع غصن شجرة وأصلحه وثبته فى القوس بدلا من السهم ، وصوبه على قلب جوججى ، وأطلقه عليه وبدلا من أن يصيب صدره أصاب أذنه اليسرى ، ثم صوب على أذنه اليمنى ، فارتفع جوججى إلى أعلى ثم سقط على الأرض ، ثم قام وصرخ صرخة ، ثم وقع على الأرض ، كأنه فيل ضخم .

وفى الحال نزل إيليا وربط جوججى بزمام حصانه السميكة ثم ساقه أمامه وقصد المكان الذى يقيم فيه هو وأولاده .

وإصلا السير حتى عبر شلالا ووصلا إلى نهر فى وسط غابة تحيط بها الجبال . حيث توجد حدائق كثيرة ، ومهد وسطها بحجارة كالأسمنت ، وبنيت أعمدة من الحديد كالدعامات وبنيت عليها حجرة كبيرة .

عندما رأى أبناء جوججى إيليا قادما من بعيد ، غمرهم السرور وأخذوا يقفزون ويقولون " ألو ، ها بابا قادم ، جاء لنا باللحم ، اليوم سيكون عندنا وليمة " هذا يقول أنه

سيأكل الرأس ، وهذا يقول أنه سيأكل العين ، حينئذ قالت لهم مليلي التي تعد الطعام " أنتم أغبياء ، انظروا جيدا ، أبونا هو الذي وقع فى الشرك اليوم ، ليس هو الصياد . " ثم حدقوا بأعينهم جيدا ينتظرون وصول إيليا . قال جوجى لأولاده من بعيد بألا يلمسوا إيليا ومع ذلك اقتلعت مليلة إحدى الدعامات الحديدية وضربت إيليا على رأسه . فلم يلتفت إيليا . فرفعتها مرة أخرى وستضربه ، فغضب إيليا . ومد يده وجذبها ، ودفعها إلى أعلى فوقعت على الأرض فتكسرت .

قال جوجى " أى لقد قلت لكم ، ها هى العينة " وقال لأولاده أن يحضروا حقيبة كبيرة . بها مائة قطعة من الذهب ، وأخرى بها مائتان من الفضة وخمسين قطعة من اللؤلؤ ويقدمونها لإيليا ليطلق سراحه .

قال إيليا " دع جواهرى ، لا أريد منها شيئا ، مرادى أن أذهب بك إلى مدينة قب ، وترك أبناء جوجى يكون .

ومرت الأيام وهما على هذا الحال يسيران فى الطريق حتى وصلا ذات يوم إلى مدينة قب . فلم يقصد إيليا أى مكان غير مسجد المدينة ، فربط حصانه وربط جوجى ، وقال له ألا يفكر فى الهروب ، فقال من يستطيع أن يفكر

فى الفرار . وفى الحال ذهب إيليا إلى القصر ، وبعث من
يخبر ولديما أمير المدينة بأنه قدم من مدينة كاينغو متخذا
الطريق الذى لا يسلكه أحد ، فتمكنت الدهشة ولديما ، فلم
يصدق هذه الرسالة ، وطلب إحضار إيليا ، وسأله عن
مدينته وأخباره ، فقص عليه كل ما حدث من البداية حتى
النهاية ، ومع ذلك فلم يصدق ولديما تماما أنه سلك
الطريق المهجور وأخذ بعض الحاضرين يقولون لإيليا "
أنت تكذب ، الطريق الذى عجز كبار الفرسان والمشاه
عن سلوكه ، تقول أنك سرت فيه وحدك " وهنا غضب
إيليا وقال " قوموا واذهبوا إلى المسجد الكبير وسأبرهن
لكم على قولى " .

خرج الأمير والأميرة وأهل المدينة إلى المسجد ،
واقترب كل منهم من جوججى وهو مربوط ، ففعل ما
يفعله الفأر عندما يرى القط ، واضطرب المكان كله ،
وهرب الناس إلى منازلهم ، فلما رأى إيليا ذلك زجر
الناس فأصابهم من الرعب أكثر مما أصابهم لرؤية
جوججى ، ولم يجدوا مفرا وأخذ الجميع يتراجع خوفا ،
بعضهم سقط على الأرض ، وبعضهم لجأ إلى الوديان
حيث اعتصموا ، ولديما نفسه أصابه الرعب فقال لإيليا "
صدقنا أنك سلكت هذا الطريق ، لأننا رأينا الدليل على
ذلك . والآن ينبغي أن تذهب معنا إلى منزلى لتستريح .
وتأكل بعض الطعام ، وفى المساء يجتمع الناس ، ونأتى

مرة أخرى لنشاهد جوجى ، نريد أن نجعله يصرخ كما كان يفعل فى جموع الناس إذا لقيهم فى الطريق " .

قال إيليا " وهو كذلك والآن هو يشعر بالجوع ، يجب إحضار الطعام له والخمر ، ليملاً بطنه ويستطيع أن يصبح صيحه " فأمر ولديما أن يحضر له حوالى مائتي برميلاً من الخمر وكميات كبيرة من الثريد ، حتى أكل وشبع .

وقبل المساء كان الخبر فى جميع أنحاء المدينة ، وأخذ كل إنسان يمنى نفسه برؤيته . وتزين الأمير والأميرة ، وخرجوا فوجدا القصر قد امتلأ بجمع خفير من الناس ، فسار أمام الناس قاصدا جوجى .

قال إيليا " يا جوجى الأمير ولديما يريد أن يسمع الصرخة التى تطلقها للناس عندما تلقاهم فى الطريق " .

فتح جوجى عينيه فرأى كثيرا من الناس . فابتسم ، ثم وضع فمه فى الأرض وضربها برجليه عدة مرات ثم زار ، زئيرا لم يفعله من قبل ، فأحس الناس بصوت يفوق صوت الرعد عشر مرات . وأن الأرض تكاد تنشق ، وقد عجز الناس عن الهروب من شدة الخوف ، يعتقدون أنهم سيلقونه حيث ذهبوا . بعضهم أغمى عليه ، والبعض الآخر وقع على الأرض ينتظرون الموت . أما

القريبون من الأمير والأميرة فقد داسوهم بالأقدام دون أن يعرفوهما من شدة الهلع . وهنا زجر إيليا جوجى ليسكت ونظرا لقوة إيليا فقد كانت زجرتيه أشد رعبا من زئير جوجى . أما من استطاع التحرك من الناس فقد تفرقوا تماما يظنون أنه سيقضى عليهم كما شعر جوجى بالرعب حتى عجز عن الفرار فركع أمام إيليا يعبر عن أسفه ويطلب المغفرة بوضع التراب على رأسه . ويقول " لقد قدمت إليك كل ما لدى من ثروة ، حتى لا تهلكنى " قال إيليا لجوجى " لا أريد أى شىء منك ، ولكن سأقتلك ، هذا جزاء ما فعلت فى الناس سنوات عديدة " .

لقد وفى إيليا بالوعد الذى أخذه على نفسه ، فمنذ أن حضر إلى مدينة قب لم يسفك قطرة من الدماء ، فذهب بجوجى خارج المدينة ، وانترع سهما واحدا ووضعاه فى القوس وصوبه نحو حنجرته ، فارتفع جوجى إلى أعلى ، ثم سقط ميتا . ثم عاد إيليا إلى القصر وأخبر الأمير .

فرح الناس جميعا . وليعبر الأمير عن سروره لإيليا ، جمع كل كبار المدينة وأثريائها ، وأقام حفلا عظيما . وبعد أن استراح إيليا عدة أيام ، ودع الأمير وأخبره أنه سيرحل .

إيليا يهيم على وجهه مرة أخرى :

أثناء التجول الذى كان يقوم به إيليا ، ذهب ذات يوم إلى مدينة كبيرة ، واشتهرت بحب القتال ، وكانت تحكمها أميرة صغيرة تبلغ من العمر عشرين عاما ، غاية فى الجمال والشجاعة ، لم يمض وقت طويل حتى تزوجها إيليا ، وعاشا معا حوالى ثلاث أشهر يستمتعان بلذة الحياة، ونشوتها . وذات يوم كانا يجلسان تذكر إيليا الحروب فجأة ، فتغير وجهه فى الحال . واستغرق فى التفكير . قال للأميرة أريد أن أهيم على وجهى فى هذه الدنيا ، لأرى عجائبها ، لقد مضت فترة طويلة على إقامتى هنا " فغضبت الأميرة ، وأخذت تقنعه بالبقاء ، ولكنه رفض ، حتى عرضت عليه ملكها . ولكنه رفض . فاتفجرت فى البكاء وعانقته ، وأخذت تتوسل إليه .

قال إيليا " عليك أن تكفى عن البكاء ، لأننى لابد أن أرحل ، وأسألى الله أن يكتب لنا اللقاء مرة أخرى ، وإذا لم نلتقى فى الحياة الدنيا ، أسأل الله ان يجمعنا فى دار السلام "

ولما أقبل الصباح وضع إيليا السرج على ظهر قوليلي، وركبه وخرج وليس معه إلا السهم والسيف والعصا الغليظة المعلقة . وأستأنف سيرته فى الحياة الدنيا، خائضا الكثير من الحروب ، حينما يسمع عن فوضى أو اضطراب يسارع ويذهب إلى ميدان القتال ويحارب المعتدى ، حتى يستتب الأمن فيستأنف مسيرته .

بعد أن ترك إيليا الأميرة بدأت تشعر بالحمل ، وبعد عدة أشهر وضعت مولودا وأطلقت عليه فاللو . وممرت الأيام وكبر الأبن . وكان يشبه أباه تماما فى الشكل والخلق ، لم يترك من أبيه شيئا ، حتى بلغ مبلغ الرجال وصار لا مثيل له فى الشجاعة فى كل أنحاء الريف .. وذات يوم سأل والدته عن أبيه من هو ، وأين يعيش . فقالت أنه مات قبل أن يولد .

ومنذ هذا اليوم قرر فاللو أن يهيم على وجهه فى الدنيا، ويحارب المعتدين حتى يموت كابيه . فحزنت والدته لقراره ، وحاولت إقناعه بالعدول عنه ، ولكنه صمم على أن يرث أباه .

فلما أحست أنها لا تستطيع منعه قالت له " إذا ذهبت إلى ميادين القتال والتقيت برجل يسمى إيليا الإبن القوى فسأله المغفرة وامض لشأنك . فلا تنازله، فلن ينتصر

عليك إلا هو " فلما سمع ذلك سكت طويلا ثم قال وهو كذلك ، وودعها وذهب إلى شأنه .

كان فلولو يعرف أن والدته أميرة ، فلا بد أن أباه أميرا . لذلك خشيت أمه أن تخبره أن أباه ليس أميرا ، وأنه مجرد محارب شجاع من أفراد الشعب ، فيغضب ويقتل نفسه . هام على وجهه ، وأخذ يحارب حيثما ذهب ، وكان ينتصر في كل معركة ، حتى ذاع صيته جدا في كل أنحاء مدينة قب ، وكان يغزو فأخذوا يتفأخرون به ويرهبونه رهبة شديدة . أخذ يحارب المفسدين في كل مكان ، دون أن يستطيع أحد التغلب عليه .

بينما كان إيليا يخوض هذه المعارك المتواصلة ، ويدحر الظالمين الذين يؤذون الناس بلا جريرة . لأنه لا يظلم ولا يحسب الظالمين لذلك لم يكن له أعداء إلا الظالمين . وذات يوم كان يجلس مساء يتنسم الهواء خطرت مدينة قب في ذاكرته ، وتذكر ولديما أمير قب ، وما كان يعانيه عدوان جوججي قاطع الطريق . فقال لنفسه لقد طال فراقى لهذه البلاد ، يجب أن أذهب لأرى أحوالهم وما هم عليه " ولما طلع النهار لبس لباس الحرب وأخذ سيفه ورمحه وعصاه الغليظة ووضع اللجام في فم قوليلي وتوجه إلى مدينة قب .

عشاء الأمير ولديما :

فى اليوم الذى وصل فيه إيليا إلى المدينة ، وجد الأمير قد أعد وليمة عشاء وجمع أمراء المدينة ، وأولاد الأمير والعلماء ، والأثرياء والشجعان الذين قاموا ببطولات غير عادية . أعد لكل هؤلاء المكان المناسب لرتبته ، وقد ارتدى كل منهم أفخر الثياب والحلى ، وجلس الأمير والأميرة على كرسى فى ناحية واحدة . وأخذ الخدم يوزعون الطعام ألوانا .

عندما وصل إيليا لم ينتظر السماح له بالدخول ، فدخل الحجرة التى أعد بها الطعام ، ولم يتوقف فى أى مكان حتى وصل مكان الأمير ، وحنى رأسه ، ثم جلس بالقرب منه ، لم يعرفه ولديما ، فنظر إليه غاضبا وقال " لقد سررت بقدمك هذا الحفل الذى أعددت لكبار القوم ، والشجعان والأثرياء وسأمر بمن يعد لك الطعام فى الطرف الآخر . ستأكل وتشرب مجانا ، بالرغم من أنك لست ممن أعددت لهم هذا الحفل . ولكن من أين جئت ؟ ومن أى مدينة أنت ؟ ومن أية ناحية ، ومن أبناء من ؟

عندما سمع إيليا ذلك غضب ، وقد تأكد أنه لا توجد شجاعة مثله فى هذا الجمع كله . ولا ينبغي أن ينساه الأمير . حتى يأمر أن يعد لمثله مكانا فى طرف الحفل ويأكل مجانا . ثم قال " يا ولديما أنا من يأكل طعامك مجانا ، أنا من يقال له هكذا وسط النساء " فلما سمع الشجعان أنه يشبههم بالنساء ، نظروا إلى إيليا جميعا بغضب ، وتقدم أحدهم وقال " أنت تقول للأمير هذا الكلام؟ أنت كذاب ، أين ترى النساء هنا ، إلا إذا كنت مجنونا " واشتد غضب الأمير واستدعى ستة رجال شجعان وطلب منهم أن يخرجوا إيليا . فلما اقتربوا منه دفعهم فسقطوا صرعا جميعا . فأمر بعشرة رجال شجعان آخرين بالقبض عليه ، وفى الحال قضى عليهم ولحقوا بإخوانهم .

واضطرب المكان ، وارتفع الغبار إلى السماء وأخذ كل من الحاضرين يغمض عينيه ، مات بعضهم تحت الأقدام والبعض الآخر ولى الأدبار . وخرج إيليا لشأنه ، وركب حصانه وذهب إلى سوق المدينة ، واشترى بعض الطعام ، وجمع أهل المدينة ، وأمرهم بملا بطونهم . قال بعضهم أنهم يخشون أن يسمع الأمير خبرهم فيبعث من يقبض عليهم ، وقال لهم إيليا " كلوا ولا تخشوا شيئا ، غدا فى مثل هذا الوقت سأكون أمير مدينته قب ، وسأوليكم السلطة " فأكلوا الطعام خوفا منه ، وبعد فترة ، وجدوا

اهتماما ، وتبادلوا الطعام . أما إيليا فلم يأكل من الطعام ولكن ذهب إلى أحد المنازل التي تصنع الطعام وأنواع الشراب وتبيعه غاليا وتناول طعامه.

هذا الأمر ضايق ولديما . فجثث الناس مازالت ملقاة في منزله ولم يأكل شيئا ، ويكاد الجوع يلتهم أحشائه ، بعد أن قتل كل خدمه . تمايل ولديما وسأل بعض الناس هل تعرفون الرجل الذي أحدث كل هذه الخسائر؟ قال أحد الرجال " نصر ك الله يا سيدي ، إنه إيليا ، الذي جاء هنا قبل ذلك وقتل جوجي هذا العفريت العاتى " فقال الأمير " ويحكم أهكذا الأمر ، لقد شعرت أن هذا الأمر لا يفعله إلا هو " ثم سأل هل يستطيع أحد منكم أن يذهب إليه ليسترضيه ويأتي به فسكت كل الجالسين فى القصر يخشون على أنفسهم وأخيرا قال أحدهم أنه سيذهب إليه.

فلما اقترب من إيليا ، تسأل من خلفه حتى اقترب منه ، فقال " تعالى الأمير يطلبك " ثم أسرع جاريا صمت إيليا ، وانتظر أن يرى رسول الأمير ليأتي ويبلغه الرسالة ولكنه لم ير أحدا . فالتفت فلم ير أحدا ، فقال فلم ير أحدا ، فقال " هذا ما توقعته ، أى جبان . ومهما كان اسمه ، لو انتظر لصار خبرا بعد عين " .

بعث إيليا إلى ولديما أنه قادم ، ولكنه طلب أن يعلن في المدن والقرى أن يجتمع الجميع عند باب قصره ، فيسقيم للجميع حفل العشاء . وأخبر كل صناع الطعام أن يصنعوا طعاما شهيا وغال الثمن ، وسيشترى به كله ويقدمه للناس . أخبر الأمير بذلك وفي الحال ، أمر بالإعلان وهو في حالة من الرعب والخوف ، وأعلن الجميع بما ينويه إيليا ، كل باعة الأطعمة تقدموا بما صنعوا حتى من لم يسبق له صناعة الطعام . وجاء الناس من كل مكان حتى من لم يسبق له زيارة المدينة ، وامتلا فناء القصر تماما . وأخذ إيليا يجلس كل إنسان في مكانه ، قسم الناس جماعات جماعات . وأجلس الأمير في طرف المجلس كأحد المتسولين ثم بدأ يوزع العشاء . ولما انتهى قال للأمير " الآن شفى غليلي " .

قبل أن ينصرف الناس ، قام الأمير ، وأمر أن يعلن على الناس أنه سعد بهذا الحفل الذي أقامه إيليا ، ويريد أن تجتمعوا غدا مرة أخرى فسقيم حفلا بمناسبة قدوم هذا الضيف .

وفي اليوم التالي كان الجمع أكثر من أمس . وأمر الأمير أن يعد طعام لم يسبق إعداده من قبل ، وأعد لكل جماعة مكانا مختلفا ، وجلس الأمير والأميرة وإيليا في هذا اليوم في مكان واحد ، ولما رأى إيليا الخمر لعبت

برؤوس كل الحاضرين ، قام وتسلل خارجا ، ولم يعرف أحد وجهته ، حتى لا يدرك أحد وأرتدى ثيابا عربية كثياب الحجاج ، وقصد قرية بالقرب من مدينة قب ، وعندما أفاق الأمير من سكره ، تلفت حوله فلم يجد إيليا ، فأمر أن يبحث عنه فى كل مكان ، فاقتفوا أثره حتى وصلوا إلى هذه القرية الصغيرة ، ولكنهم لم يجدوا إلا أحد الحجاج ، فعادوا وأخبروا الأمير ، فتحرير الأمير تماما وظن أن إيليا مازال غاضبا .

لم يتوقف إيليا فى أى مكان إلا فى منزل يباع فيه نوع من الخمر لا يستطيع شراءه إلا الأمراء ، وأخبر بائع الخمر أنه يرغب فى الشراء ، فنظر إليه بائع الخمر فوجده رجلا عجوزا لا يبدو أنه يملك مليما واحدا فنهره ، قائلا " أيها العجوز اذهب لشأنك بالتى هى أحسن ، لا أبيع الخمر لمثلك ، بلغت من العمر عتيا ، ألا تعرف ذلك؟ أنفك غير نظيف ملابسك رثة ، وتقول أنك تريد شراء الخمر ؟ اذهب لن أبيع لك " فأخذ إيليا يكرر له الرجاء ، ولكن لم يبع له ، فوقع إيليا وأغمض عينيه كمن فقد الوعي ، فقال الناس لبائع الخمر " إذا لم تعطه سيموت ، وتدخل نفسك فى مشكلة " فأتى ببعض الخمر وصبه فى فم إيليا ، وفى الحال أفاق . وصبوا له مرة ثانية وثالثة حتى شبع وانتفخ تماما . فدخل الحانوت ونام

واستغرق فى النوم ، وعندما انتصف الليل وأيقظه صاحب الحانوت فرفض القيام ، فأغلقوا الحانوت عليه .

وفى الصباح استيقظ إيليا ، ودفع باب الحانوت بقدمه ففتحه ، وكان يوجد فى الحانوت بعض براميل الخمر الكبيرة التى لا يستطيع حملها عشرات الرجال الأقوياء أو السير بها .

أخذ إيليا ثلاثة منها ووضع اثنين تحت أبطيه وأخذ يدحرج الثالث على الأرض برجله ، ويسير قائلاً " كل من أراد أن يشرب خمرًا فليأت هنا ، حتى من لا يشرب فليقبل على " فلما سمع أصحاب الحانوت لحقوا به وحاولوا انتزاع براميل الخمر منه فلم يستطيعوا ، فذهبوا إلى القاضى وتقدموا بشكوى إليه . وبعث القاضى إلى إيليا يرجوه الحضور . ولما وصلت هذه الأخبار إلى ولديما تأكد أنه لا يفعل هذا الأمر إلا إيليا ، لذلك قال عند قدومه " مرحبا يا إيليا ، عدت إلى طبيعتك الطيبة " فانفجر إيليا ضاحكا ، وعاد إلى خلقه الحقيقي الذى عرفه الناس ، ودفع لأصحاب الحانوت ثمن الخمر ، وأعطاهم ما تبقى منها .

تفرق كل رجال الحاشية ، بعد أن أقبل الليل ، وانتهى السمر ، وبقي ولديما وإيليا وحدهما ، قال ولديما " أريد

أن تساعدنا وأن تخلصنا ممن يسمى فلولو وهو أحد
المغيرين الأشرار الأقوياء ، فهو لا يدخل مكانا في هذه
المدينة إلا وسلبه ، يسلب الناس أموالهم ويضربهم ،
ضايقنا جميعا ، وليس عندنا من يتصدى له . إلا أنت
وحده .

ابتسم إيليا وغير مكانه ، وشد شاربيه ، فقد جاء اليوم
الذي ينتظره ، فقال للأمير " نصرك الله ، لا مانع ، أسأل
الله التوفيق ، أريد أن تختار لي ستة من الرجال الشجعان
الذين تفخر بهم لنذهب معا "

لم يكن إيليا يحتاج إلى هؤلاء الستة ، ولكن ليختبر
شجاعتهم فقط ، فأمر ولديما ستة من رجاله الشجعان بأن
يستعدوا للذهاب مع إيليا .

عندما حان الحين ، واستعد هؤلاء الشجعان . ذهب
إيليا أمامهم ، وهم يتبعونه ، وقصدوا الطريق الذي تعود
فلولو أن يسلكه .

إيليا يلتقى بفللو :

وقرب ظهور الصباح أحسوا بفللو قادمًا . يقطع أشجار الغابة كالفيل الضخم ، خرج مختالا كشأنه ، لأنه يعلم أن أحدا لا يستطيع منازلته ، جاء ومر بالقرب من المكان الذي يختبئ فيه إيليا مع رفاقه ، حيث لا يراهم ، قال إيليا لهؤلاء الشجعان " من يستطيع اتباعه ليعرف وجهته ؟ وإذا وجد الفرصة سانحة تحرش به ؟ فسكتوا جميعا ، ولم يجد من يقول أنه سيتبعه . وأخذ كل منهم ينظر إلى الآخر ، نظر إيليا لكبيرهم وأمره باتباعه فلم يستطع المعارضة ، قام وأوثق أحزمة سرج الحصان ، وركب واتبع فللو . وقلبه يرتجف خوفا ، وسار وهو يفكر فيما سيفعل مع فللو وهو يعرف تماما أن من يلتقى به من رفاقه الشجعان لابد هالك . واصل السير حتى لاح له فللو من بعيد . نظر إلى فللو فوجده يفحص ثيابه وأدوات القتال ، ثم نظر إلى حصانه ، وضحك وألقى بالرمح إلى أعلى ، والنقطة وهو يفخر ويقول " اليوم لسو التقيت بإيليا لانتصرت عليه ، اليوم كيف التقي إيليا "

عندما سمع هذا الشجاع فلولو يذكر اسم إيليا تذكر أنه
أيضا شجاع وفي الحال خفق قلبه ، وقال من بعيد " فلولو
كذاب ، سيقضى عليك إيليا إذا التقى بك "

التفت فلولو فوق نظره على المتكلم فصرخ صرخة
مرعبة كانت كالرعد على مسمعه ، فأخذ الدخان يتصاعد
من فمه وكأنه عاصفة مصحوبة ببريق ، وكان بالقرب
منه نهر ففاضت مياهه ، وقصد فلولو رسول إيليا ، فلما
أدرك ذلك ولى الأدبار عائدا إلى إيليا ، ولشدة العدو
تعثرت رجل الحصان فكبا ، فقام وجسده يرتجف خوفا
وركب الحصان وواصل العدو حتى وصل إلى إيليا ،
وهو يلهث وكان روحه ستفارق جسده ، وبعد أن أفاق
قليلًا ، قص على إيليا ما حدث.

سمع إيليا كل ذلك وهو جالس فلما انتهى القاص تبسم
ثم اضجع وأخذ يلعب في قدمه ، ونظر إلى هؤلاء
الشجعان فرأى الحيرة بادية على وجوههم ، وكان عيونهم
ستفارق محاجرهما " الله أكبر ، لقد هاجمنا الشيب ولا
وريت لنا "

ثم هب قائما وقصد حصانه قوليلي ، ومسح على
ظهره وأخذ يمدحه قائلا " قوليلي حصان إيليا ، وهنا أخذ
السرّج ووضع على ظهره وربطه جيدا وأخذ عصاه

الخليطة ، وعلق سيفه ورجاجى وأخذ الرمح والغمدة
والقوس ، واندفع قاصدا فللو .

عندما اقترب منه ، بدأ إيليا يستقره قائلا " إيها المارد
الفاقد ، اللص ، لماذا تدخل مدينتنا بدون إذننا " فتملك
الغضب فللو وامتلا غيظا ، ودفع حصانه وسيضربه بيد
من حديد ، وتقابلا ثم تراجعوا إلى الوراء ، وسحب كل
منهما عصاه ، وأخذا يضربان بعضهما ، ووقف الشجعان
يستمعون إلى أصوات الضرب وكأنها ديناميت يفجر
الصخور ، وامتلات الغابة بالأصوات المرتفعة وزئير
الرجال ، وقطعت كل الأشجار المحيطة بمكان المعركة
واستمرت المعركة حتى تكسرت كل عصيهم الخليطة ،
ولم يجرح منهما أحد ، ثم استلا السيوف وارتفع صليل
السيوف ، وإذا التقت السيوف ترى ألسنة النار قد
تصاعدت ولمعت فى السماء كالبرق ، وبعد وقت قصير
تثملت كل السيوف ، فخطف كل منهما الرمح وتبادلا
الطعنات حتى تكسرت الرماح . وهنا توقفوا عن القتال
وأخذ كل منهما ينظر إلى الآخر كما تفعل الديكة . فلما
استراحا ، استأنفا القتال بالأيدي ، وظلا يقتتلان حتى أقبل
الليل وطلع النهار وظهرت الشمس ولم يتوقفا ، وقضيا
النهار فى المصارعة والملاكمة ، حتى أقبل الليل ولم
يتوقفا ، واستمرا هكذا لمدة ثلاثة أيام .

وهنا تذكر فلولو أنه فى شرح الشباب ، فأمسك إيليا ورفعه إلى أعلى وألقاه على الأرض وداسه بقدميه ، وأمسك فأسا قصيرا ، ليضربه فى صدره ، فتمايل وتقادى الضربة فشقت الأرض نصفين ، فهب إيليا وأمسك يد فلولو بقوة ، ونظر إليه ثم ضحك وقال " أنت صبى تتازل الكبار ، ليس الذئب كالكلب ، والأمر المكتوب لا مغير له ، أيها الشاب من أين جئت ، ومن أى مدينة ، ومن أبوك ؟ ! "

قال فلولو " الولد يمسك فى أطراف ثوب أمه ، وما شأنك ببلدتنا أو والدى !! " فغضب إيليا وكان هذا الكلام نار تأكل جسده ، فأمسك فلولو ورفعه إلى أعلى وألقاه على الأرض ، ثم وطئه بقدميه ، تصور رجل قوى يضرب والدا ، وقال له " أن من يكلمك أيها الغلام رجل كبير ، أجبني عما سألتك عنه ، وأرح نفسه " فرفع فلولو رأسه ونظر إلى إيليا وقال " إذا كنت ضخما كالفيل فإننى أسد ، لا ينبغي أن يكون كلام الرجل متناقضا ، ما قلته لك فى البداية ، لا مغير له "

فاشتد غضب إيليا ، وأمسك برأس فلولو وهم بكسره بيد من حديد كما يكسر البصل أكلاه ، عند ذلك شعر فلولو بالموت المحقق فقال " انتظر ، لا تقتلنى ، سأخبرك " فترك إيليا رأسه ، وبدأ يتكلم فلولو بصوت مرتعش " أمى

أميرة ، ولكن أبى رجل محارب مشهور ، مات ، فلما كبرت قلت لابد أن أموت فى ميدان القتال مثله . وعندما غادرت المنزل دعت لى أمى ، وأوصتني قائلة إذا التقيت برجل يسمى إيليا الابن القوي ، أسأله المغفرة وامضى لشأنك ولا تقامله ، لأنه هو وحده الذى يستطيع القضاء عليك فى هذه الدنيا ، هو كل ما أستطيع أن أذكره لك من أخبارى " عندما سمع إيليا تصيب جسمه عرقا ، وأدرك أن فلولو هذا هو ابنه ، فأوقفه وعانقه وأخذ يبكى ، وقبله قائلا " أبنى ، أسأل الله أن يصبرنا جميعا ، ما حدث هذا بسبب الجهل ، لقد غفرت لك فى الدنيا والآخرة ، وسعدت جدا بوجود من يرثني " ثم ذكر له ما حدث حتى تزوج هذه الأميرة ، والحالة التى تركها عليها . وهام على وجهه فى الحياة ، وأخبرها إن شاء الله سألتقى بها فى يوم ما " قام فلولو ونفض الغبار وركع وودع أباه ، وركب حصانه واستأنف السير .

لقد حدث ما كانت تخشاه الأميرة ، فقد كانت لا تريد أن يعرف فلولو أن أباه هو إيليا ، وليس أميرا ، والآن قد عرف كل شيء . عندما وصل إلى المنزل ، لم يتوقف فى أى مكان ، ونادى بكل ما أوتى به من قوة فى صوته " أيتها العجوز العابثة المنافقة ، من ولدتنى بعد أن تزوجت رجلا فقيرا من عامة الشعب ، وليس من الأمراء ، اخرجى لقد انكشف سرك اليوم " فخرجت وهى ترتجف

باكية ، وركعت أمامه وقالت " هاأنا ذا " لم ينتظر فلولو طويلا . وأخذ السيف وقطع عنقها .

كل هذا الأمر لم يخفف من حدة غضب فلولو ، ولم يجعل للشفقة سبيلا إلى قلبه ، فالتفت وقال " يجب أن أعود لإيليا وأقتله أنه هو الآخر منافق " ثم أمسك لجام الحصان وأداره واتخذ سبيله وواصل السير عدة أيام ، حتى وصل إلى المدينة التي يعيش فيها إيليا فوجد إيليا مستغرقا في نومه ، فدخل عليه ، ونظر إلى صدره وطعنه بالفأس ، عندما طعن فلولو إيليا ، وجده يرتدى قميصا من الحديد على صدره ، فارتدت الفأس إلى أعلى وكأنها اصطدمت بصخر صلد .

استيقظ إيليا من النوم ، فوجد فلولو واقفا ممسكا بالفأس فقام وأمسك كتفه ، وهزه ثم دفعه إلى الحائط ، فمات فلولو في الحال ولم يتحرك ، وهكذا انتهت حياته .

لم يكن أهل المدينة يعرفون أن فلولو بن إيليا ، ففرحوا وازداد تقديرهم له بعد قتله له . وانتهت حياة فلولو ، واستمر إيليا في حروبه مقاتلا الظالمين حيث كانوا .

إيليا والصوص :

وذات يوم كان إيليا جالسا يتنسم الهواء فى حديقة كبيرة على شاطئ النهر ، يراقب القوارب سابحة فوق الماء ، وأنواع الطيور تلتقط الحب ، تذكر الحرب فجأة . تذكر الأخطار التى خاضها والتى سيخوضها فقال " الله أكبر ، الشيخوخة كبرت وكبر حصانى أيضا ، ولكن قلبى مازال شابا " ثم هب قائما وقال " يجب أن أهيىم على وجهى فى الحياة لأعرف ما يجرى فيها " .

عندما وصل إلى المنزل ، وضع السرج على ظهر قوليلى ، واستعد وأخذ طريقه وواصل السير منذ بدأ يرى مظاهر الريف حتى صار لا يرى شيئا إلا الغابة وواصل السير حتى وصل إلى مكان فيه ثلاث سبل تلتقى هذه الطرق الثلاثة تماما ، كتب فوق حجر عريض " من يتبع الطريق الأيمن يجد الثروة الكافية ، ومن يتبع الطريق الأيسر سيجد نساء لا مثيل لهن ومن يتبع الطريق الأوسط سيلقى حتفه " .

وقف إيليا يقرأ ، ثم أطرق مفكرا ، ثم قال " لقد بلغ بى الكبر عتيا ، ماذا سأفعل بالثروة ؟ وماذا سأفعل بالنساء ؟

فلأتبع الطريق الذى سألنى فيه حتفى ، لأرى لن يصيبنا
إلا ما كتب الله لنا "

جذب إيليا لجام قواليلى ، واتخذ الطريق الأوسط وسار
فيه ، حتى دخل غابة مظلمة متشعبة المسالك . وفجأة
التقى بجماعة من اللصوص بلغ عددهم أربعة آلاف
رجل ، يتزعمهم رجل واحد ، كل منهم مسلح بمختلف
أنواع السلاح ، ينتظرون من يدخل عليهم فيكون ضيف
الآخرة ، وفجأة رأوا إيليا بالقرب منهم ، فتعجبوا لأنهم
يعلمون أنه لا يوجد مخلوق يستطيع دخول هذه الغابة .
فنهروه قائلين " أنت أيها الفارس انتظر " فوقف إيليا حتى
وصلوا إليه . فرأوا حصانا لا مثيل له فى المنطقة . فقالوا
" إلى أين ذاهب ؟ " وماذا جاء بك إلى هذا المكان ؟ قال
إيليا " لقد سلكت الطريق لأذهب إلى شأنى ، لم أعرف
باننى سألتقى بكم " فقال كبيرهم " ألا ترونه ينظر إلينا
نظرة ازدراء ؟ ربما هو ممن يحتقروننا ؟

سخر منهم إيليا بأسلوب ملتو فطأطأ رأسه قائلاً "
ويحكم أيها الشباب كيف يحتقركم رجل عجوز فى مثل
سنى ، وليس معى من الزاد إلا مائة جنية ، وهذا الزناد
الذهبي الذى ترونه ، كل ثمنه لا يتجاوز ثلاثة آلاف
جنيه ، وحذائي وقلنسوتي لا يتجاوز عشرة جنيهات ،
وهذان الركابان اللذان ترونهما فضة قديمة . وسرجى مع

أنه من الحديد لن يزيد ثمنه عن مائتي جنيه . وهذا الحجر الذى ترونه فوق حصانى أنتم تعرفون قيمته ، لا فائدة منه إلا ليساعد الحصان على الرؤية فى الليل . وهذا الحصان أيضا لا فائدة منه إن لم يكن ملكى ، فماذا يجعلكم تقطعون الطريق على ؟ ليس معى أى شى ، أتوسل إليكم أن تتركونى لأذهب به لشأنى "

قال اللصوص لإيليا " منذ أن بدأنا نقطع الطريق على الناس لم نجد أغنياء أو مجانين مثلك " وأمرهم كبيرهم بالقبض على إيليا . لقد كانوا يقفون بالقرب من شجرة ضخمة ، لا مثل لها فى المكان كله . فلما رأى هؤلاء الرجال هموا بالهجوم والقبض عليه ، أسرع وسحب سهمها ونظر إلى الشجرة الضخمة وأطلق السهم عليها . فهوت الشجرة مكسرة ، كان عاصفة هبطت عليها . وقد جعل الهواء الذى أحدث سقوط الشجرة وصوت سقوطها اللصوص يسقطون على الأرض فاقدى الوعي . وعندما أفاقوا قال كبيرهم لإيليا " لقد رضينا بك زعيما لنا ، ونرجو أن تبقى هنا ، وتصير قائدنا ولدينا ثروة من الذهب والفضة واللؤلؤ والجواهر وأنواع مختلفة من الثياب والحيوانات . فإذا اجتمعنا جميعا ومكثنا عشر سنوات نعد الذهب الذى لدينا لن نستطيع عده موافقون على أن تأخذ منه ما تحتاج على أن تكون زعيمنا . "

ضحك إيليا وأنشد أنشودة النصر التى ينشدها المحاربون ، ثم قال " يا أخواني ، لا أريد أن أتعب نفسي بحراسة ثروتكم أو رعاية دوابكم أريد أن أهيم على وجهى فى هذه الدنيا لأحارب ، الثروة والدواب يحرسها التجار والرعاة ، أشكركم ، وإلى لقاء آخر . " ثم ودعهم وجذب مقود الحصان وعاد من حيث أتى . حتى وصل إلى مكان الصخرة عند مفترق الطرق . وعلى الجانب الذى كتب عليه " من سلك الطريق الأوسط سيلقى حتفه " وكتب أنا إيليا الأبن القوي ، سلكت هذا الطريق الأوسط ، ولكن لم ألق حتفى ، ثم أدار حصانه واتبع الطريق الأيسر حيث كتب أن من سلكه سيلقى النساء ، وواصل السير ، بعد حوالى مسيرة يومين وإذا به يواجه فجأة منزلا عجيبا ، أكبر من المنازل ولكن لم يصل إلى حجم المدينة كل بناء المنزل من الحديد الأبيض ، لذلك تراه يلمع كالمرآة . وصنع سقفه من الذهب ، ونوافذه من المرايا ، وصنع لكل منها ستارة مختلفة ، وتحيط بالمنزل أزهار مختلفة ، وبه حديقة مملوءة بأحواض من المرمر . لم يتوقف إيليا فى أى مكان ، وقصد منزل القصر مباشرة ، وقبل أن يصل التقى بأربعين فتاة تزينت كل منهن بحلى ذهبية . وارتدت أثوابا من الحرير الأبيض خرجن يستقبلنه ، وأحطن به مرحبات حتى ترجل ، وأخبرن الأميرة .

إيليا والأميرة :

بعد قليل خرجت الأميرة ، نظرت إليها إيليا جيدا ، فأحس أنه منذ بدأ يتجول في الدنيا لم ير أبدا فتاة في جمالها . لم ير مثل الثياب التي ترتديها . وتتبعها فتاتان تصلحان لها ثيابها التي تجر على الأرض ، بلغ شعر رأسها إلى قدميها . عندما وصل إيليا عانقته وقبلته ، وأخذت يديه ودخلت به إلى المنزل ، كمن رأت صديقا لها فارقته منذ سنين .

وأخذت إيليا إلى حجرة الإستقبال ، وكانت مطاية بالذهب ، ووضعت شمعة في كل ركن من أركانها ، وفرشت أرضها بأنواع مختلفة من السجاد ، وأنواع من الكراسي إذا جلست عليها غاصت بك من ليونتها ، وتوجد مائدة في وسط الحجرة من الحديد الأبيض ، غطيت بقماش من الحرير ، ووضع عليها أنواع مختلفة من الطعام والشراب . وفي جانب منها مكان لغسل الأيدي مجهز بالصابون ومنشفة معلقة ، وجلس على كرسي ، والمائدة أمامهم ، وأخذا يأكلان ويشربان ما لذ وطاب مما لم ير إيليا مثله من قبل . وكانت تحييه وترحب به بصوت

عذب جذاب . حدث كل هذا وإيليا يراقبها . ويفكر فيما
تضمر له من شر .

تأكد إيليا أن هذه المرأة مأكرة تتحایل لتقبله . جعلها
هؤلاء اللصوص لإغراء الناس ، وبنوا لها هذا القصر
العظيم ، وخصصوا لها هؤلاء الفتيات للقيام على خدمتها .
وليرغمها على البقاء . ولا يوجد فى هذا القصر على
سعته رجل واحد . اعد ليكون شركا لكل من يدخله من
الأمراء أو التجار أو الشجعان ، وكل ما يحملونه من
الثروات ومتاع يصير غنيمة الفتاة واللصوص .

وكان بالقصر حجرة زودت بأجهزة تهلك كل من
يدخلها ، زينت بأفخر الزينات وفرشت بفرش ثمين .
ووضع بها سرير من الحديد طلى بالذهب ، وفرشت
السجاجيد والبطاطين فى كل مكان بالحجرة . وأسندت
الوسائد على الحائط فى كل مكان . تتدلى زجاجات عطر
الورد من سقف الحجرة والمصابيح الموقدة فى كل ركن .
وكان السرير على دعامة كبيرة من الحديد تدور به كل
اتجاه . ويغطى هذه الدعامة ملايين السرير الغالية الثمن
حتى لا يكتشف سره أي إنسان .

كانت الحيلة المتبعة فى قتل الرجال كامنة فى السرير ،
حيث يوجد بئر عميق أسفل كالحجرة الكبيرة وعمقه يصل
ارتفاعه إلى ثمان عشرة قدما . وغطى فمه تماما بالفراش ،

وقد أعد السرير بطريقة إذا رقد عليه أى إنسان انفصل السرير عن حائط الحجرة وانقلب فيسقط الراقد عليه في غيابة الجب ، ثم يعود السرير إلى وضعه الأول . وكان إيليا يدرك كل هذا .

بعد أن تناول إيليا الطعام وجلس يتحدث مع الأميرة تقص عليه أخبار الحياة ، وهو يقص عليها بعض الأخبار التى يقال فى مثل هذه المواقف . بدأ النوم يتلاعب برأسه عمدا ، كمن يشعر بالنوم . فقالت لإيليا يجب أن يذهب لينام لأنه يبدو عليه التعب ، قال إيليا " أريد أنا أنام فعلا " ودخلت حجرة الموت أمامه حيث البئر ، وتبعها ، قالت له " ها هو السرير نم لتستريح ، لقد تعبت " وهى على وشك الخروج قالت له " اليوم بارد جدا يجب أن تقترب من الحائط حيث موقد النار ، ستشعر بالدفء ، وتذلك جسدك لتستمتع بالنوم "

قال إيليا " لا أريد أن أستغرق فى النوم ، لأنى تعودت أن أخرج فى الليل لأطل على حصانى " وقبل أن تلتفت قام مسرعا ، وجذبها وألقى بها على السرير ، وضغط على الحائط حيث طلبت منه أن ينام ، وقبل أن تصرخ ، سقط السرير وقذفها ، فسقطت فى البئر . وفتح جانبا وعاد السرير إلى وضعه الطبيعي . ولما رأى ذلك ذهب إلى ناحية أخرى من الحجرة ، واستغرق فى نوم عميق .

عندما طلع النهار ، خرج إيليا ، واستدعى الفتيات
طلق الوجه ، وقال " احضروا لي مفاتيح الحجرة
السفلى " ومن شدة خوفهن وارتباكهن لم يترددن ،
وأحضرن كل ما طلب . وطلب منهن أن يدلوه على
المكان الذى تفتح منه ، فرأى الباب مصنوعا من دعامات
حديدية كبيرة التى تسقف بها الحجرات . فغضب وألقى
بالمفاتيح . ودفع الباب برجله ففتحه ودخل الحجرة ،
فوجد كثيرا من الناس جالسين فى البئر دون فراش أو
غطاء ، بعضهم يبكى ، وبعضهم يصلون على النبي ، أما
الذين طال عهدهم بالأسر وتعودوا عليه فقد أخذوا ينشدون
بعض الأناشيد . وبالقرب منهم جثث الذين فارقوا الحياة .
بعضهم صار ترابا والبعض الآخر مازال لحما منتفخا ذو
رائحة كريهة . نهرهم إيليا قائلا " اخرجوا ، وليذهب كل
منكم لشأنه " وفى الحال اضطرب المكان وقاموا
مذعورين ترتجف أجسادهم ، كل منهم يدفع بالآخر
منطلقين نحو الباب كل من خرج منهم ورأى ضوء
الشمس لم يلتفت وراءه ، ولم يقف مفكرا إلى أين المفر ،
وسلك كل منهم الطريق الذى وجدته أمامه ، ولم كبيرهم
أطراف سرواله ، وولسى هاربيا دون أن يعرف وجهته ،
ولم يستطع الشجعان فى هذا اليوم رفع أيديهم أو التفكير
فى معدات القتال .

ووجد إيليا ثلاثة خيول كبيرة ، تقف في مربوطها لا عمل لها ، فأمسك الأميرة وقيد يديها وربطها في سلسلة وربطها في أحد الخيول الثلاثة . وربط قدميها في سلسلة أخرى ، وربطها في حصان آخر ، ثم ضرب الحصانين فسارا في وقت واحد ولكن في اتجاهين مختلفين . وبعد أن أطلق الحصانين أدار وجهه حتى لا يرى ما ستلاقيه من عذاب الموت . ثم دخل المنزل وجمع ما به من ثروات ، وكل ما يستفاد به من أثاث ووزعه على كل الرجال الذين وقعوا في مكيدتها وسقطوا في هذا البئر . أما هو فلم يأخذ شيئا ولو بسيطا كما أطلق الفتيات اللاتي يعملن في القصر ، ثم أشعل فيه النار حتى يحترق . ثم ركب حصانه وعاد إلى الصخرة عند مفترق الطرق ، وكتب عليها " أنا إيليا الأبن القوي ، سلكت الأيسر ، ولكن لم أجد المرأة " وهنا وقف فترة طويلة ، ثم قال " لقد سلكت هذين الطريقين ، ولم أجد هذه الأشياء التي كتب عنها ، فالتبعت الطريق الأيمن وواصل السير ، حتى وجد غابة ، وبعد أن عبرها وصل إلى واد عميق . فلما اجتاز هذا الوادي وجد حوالى مائة حفرة عميقة مثل البئر ، كلها مملوءة بالذهب والفضة والجواهر واللؤلؤ ، تلمع لمعانا يأخذ بالأبصار ، وعلى جانب منها كتب " هذه الثروة كلها لإيليا " فنزل في هذه الآبار جميعا واحد بعد الآخر ، ليرى ما تجمع من ثروة في كل منها وتملكته

الدهشة ، واحترار فيما يفعل بها . إذا اجتمع ألف رجل وظلوا يجمعون فيها لمدة ألف يوم ما استطاعوا جمع نصفها ، فوقف يفكر فيما يمكن أن يفعله ، فركب حصانه وعاد إلى مدينة قب وأخبر ولديما . وطلب منه أن يزوده بألف رجل لينقل هذه الثروة ، وفي الحال أعد له العدد المطلوب وعادوا إلى مكان الكنوز ، وظلوا يعملون ويخترقون منها ولم يتوقفوا ليلا أو نهارا لمدة ثلاثة أشهر ومع ذلك لم ينقلوا ربعها، فعاد إيليا مرة أخرى إلى ولديما وطلب ألفا آخرين ، وضمهم إلى السابقين ، وواصلوا العمل ، ولما قضوا خمسين يوما يعملون جميعا ، دون أن يصلوا إلى نهاية الكنوز ، جمعوا أقصى ما يستطيعون ، وحملوه إلى مدينة قب، وسلم إيليا كل هذه الثروة إلى ولديما ، وطلب منه أن يبني مسجدا ويوزع الباقي على المساكين ، أما هو فلا يحتاج شيئا منها .

عشاء ولديما الثالث :

أعد ولديما عشاء آخر يفوق كل ما أقامه من قبل
ترحيبا بعودة إيليا ، والمساعدة التى قدمها إليه وإلى
المساكين من سكان المدينة .

بعث الأمير لكل كبار المدينة والتجار والأمراء
ليجتمعوا ، وأقام حفلا عظيما أخذ يوزع فيه الهدايا بنفسه
. وقد بلغ من شدة سروره أنه ولى كل من أبناء الأمراء
الذين حضروا الحفل إمارة إحدى المدن ، أو القرى .
ووزع على التجار ثيابا عظيمة ووهب الشجعان خيولا
ودروعا ، وأدوات القتال . ولما جاء دور إيليا علم الأمير
أنه لن يستطيع أن يكافئه عما فعل ، فأحضر قميصا مثل
البرنس صنع من جلد الأسد وقد زين يقطع من جلد النمر
وقدمه إليه . وهذا دليل على أنه أشجع من كل الشجعان .

طأطا إيليا رأسه معبرا عن شكره وسروره . وبعد
قليل قام إيليا وقصد صناع الطعام ، ممسكا في يده الهدية
التى قدمها إليه الأمير ورفعها إلى أعلى قائلا " كما أخذت
هذا البرنس الذى قدمه إلى ولديما تعظيما ، سأخذ أكبر

أعدائه واقضي عليه وعلى كل ذريته ، إن شاء الله حتى
يصير تحت سلطان ولديما "

وكان من بين طهات الطعام امرأة مأكرة ، ذهبت فى
الحال إلى ولديما وقالت له " هذا الرجل الشجاع يقول فى
المطعم لابد أن يقتلك ويقضي على كل ذريتك " وكانت
الخمير قد لعبت برأسه فى هذا الوقت ، حتى أخذ يترنح ،
فأمر بعض الرجال الشجعان أن يذهبوا إلى إيليا ويقبضوا
عليه ويضعوه فى السجن . وكان سجنهم عبارة عن حفرة
كبيرة كالبر يوصل ارتفاعها ارتفاع الحجرة ، يوضع
الإنسان فيها مغطى كسكان القبور .

نظر إيليا إلى هؤلاء الشجعان كمن رأى أبناءه فركعوا
جميعا فى آن واحد ، وقالوا أنهم يتوسلون إليه ليساعدتهم
وينجيهم من غضبة الأمير ، وهناك يتركونه يذهب حيث
يشاء . حتى يعودوا إلى ولديما ويخبروه أنهم فعلوا كل ما
أمرهم به . ضحك إيليا وقال لهم " ويحكم يا أولادى ،
أنى أكبر من ذلك ، ولكن سأفعل ما تريدون من أجل
توسلاتكم " سار أمامهم وهم يتبعونه حتى المكان الذى
أشار إليه الأمير ، ولكنهم عندما قالوا لإيليا أن يذهب
حيث يشاء ، أخبرهم بأنه لن يذهب إلى أى مكان وطلب
منهم أن يحفروا له حفرة ويدفنوه كما أمروا . حاولوا
إقناعه بالعدول عن قوله ، ولكنه أصر على أن يحفروا له

حفرة ليدخل فيها ويدفنوه . فلما رأوا لا مفر من طاعته
حفروا الحفرة ، فدخلها ووضعوا فوقها الأخشاب
والتراب وغطوها تماما . وذهبوا إلى الأمير وأخبروه
أنهم فعلوا كل ما أمرهم به ، فشكرهم ولديما ، وأحضر
هدايا كثيرة وقدمها إليهم .

وبعد أن انصرفوا ، ذهبت زوجة ولديما وقالت لبعض
خدمها ممن تثق في طاعتهم وعدم كشفهن لسرها .
ودلتهم على مكان وطلبت منهن أن يحضرن فيه ويوسعنه
حتى يستطيع الإنسان أن يدخل منه ، وبذلك يصل إلى
الحفرة التي دفن فيها إيليا . وفي الحال بدأ الحفر وأتموه .
فدخلت الأميرة إلى إيليا باكية ، فحيته ، فهدأها وطلب
منها أن تكف عن البكاء فكل ما فعل الأمير لا يضره
شيئا ، وعرفها أنه لو لا أنه رضى بذلك ، ما استطعت
الدنيا كلها لو اجتمعت أن تضعه في هذا المكان ، وقال
" جئت إلى هذا المكان لسببين ، الأول ، من أجل هؤلاء
الناس الذين توسلوا إلى فقد أشفقت عليهم ، حتى لا
يغضب عليهم الأمير ويأمر بقتلهم . والسبب الثاني
تذكرت أنه منذ أن أراد الله أن التقى بولديما ، لم أفكر
مطلقا ولو بيني وبين نفسي أن أضره . وأفكر فيما كان
بيننا من أعمال طيبة بالرغم من ذلك يأمر بأن يفعل هذا
بي هذه الأشياء هي التي دفعتني للصبر والمجيء لهذا
المكان . "

قالت الأميرة " لا تياس ، سأحضر لك الطعام والشراب كل يوم بنفسى ، وسيأتى اليوم الذى يطلبك فيه الأمير بنفسه ، وسيبكي بالدمع لتصفح عنه ، ولن يكون هذا اليوم بعيدا " وودعته وعادت إلى قصرها . ومنذ هذا اليوم أخذت تقدم له كل ليلة كل ما يشتهي من الطعام والشراب ، ما لم تقدم لولديها مثله . وحملت إليه سريرًا وفرشا ، وكل وسائل المتعة .

ومرت الأيام وكان لولديها عدو لدود يفوقه مهارة فى فنون القتال ، ويحكم إحدى المدن المجاورة ، وبعد ثلاثة أشهر فقط من دفن إيليا بعث هذا الأمير إلى ولديها برسول يخبره أنه قادم إليه ، فيستعد للقائه بكل ما لديه من قوة ومحاربين فسيلتقي بهم حتى لو كانوا فى عدد نجوم السماء وحصص الأرض . حتى يأسر أولاده جميعا ويحرق المدن ، وغير ذلك من التهديد والوعيد .

دخل ولديها القصر ، واستدعى الأميرة وأخبرها بكل ما فى الأمر ، فلم تظهر له إن إيليا مازال حيا ، قالت " ما العمل " أرأيت لو كان إيليا حيا لهذا الأمر " وازدادت حيرة ولديها ، وأصبح لا يدرك أين يضع رأسه وأين يضع قدمه ، وعزف عن الطعام ، وفى المساء دخل حجرته وحاول النوم فتعذر النوم عليه من شدة التفكير ولما انتصف الليل قام وجلس ، وأخذ يبكي ، فلما سمعت

الأميرة دخلت إليه وقالت " مثلك لا يبكي ، يجب أن تبعث إلى حيث دفنت إيليا ، ربما مازال حيا حتى الآن ، فتعذر له فر بما قبل عذرك وسأعذك .

نظر إليها الأمير غاضبا وقال " أنت قومي تنحي عني بعيدا ، هذا من غباء النساء ، هل سمعتي عن رجل يدفن في حفرة ثلاثة أشهر لا يأكل ولا يشرب ، ولا يتنفس ثم تقولين أنى أجده حيا ؟ !

قالت لولديما " أنت تعلم أن إيليا ليس كغيره من الناس ، أبعث إليه وسترى " وأقنعتيه بعد مشقة ، فقام بنفسه ، وذهبا معا ، وحفر الحفرة وإذ بإيليا راقدًا فى أتم صحته . وقد زاد وزنه وكبر حجمه من الراحة . وألوان الطعام المختلفة موضوعة أمامه . فزادت دهشة ولديما ، وركع أمام إيليا يطلب منه المغفرة . وقص عليه كل ما حدث . ولما قدمت له الأميرة من خيرات غفر إيليا له . وعادوا جميعا إلى القصر ، وعم السرور والفرح كل أنحاء المدينة بعد أن علم الجميع أن إيليا عاد .

جمع الأمير عددا كبيرا من الناس ، وأعد عشاء لم يسبق له مثيل وأقيمت الأفراح ، ولما قاربت على الانتهاء ، قام الأمير وتقدم بالشكر إلى إيليا على مسمع من الناس ، وقص عليهم كيف حدثت الوشاية التى أدت إلى

دفن إيليا ، فتقدم الناس جميعا محيين إيليا ، وبعد قليل قام بدوره وشكرهم جميعا ، ثم أخذ على نفسه عهدا بأن يحارب فى صفوف ولديما ورجاله ، فعاد كل الحاضرين إلى منازلهم وقد ملأت الفرحة قلوبهم .

وبعد ذلك فى منتصف الليل . سمع إيليا من يقرع باب حجرته فلما خرج ونظر وجد حصانه قواليلى ، فانحنى عليه إيليا وأخذ يمسح على ظهره وهو يبكي فرحا والحصان يبكي معه ثم أخذه وربطه .

حرب إيليا الأخيرة :

وبعد أن خلت الطرق من السائرين ، ودخل كل إنسان منزله ، ذهب ولديما إلى إيليا ، وطلب منه المغفرة مرة أخرى ، وأخبره بكل ما قاله له عدوه الجبار قبل أن يأتي بجيوشه ويحيط بالمدينة بأيام قلائل . وهنا تآقت نفس إيليا إلى الحرب ، فقال ولديما أنه يريد أن يجمع له عشرة شجعان غدا ، ولما طلع النهار بعث بعشرة رجال إلى إيليا . ولشدة حماس إيليا لم ينتظر اليوم الذي سيأتي فيه العدو ، فخرج مع الرجال العشرة وعسكروا خارج المدينة ، وفي صباح اليوم التالي طلع النهار على إيليا وقد عسكر بالقرب منهم العدو حيث أقام خيامه في كل مكان ، وربط الخيل في الخلاء فصارت كالجراد وبالقرب منهم عسكر عدد لا يحصى من رجاله يأخذون قسطا من الراحة . وقبل أن يطلع النهار كانت الحرب قد اشتعلت . كانت خيمة الأمير في الوسط ويحيط بها الجنود ، لا يستطيع أن يصل إليها إلا الموت فقط ، لأن أحدا لا يستطيع أن يراه ، أما ما عدا ذلك فقد كان بعيد المنال .

غضب إيليا وامتأ قلبه غضبا ، ولم يكن حصانه أقل منه في ذلك فجمع رجاله وقال لهم " من يذهب إلى قائد

الأعداء ، لنخبره أننا سننفذه وأن إيليا بنفسه قادم إليه الآن؟ " وهنا قال أحد الشجعان أنه سيذهب ، وأمسك حصانه وركبه وتوجه إلى العدو . فلما رآه قادمًا من بعيد أسرع إليه حوالى ثلاثين رجلا بالسيوف والرماح ، ولكن لم ينتظر حتى يلتقي بهم . ولم ينتظروا أن يقول لهم شيئًا ، فسرعان ما انهالوا عليه ضربًا وطعنًا ولولا أنه يرتدي قميصًا حديدًا لقضى عليه . ولما تذكر قول الحكماء الكثيرة تغلب الشجاعة أدار حصانه وجذب لجامه وولى الأدبار . فلما أدركوا ذلك خرجوا وراءه ولم يستطيعوا اللحاق به ، فلما أعياهم الجرى ، عادوا وأخبروا قائدهم بما حدث . وعاد الرسول إلى إيليا يلهث ، وقصص عليه كل ما حدث .

قام إيليا غاضبا ولبس ثياب الحرب ، وأوثق رباط السرج وعلق سيفه ورمحه . وحمل عصاه الخليضة وركب قواليلي . ولكن قبل أن يبدأ القتال قال له قواليلي " يا سيدي إيليا تذرع بالصبر فى هذه المعركة فالיום سيكون القتال شديدا والعدو عنيدا ، وستنتصر عليهم ولكن أرى اليوم أنك لن توفق اليوم تماما . وسيكون نصرنا محدودا ، وهذه إرادة الله . رأيت العدو قد حفر لك ثلاثة خنادق ، وأننى واثق أننى سأستطيع اجتياز الخندق الأول والثانى ولكن لن أستطيع اجتياز الخندق الثالث ، وأسألك الصبر إلى غد "

اشتد غضب إيليا من كلام قواليلي . وسحب السوط وضربه به وقال سأذهب رغم ذلك ، وليفعلوا ما يريدون به ، واتخذ قواليلي الطريق عدوا ، ولكن كان إيليا يستغل سرعة الحصان شوقا لملاقاة العدو شعر وكأنه يريد أن ينزل ويعدو على قدميه حتى يسبق الحصان . وحدهم وجدهم إيليا مشتاقين إلى الحرب وسرعان ما بدأ القتال ، يضربهم ويضربونه ويطعنهم ويطعنونه ، حتى وجد نفسه فجأة في الخندق الأول ، وهجم عليه الأعداء وأشبعوه ضربا وطعنا ، ولما استطاع قواليلي أن يخرج من هذا الخندق واصل إيليا القتال .

كان إيليا رجل واحد ولكن كآلف رجل ! كلما تقدم إيليا عليهم رأيت آلاف الرجال يندفعون إلى ميدان القتال ، واستطاع قواليلي بشق الأنفس أن يخرج من الخندق الثاني . وقصد إيليا خيمة قائد الجيش مباشرة . وقد تعجب الفرسان من شجاعته وأخذوا يتسألون من هو وتجمعوا حوله واشتد القتال وملا الغبار سماء المعركة وأصبح الإنسان لا يرى أحدا ولا يسمع إلا صليل السيوف وطعن الحرااب . وازداد إيليا اقترابا من خيمة قائد المعركة ، كان كلما ضرب ، سيفه رأيت الرؤوس تنهوى وكأنها أوراق الشجر . كثرة تغلب الشجاعة بعد أن قتل إيليا هذا العدد منهم جاء عدد آخر أكثر نشاطا ، ولكنه عندما صرخ وقع كثير منهم على الأرض .

وفجأة وجد إيليا نفسه في خندق ثالث كبير وفي الحال تجمع حوله حوالى ألف رجل واندفعوا إلى الخندق ، حتى ملأوه وانهالوا عليه طعنا وضربا ثم ربطوه وحملوه إلى قائدهم فوقف الأمير شاخصا ببصره ينظر إلى إيليا ويتعجب من قوته ، وقبل أن يتكلم الأمير قام أحد رجال حاشيته وقال " يا إيليا ، كن مؤدبا أمام أمير الدنيا واركع أمامه تحية له " وقد أغضبوه بضوضائهم ، فسكت ولم يرد عليه .

وهنا أمر الأمير بفك إيليا وإعطائه سيفه ، وجذب إيليا وأجلسه إلى جواره على فراشه ، ثم قال له " ما أريده منك يا إيليا أن تقبل البقاء معنا ، وسأمنحك كل ما تحتاجه في هذه الحياة . وسأزوجك ابنتي . وسأوليك على أحد الأقاليم . على أن تساعدني بالألا تساعد ولديما مرة أخرى ، وإذا رفضت كل ما عرضته عليك سأقتلك في الحال " .

نظر إيليا إلى الأمير وقال " أنت كلب الأمراء . منافق طالما تتردد أنفاسي في صدري ، وسيفي هذا معي ، فسأهزم كل رجل ولدته امرأة ليس بيني وبينك إلا الحرب . لقد أمرت أن أحارب لأحمي المسجد الكبير في هذه المدينة وأثبت أركان الدين . وأن الكفار المردة من أمثالك لن تصرف قلبي عن التصدي لأعمال الكافرين ، وسأساعد ولديما ما دمت حيا " .

وهنا سمع إيليا صوتا من السماء " إيليا الابن القوي ،
أرفع يدك إلى السماء ، ستجد العون من الله سبحانه
وتعالى " فقام إيليا بسرعة ورفع يده إلى السماء ، فشعر
بجسمه يزداد قوة وقلبه يزداد شجاعة وزادت قوته قوة
خمسین رجلا .

وقبل أن ينتبه الحاضرون ، قام إيليا وضرب الأمير
بجمع يده ففارق الحياة في الحال . ثم التفت إلى باقي
الفرسان وأخذ يضربهم حتى تتلم سيفه ، فقصد إلى رجل
ضخم منهم ، وأمسك قدميه ، وأخذ يضرب به الآخرين .
فأخذ الرجال يتساقطون كأنهم أوراق الشجر وحيثما
نظرت لا تجد إلا جثثا ملقاة في ميدان القتال .

وهم على هذا الحال وصل إيليا إلى المكان الذي سقط
فيه تفيره فأخذه ونفخ فيه ، وبعد قليل جاءه حصانه
قواليلي مسرعا فأمسكه وركبه .

وكان عدد الأعداء قد نقص كثيرا في هذا الوقت .
فنظر إلى رفاقه فرآهم جالسين يعمون بالراحة . فأمسك
سهما ووضع في القوس وصوبه على كبيرهم ، فأصابه
السهم تماما . ووصل إلى صدر من قصده ولكنها لم
تضره .

فلما رأى الرجل ذلك فأدرك أن إيليا في حاجة إليهم ،
وفى الحال جمع كل المحاربين وأخبرهم فأعدوا خيولهم
وذهبوا إليه عدوا . فلما وصلوا إليه لم ينتظر وهجموا
على الأعداء بالضرب والطعن حتى أرهقوهم وطاردهم .
وقد حصل هؤلاء المقاتلون على الكثير من الغنائم عدا
إيليا .

بعد أن انتهوا من القتال تماما ، جلسوا يستريحون ،
وأخذ كل منهم يدعى البطولات والأعمال الخارقة ، حتى
أصابهم الغرور ، وأخذوا يدعون القدرة على القتال حتى
ولو كان في السموات السبع . فهم واثقون من النصر .
فلم يقل إيليا كلمة واحدة بالرغم من أنه يعلم أن هذا
النصر لم يكن بقوتهم ولا خططهم ، ولكن بقوة من الله .

الله ملك الملوك ، قبل أن يغادروا المكان الذي جلسوا
فيه رأوا الأعداء الذين قتلوهم والذين جرحوهم والذين
ضربوهم يقومون فجأة . وبدلا من كل رجل مات قام
ثلاثة رجال ، وقام هؤلاء الشجعان واستأنفوا القتال لأنه
أدرك أن هذه الحرب ليست في سبيل الله .

لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يريهم ، أن الغرور
والتفاخر شيئا مذموما .

ومع ذلك فقد حزن إيليا عندما رأى رفاقه يحاربون وهو ينظر إليهم ولا يفعل شيئا . ولكن لعلمه أن هذه الحرب ليست على حق لم يقل شيئا . ولم يظهر نية مساعدته لهم . واستمر القتال حتى قتل كل جنود ولديما تماما .

وهنا ركب إيليا حصانه وقصد جبلا مرتفعا حيث لا يستطيع أحد الوصول إليه . فوجد صخرة كبيرة فصعد عليها وجلس وعانق سيفه ووقف قواليلي خلفه ورفع رأسه إلى السماء وأخذ يبكي بالدمع الغزير كما يبكي الإنسان . نظر إليه وازداد قلبه حزنا وغضبا ، ولكنه تذكر أن هذا شيء بسيط إلى جانب ما حدث له من أمور حتى الآن ولكنه عجز عن الصبر فى النهاية فانفجر فى البكاء .

وبعد قليل هدأت نفس إيليا ، وتذكر أنه الآن رجل قد ملأ الشيب عارضيه ، وأن الله قادر على كل شيء ، فسأل الله أن يجعله هو وحصانه صخرة ، فسمع الله دعاءه وفى الحال استجاب له . لقد شاء الله أن يستغرق فى تفكير عميق حتى ينسى ما هو فيه . وقبل أن يعود إليه صوابه جعلهما الله صخرة . وهكذا انتهت حياة إيليا .

والآن إذا ذهبت إلى هذا المكان ستري الصخرة على
هيئة إنسان يجلس وبجواره حصانه يقف خلفه . ومنذ أن
فارق إيليا الحياة لم يركب حصانه أحد ولم يمسك سيفه ،
وهذا هو السر في مدحه لحصانه عندما كان على قيد
الحياة . قائلا " قواليلى حصان إيليا لا أبيعك ولا أغيرك "

الساحر

Jiki Magayi

تأليف : تافيدا وساسا

الصب تفضحه عيونه :

كان يعيش في مدينة جلما رجل ثرى ، اسمه المعلم شيخو ، كان يملك مالا وفيرا ، وثيابا ، وبضائع ، وآلات حياكة ، وسيارات للركوب ، وعبيدا ، وقطعانا من الأبقار ، وثلاث خيول جميلة المنظر تنعم بوقت الفراغ فى الإصطبل ، وكان يذهب إلى الإصطبل عصر كل يوم ، حيث يجلس فيأتي عبيده وأهل المدينة الذين ينالون من عطاياه فيحيطون به ، يقضون وقتهم فى السمر والحديث الذي لا فائدة منه .

وقد ذاع صيته فى كل مكان بسبب تجارته الواسعة ، فقد كان يبعث خدمه للتجارة فى كل مكان ، بعضهم يذهب بالمركب والبعض الآخر بالسيارة وبعضهم يحمل السلع وثمار الكولا على ظهور الحمير والثيران والإبل ، ويطوفون البلاد يبيعون ، حتى كان يصعب عليه أن يعرف حدود ثروته .

لم ينجب:

مضى عشرون عامًا على زواجه ، ولكن لم ينجب أبدًا ، تزوج كثيرًا ، لم يخل منزله يومًا من أربع زوجات ، أنفق كثيرًا من المال لدى العلماء والأطباء الذين يعالجون بالأعشاب والسحر ، حتى يحصل على علاج للعقم ، ومع ذلك لم تحدث لإحدى نساؤه حالة ولادة أو إجهاض ، وكان كلما فكر فى الخسارة التى يمكن أن تحل به لعدم وجود الابن ضاقت نفسه ، وضايق كل أهل منزله بما يحدث من شجار ، وأحيانًا لا يراه أحد منذ الصباح حتى العصر ؛ حيث يعتكف فى حجرته يدعو الله أن يقضى حاجاته ، وكان دعاؤه واحدًا لا يتغير وهو " يا إلهي ارحمني وهبني ولداً أيما كان " .

يرى مناما :

وهو على هذا الحال رأى ذات يوم مناما ، رأى فرصة المعلم عبده سحبت لتباع فى السوق ، فأعجب شخص بها أياما إعجاب فاشترأها ، فلما رآها أحبها هو أيضا كما لم يحب شيئا من قبل ، فزاد من ثمنها فوافق صاحبها ، فدفع له الثمن ، وأخذها إلى بيته وربطها ، فلم يجد متنفسا إلا الصبر ، ومكثت الفرسة فى بيته حتى ولدت حصانا صغيرا جميلا يعجب به كل من يراه ، فلما كبر وبلغ سن الركوب ، طلب أن يوضع له السرج ، وركبه وخرج به للنزهة إلا أن الحصان جمح وأوقعه وفر هاربا ، وتركه يتألم مما أصابه .

وهنا استيقظ من المنام ، وجسمه يرتعش ، وأخذ يفكر فى هذا الأمر فى نفسه حتى طلع النهار ، وفى الصباح الباكر بعث إلى أحد المنجمين ولما جاء طلب أن يسمع القصة ، فأخذ المنجم يسوي الرمل ويخط فيه ثم يمحو الخطوط وهكذا حتى قال " أرى مشكلة زواج وولادة ، وأرى أحد منافسيك ولكن إذا صبرت ستنتصر عليه ، وأرى فى هذا الزواج مشاكل ، إذا أقدمت عليه ستندم

يوماً ما ، وإذا استمعت لمشورتى ، لن تتدم على هذا
الأمر ، فاتركه كما ترك النبي هذه الدنيا ، والباقي يعلمه
الله .

يشك في القول :

بعد أن قام المنجم جلس معلم شيخو يفكر طويلاً يفكر في نفسه في منامه وما قاله المنجم له ثم خطر على باله أن المعلم عبده لديه إينة اسمها زينب فقال لابد أنها هي التي رأيتها في المنام ، فإذا كان الأمر كذلك إذا تزوجتها ستقضي حاجتي ، ثم تذكر بقية المنام ، ونصيحة المنجم له ، ولكن لشدة رغبته في الأبن لم يعر كل هذا الأمر اهتماماً إذا قضيت حاجته ، وقال ربما كلام هذا المشعوذ غير حقيقي ، لا يعلم الغيب إلا الله ، وبذلك هدأت نفسه وكف عن التفكير .

وهنا أمر باستدعاء المعلم عبده ، فلما جاء انتحى به جانباً وقال له " ما جعلني أستدعيك ، أنني أرى حاجة لي عندك أريد قضاءها ، ولا أعرف ، ربما تقضى . " ثم قال له .

البيت ومن تحب :

فقال له المعلم عبده " هذا الأمر صعب ، لأن زينب منذ نعومة أظفارها تحب ولداً اسمه أبو بكر ، تربيها معا ، وهو يحبها حتى علم كل إنسان أنه سيتزوجها ، لقد خطبها أناس وشباب كثيرون ، ولكنها أبست إلا هو ، وأبو بكر أيضاً لا يحب أحداً في هذه الحياة إلا هي ، ولعلك تعرف أن الشباب متهور جداً إذا لم يتزوج زينب لا يعرف أحد ما سيفعل ، وأنا نفسي أيضاً لن أرتاح ، قال المعلم شيخو " إذا سمحت لي أن أبعث من يناديها لأتحدث معها سأخبرك بكل ما ستفعل "

قال المعلم عبده " هذا ليس مشكلتي ، أنها ترجع لمن تريد ، لأنني اعتقد لو بعثت إليها لن تسأتي ، وبالأحرى ألا تتحدث معك ، وليس لدى ما أقوله أكثر من ذلك في هذا الأمر "

عندما عاد إلى البيت حدث أم الفتاة عما دار بينه وبين المعلم شيخو بشأن زينب ، قالت الأم " ويحك يا سيدي ، كيف يتم هذا الأمر ، إذا فعلنا ذلك يظن الناس أننا أغبياء ، إياك والتفكير فيه . "

أمر باستدعائها :

عندما حان العصر أمر التاجر باستدعاء زينب ، فلما قيل لها أن المعلم شيخو يطلبها قالت عودوا إليّ وقولوا له لن تأتي ، ثم بعث إليها مرة أخرى ليحدثها في أمر واحد فقط ، وهو مشكلة الزواج .

فبعثت إليه مرة أخرى من يقول له أنه سبق لها الزواج، ولا تتوى أن تغيره بآخر ، وعندما عاد الرسول وأخبره بذلك تألم في نفسه وغضب وقال " عجباً هل توجد امرأة في هذا الكون أبعث إليها من يستدعيها ، ثم ترفض وتقول أنها لن تأتي ؟ "

فقال له خادمه الذي بعث به " ويحك يا سيدي ، إن مثلك لو أراد ألف امرأة من أية مدينة جئتك مسرعات ، ثم تعذب نفسك بسبب مثل هذه الفتاة مهما كان حظها من الجمال لا ينبغي لمثلك أن يركع تحت قدميها "

قلب فتاها يغضب :

وهم على هذا الحال ، ذهب فجأة أحد خدم المعلم شيخو إلى أبي بكر وقال له ، أن المعلم شيخو استدعى والد الفتاة التي يريد أن يتزوجها ، كما بعث لاستدعائها ولكنها رفضت الحضور ، وفي الحال غضب أبو بكر عند سماع هذا الكلام ، وأخذ ينظر قدوم المغرب بفارغ الصبر حتى يذهب للقاء زينب .

وعندما أقبل المغرب ذهب إلى منزلهم ، وبعث أخاها الصغير ليخبرها ، فخرجت وذهبا إلى المكان الذي اعتاد الذهاب إليه ليتحدثا ، وأخذا يتحدثان في شئون الحياة ، ثم قال لها أبو بكر " زوجة السعداء "

قالت " ما هذا الكلام الذي تقوله اليوم ؟ إنني أراك اليوم لا تسمع إلا الهراء ؟ قال " ما جعلني أقول ذلك ، أننى سمعت أن المعلم شيخو أكبر أثرياء مدينتنا بعث إليك لتذهبي إليه "

قالت " الذي أعطاك هذا الخبر ، لم يقل لك الرد الذي بعثت به إليه ؟ "

النساء أمرهم صعب :

قال لي " ولكن مع ذلك غضبت جداً ، لأنني أعرف أن
أمركن صعب ، أنهم يقولون أن الحصان ، والنهر ،
والمرأة ، لا يؤمن غدرهم "

" حتى أنا أيضاً ، ألا ترضى عني ؟ "

" نعم ، إن النساء خالهن واحد "

" إذا قدم لي الدليل على ذلك "

قال " ما جعلني أقول لك ، أن الحصان إذا كنت
تحبينه، ولم تحملينه أية مشاق ، مع كل ذلك لابد أن
يركلك يوماً ما برجليه ، والنهر كذلك تعبرينه الآن، ولكن
عندما تهمين بالعودة تجدينه قد امتلأ بالماء ويصبح عبوره
محالاً ، والمرأة كذلك يقال أن وعدتها لا يدوم أكثر من
أربعين يوماً ، فإذا مضت الفترة ، ووجدت من تحبه ،
مهما كان الحب الذي يكنه لها الحبيب الأول تغدر به ،
المعلم شيخو رجل ثري ، إن لم تجدي فيه شيئاً يحب ،
فستحبينه لماله . "

فتبسمت وقالت " ويحك يا أبو بكر ، لو كنت سأسير
على ماله منذ الآن حتى غروب الشمس لن يغريني
بالزواج منه "

قال " إذا رأيت الكلب يشمشم في الحذاء فاعلمي أنه
سيخطفه ، ولكن أنت حرة فيما تفعلين " وأستاذنا وعادا
إلى منزلهما ، فنام وهو مشغول البال .

ولما علم الثري بما دار بينها وبين أبي بكر قال "
لأرى هذا الغلام أن كل من ينازلني لابد أن يخر صريعا
" ثم أمر باستدعاء رجل يسمى المعلم سمبو ، الذي يخشاه
كل إنسان في المدينة حتى الأمير نفسه ، فلما أقبل عليه
وعده بالمال الكثير ، وأخبره بما بينه وبين غريمه أبي
بكر من منافسة .

قلب الفتاة يتحول :

قال المعلم سمبو " هذا أمر يسير ، إذ كنت أعمل المستحيل فما بالك بهذا الأمر اليسير إذا كنت تريد الحكم على هذا الغلام بالموت ، أسأل الله أن يقدرنا على هذه المساعدة "

قال المعلم شيخو " لا أريد الموت ، كل ما أريده منك أن تحول قلب هذه الفتاة وقلب والديها عنه "

قال المعلم سمبو " وهو كذلك ، عندما أعود الآن إلى المنزل ابعث لي بخادمك ، سأقدم لك مساعدة ، إذا أقبل المغرب ، أفل ما سأبعث لك به ، وإذا لم تأت لك أخلق لي لحيتي ، وسأبعث لك بالدواء السحري أخلطه مع المسك وقدمه إليها إذا أخذته ومسحت منه أسفل أنفها ، سينتهي الأمر ، سيحبك حتى والديها ، وغدا رفضوا ستتزوجها " فرح المعلم شيخو وأحضر مالا كثيرا وقدمه إليه .

يخلط الدواء السحري :

عندما أقبل المساء بعث بمن أحضر له دواءين ، أحدهما خلطة بالمسك والآخر تعطر به ، ثم بعث بمن يستدعى له زينب ، عندما ذهب الخادم وجدهم يتحدثون مع أبي بكر فاستأذن ، فرد أبو بكر قائلاً " ماذا تطلب ؟ "

قال الخادم " المعلم شيخو بعثني لزينب يريد أن يراها "

قال أبو بكر " عد ، وقل له لن تأتي "

عندما عاد الخادم ، هبت قائمة واندفعت مسرعة تتناديه أمام أبي بكر ، وطلبت منه أن يخبر سيده أنها قادمة ، ولكن على شريطة ألا يثار الأمر الذي بعثت من أجله أول الأمر .

وهنا قال لها أبو بكر " ها هو ألم أقل لك بالأمس ! " قالت له " ويحك ، يا أبا بكر ، ليس فى الأمر شيء ، رؤية الطعام لا تغني عن أكله ، وذهابي إليه ليس معناه الزواج ، وأقسم لك بحق حياتي أن لا أتزوج أحداً فى هذه الحياة إلا أنت ، أى قولى له أننى قادمة لا دخل السرور

على قلبه فقط ، حتى لا يقول إنني أخرجته مرتين ، إنك
تعرف خلق الرجال إذا لم تبدي لهم الاحترام يعانون
كثيرا. "

قال " وهو كذلك ، أنت حرة فيما تفعلين " فأستأذن
وودعته .

يلتقيان فى الطابق الثالث :

عندما عادت إلى المنزل ، اغتسلت ، واستعدت ، وقالت أنها ذاهبة إلى أبي بكر ، وستعود الآن ، وبعد خروجها لم تقف فى أى مكان إلا منزل المعلم شيخو ، وجدت مدخل المنزل مملوءً بالسمار ، فتجاوزتهم إلى الداخل وانتظرته بالطابق الثالث ، وبعد قليل ارتدى المعلم شيخو حذاءه ودخل المنزل فامتأ كل المكان برائحة العطر ، ولما أحست به قادمة ، غطت رأسها .

وعند دخوله قال : " زينب ، جئتي ؟ لماذا بعثت إليك من يستدعيك مرتين فرفضتي الحضور ، هل سأكل لحمك؟

قالت " لم أجد فرصة "

تبادلا التحية ثم قال لها " ما جعلني استدعيك ، هو سماعي لاختيارك وأنتك تحبين شخصا ، ولكن سمعت أنك لم تخطبي له ، وحتى إذا خطبتي له ، فإنني أريدك ، إلا أننى أرى ما يمنعني . "

"ماذا يمنعك ، ألسنت رجلا ؟ هل الرجل يرفض رجلا
مثلك ؟ "

"حسناً أننى أريدك زوجة لى "

"أنا أيضاً أحبك ، ولكن ليس من أجل الزواج "

"لماذا ليس من أجل الزواج "

حتى الآن أحبه :

" لأنه منذ طفولتي لم أحب أحداً مثل أبي بكر ، ومازلت أحبه حتى الآن ، لم يطلبني أحد في هذه المدينة كلها ، لأن كل منهم لم يجد الفرصة لذلك فعزف عني ، ودعني أقول لك بالحقيقة ، إنني أعرف أنك ثري ، وأن أبا بكر رجل فقير فإذا تزوجتك لن أشعر بالجوع أو الظماً ، يبقى أمر واحد ، سمعت أنك رجل متردد ، يوماً ما ستري من تفوقني جمالاً ، فتقول إنك تحبها ، فأنت رجل مزواج ، كل من تتزوجها ، إذا قضيت معها عدة سنوات ورأيت أنها لم تتجب تطلقها مع المعاملة السيئة ، وهل لديك أربعة زوجات ، لا يوجد فيهن من تكبرني سناً ولن أستطيع أن أكون ضرة لهن ، وأنت تعلم أنه لا يمكن أن تتزوج عليهن الخامسة ولا تتزوجني "

قال لها " ليس هذا مشكلة ، طالما أنني قلت أنني أريدك زوجة لي ، إذا كنت تحبينني قولي وأنا أعرف ما أفعله ، ألا يوجد طلاق ؟ "

قالت " ويحك طالما أنك ستطلق إحداهن لتتزوجني ،
فإنك ستطلقني يوما ما إذا رأيت من تفوقني جمالا "

ليس الأمر كذلك يا زينب ، أريد منك أمرا واحدا إذا
قلت أنك تحبينني ، فسأعرف كيف أتصرف "

" ليس لدى فرصة "

" سأهلك سبعة أيام ، كل ما تفكرين فيه ، عودي إلي
وخبريني به لأعرف ما في الأمر "

" أى مشورة " إنه رأيي "

" لا استشيرى "

وأستأذنت ، وهمت بالخروج فقال لها انتظري ، ودخل
إلى المنزل ، وأحضر مالا ، وبعض ثمار الكولا وقدمه
إليها .

قالت " لا ، والله لن أخذ شيئا منك ، وإذا أخذت شيئا ،
وعلموا فى المنزل سيضربونني ، وكل من يسمع أننى
أخذت شيئا من يدك ، سيتأكد أننى غيرت رأيي ، كشأن
النساء "

قال " خذى ، أنت تعرفين ، أنه لولا هذا الأمر
لأعطيتك أكثر من هذا "

أعرف ذلك :

قالت " أعرف ذلك ، ولكن لولا أنني معك اليوم ، ما أعطيتني شيئاً "

حاول معها كثيراً ولكنها رفضت ، وهبت قائمة ، فأمسك بثوبها ، وقال " إذا لم تأخذي هذا ، هالك شيء صغير خذيه لأنه لا يجب أن تأتي لتحتيتي وتخرجي صفر اليدين ، أى أنك لم تقدريني " ووضع يده في جعبته وأخرج الرائحة التي خلطت بالدواء السحري وقدمه إليها فأخذته بعد تردد وخرجت .

ولما وصلت إلى المنزل أخذت العطر وقدمته إلى والدتها ، وقالت " ها هو الشيء الذي قدمه إلى أبو بكر ، خذيه واحفظيه لي ، وقبل أن تسلمه لها أخذت جزءاً على طرف أصبعها ومسحته على وجهها .

وفي الصباح بعث المعلم شيخو من يستدعي له المعلم سمبو ، فأخبره بما حدث بينه وبين زينب ، فقال المعلم سمبو " طالما أنك قدمت إليها هذا العطر ، لا تطلب مقابلتها مرة أخرى ، هم بأنفسهم سيطلبونك " شكره المعلم شيخو ، وقدم له بعض المال مرة أخرى.

الشباب يغضب :

ذهب أبو بكر إلى منزل زينب بنفسه ، واستدعاها ،
وسألها " أحقاً ذهبت إلى المعلم شيخو بالأمس بعد أن
افترقنا ؟ "

قالت " نعم "

قال " علمت الآن أن ما بيننا خداع ، أريد أن تقولى
صراحة إذا لم تحبيننى "

قالت " أنك تعرف أن الفتاة كالسلعة ، كل من يراها
يطلبها ، وكل يساوم أما المشتري ، فهو شخص واحد ،
طالما أننى لم أخطب لأحد فأنت خطيبي " ثم قام غاضباً
وذهب إلى شأنه .

ولما عاد إلى المنزل أخبر أمه بما حدث بينه وبين
زينب ، فقالت أمه " أننى أعلم قبل ذلك أنك لن تتزوج
زينب ، لأن كثيراً من الأثرياء يتقدمون لها ، وليس كل
شيء في هذه الحياة يتم لوجه الله ولكن لوجه المال ،
فاصبر واطلب من تناسبك . "

لا بد أن أثار :

قال لها " يا أمي ، إذا كنت ابن حلال فيجب أن أثار ،
وسأطوف الدنيا وعلى كل حال سيعينني الله ، ولكن لا
تقلقي ، فها عبده وأخي الأصغر وجدنا يكفونك في شئون
الحياة ، وسأعود إليك في يوم ما طالما أن في العمر بقية .

فلما سمعت هذا الكلام حزنت جداً ، ولم تسعفها
الكلمات ، لأنها تعلم أن أبا بكر إذا غضب فلا يستطيع
أحد أن يخفف من حدة غضبه .

وفي المغرب ذهب إلى والد زينب وقال له " ما جعلني
أتيك ، أنني علمت أن رغبت الزواج التي بيني وبين
ابنتك قد انتهت ، هل علمت ذلك ؟ أنني أعلم أن الثروة قد
ملأت عينها ، حتى نسيت الوعد الذي قطعته لي ، وأريد
أن تستدعيها أمامك لقول لها كلمة "

قال له " أين سمعت هذا الكلام الفارغ ؟ هل رجل
عجوز مثلي يناقض نفسه ، طالما أنني والد زينب لن
تتزوج أحداً غيرك . "

قال له أبو بكر " لا ، لا تظن أنني جئت أناقشك ،
زوجها لمن تقل أنها تريده ، إن الفتيات كثيرات "

استدعاها المعلم عبده وأغلظ لها في القول ، وقال لها
لن تخرجي مستقبلاً من المنزل مرة أخرى ، إلا يوم أن
تurf إلى منزل أبي بكر ، فقالت أنهم لو أوثقوا قدميها
بالقيود فستكسرهما ولن تتزوج ، وخيراً لها أن تهيم على
وجهها من أن تتزوج .

قام الأب غاضباً وضربها ، وداسها بقدميه وقيدها
وقال لأبي بكر " عد إلى منزلك ، هدا الله من روعك ،
أني أعرف كيف أعاملها "

قال أبو بكر " لا عليك يا أبي ، حتى نلتقي "

هل تريد أن تقتلها ؟!

لما سمعت أم زينب صراخ ابنتها عندما كان أبوها
يضربها طلّت وقالت " ماذا حدث لكل هذا ؟ أتريد أن
تقتلها ؟

قال لها المعلم عبده " بخصوص مشكلة زواجها بأبي
بكر ، أنت لا ترضين أن أقول له سزوجك زينب ، ثم

تأتى الآن وتقول أن رجلاً اسمه المعلم شيخو تريد أن تتزوجه ، وإذا وافقت على كلامها سأشعر بالخجل بين الناس ، ولن يحترمني أي إنسان مستقبلاً ، وسيسخر الكل مني ، ويقولون أنني زوجته ابنتي حباً لماله . "

وهنا قالت الأم " أنت تعلم أمور الحياة لا تؤخذ عنوة ، ولكن بالاقناع والتفاهم ، وما أريده منك أن تصبر وتلاطفها ، ربما تعود إلى صوابها ، ولكن إذا قلت الآن سترغمها ، أنت تعرف أخلاق أبناء هذا الزمان ، ربما يكون السبب في عدم السيطرة عليها تماماً " حينئذ قام وفك قيودها .

وما كاد المساء يقبل حتى توجهت إلى منزل المعلم شيخو ، وقالت له " طالما أنا أبا بكر قد غضب وثار هكذا، أريد أن تتقدم وتطلب الزواج مني "

وعندما طلع النهار بعث المعلم شيخو إلى المعلم عبده أنه يريد أن يتحدث معه في أمر الزواج ، فبعث إليه المعلم عبده ، بأنه لن يزوجه حتى لو طلب القاضي منه ذلك ، واستمر الأمر بين أخذ ورد حينئذ اجتمع الأخوة واقنعوا المعلم عبده ، فرد عليهم مكرهاً ، بأنه لا يريد من أجل ماله مطلقاً ، وأعلن المعلم شيخو قيمة الهدايا

التي قدمها غريمة للفتاة ، ويوم تحديد حفل الزواج ، أخذ كل أهل المدينة يلومون المعلم شيخو لعدم وفائه .

وفي يوم الزواج طلق إحدى نسائه ، وفي المساء زفت إليه العروس ، وفي اليوم التالي أقيم حفل عظيم لم يقم بمثله أمير جلما ، وحضر إليه أصدقاؤه من كل مكان ، ولم يترك شيئا يعمل أو يحكى عنه إلا وعمله .

" تبارك الله لقد كان حفل رجل ثري فعلا " لقد بلغ الإسراف مداه ، واستمر اللهو واللعب لمدة ثلاثة أيام ، ثم أقيمت ليلة الحناء ، وأحضر طعام العرس وبعدها تفرق الناس .

الشباب يهيم على وجهه :

غادر أبو بكر موطنه ، ولم يعرف إلى أين المسير ،
وأخذ يتجول حتى وصل إلى مدينة تسمى " عش مستعداً "
وهذه المدينة يقصدها كل من ارتكب جريمة السرقة أو
أمراً محرماً ، هرباً من مدينتهم ، حيث أنشأوا لهم حياً في
المدينة ، يفعلون فيه ما يريدون ، وليس في هذه المدينة
إلا المشعوذين والصوص ، وأدعياء الطب والمومسات ،
وصل أبو بكر إلى هذه المدينة ، فأخذ يسمع أصوات
الآلات الموسيقية. والأغاني ترتفع في كل مكان ، فجلس
تحت شجرة يستريح من شدة التعب ، حتى غلبه النوم .

جاء رجل ورآه مستغرقاً في نومه ، فأيقظته وقال له "
أيها الشاب من أين جئت ؟ "

فاستيقظ من النوم ، وتبادلا التحية ، وسأله هل يوجد
في هذه المدينة ساحر مشهور .

قال له الرجل " ألم تسمع اسم هذه المدينة ؟ "
قال " سمعت "

قال هل رأيت عالماً طيب يعيش في هذه المدينة ؟ نحن
هنا لا شأن لنا بالعلماء لا نعرف إلا السحرة والمشعوذين.

قال " حسناً دلني على أكبر سحرتكم "

سأكشف لك سري :

ذهب به إلى منزل رجل يسمى " رحمتكم مسهلة " عندما وصلا إلى المنزل لم يجداه فقد خرج ليقض شئونه كالعادة منذ ثلاثة أيام ، ولكنهم علموا أنه سيعود في المساء ، فجلس ينتظره ، ولم يعد إلا بعد أن انتصف الليل ، وعندما دخل منزله دخل أحد لخدم عليه وأخبره أن ضيفاً ينتظره منذ الضحى ، فخرج وبعث من يستدعي أبا بكر ليجلس معه على انفراد فلما رآه أخذ جسده يرتعش لشدة جماله فتبادلا التحية ، وسأله عما أتى به إلى هذه المدينة ، فقال أبو بكر " أن مشكلتي كبيرة ، إن أحيانا الله إلى الغد اكشف لك سري "

وعندما طلع النهار ذهب أبو بكر إلى منزل الساحر وبعد أن تبادلوا التحية، قال أبو بكر " ما جاء بي إليك هو الهم الشديد ، الذي أصابتنى به فتاة كنت أحبها ، وكانت تحبني حبا جما ، منذ الطفولة حتى سن الشباب وكنت على وشك خطبتها والزواج بها ، بينما كنت أستعد لأبعث أُمي لخطبتها ، فإذا بأحد أثرياء مدينتنا يسمى المعلم شيخو يسمع عنها ، ففرق بيننا طمعا فقط ، بالرغم من أنه

متزوج من أربع زوجات ، مثل هذا الرجل لا يجب أن يظل معي في هذه الحياة ، ولا ينبغي لي أن أعيش في المدينة لأسمع أنه تزوجها ، لذلك عجزت عن فعل ما أشفى به غليلي ، وهمت على وجهي في هذه الدنيا ، انتقل من مكان إلى آخر ، حتى انتهى بي المطاف إلى هذه المدينة ، وبينما كنت أسأل الناس ، قيل لي أنه لا يوجد في هذه المدينة من يفوقك علماً في فن السحر ، لذلك جئت إليك ، فإذا وافقت على مساعدتي لأثأر منهم ، هدأت نفسي " .

قال الساحر " الحمد لله لقد جئت لمن يستطيع تخفيف آلامك ، لقد علمت بأمرك قبل أن تخبرني فعندما افترقنا أمس جائتني الساحرة الكبرى وبينت لي كل الأسباب التي جاءت بك ، ولكن ليس الأمر كما تظن فليست الرغبة فقط هي التي دفعت الثري إلى هذا الأمر ، السبب أنه يريد أبناء ، وقيل له أنه إذا تزوج من هذه الفتاة سيرزق بالولد . "

حينئذ قال أبو بكر " أحقا هكذا ؟ "

قال " إنه سيرزق لأن هذا الأمر ليس بيد الإنسان ، ولكن بقدره الله " .

ثم سكت أبو بكر واستغرق في تفكير عميق، وبعد فترة قال "حسناً طالما أن الرغبة في الولد هي التي جعلته يفعل هذا الأمر ، شيء واحد فقط هو الذي سيريح نفسي، هو أن البركة التي يرجوها من هذا الولد تتقلب لعنة له."

سيتم ولكن بمشقة :

ثم سكت الساحر وبعد فترة قال " هذا الأمر سيتم ولكن بمشقة ، هل تقبل إذا فعلته لك تتحمل كل آثامه ؟ "

قال أبو بكر " فكل ما يريد الله أن يفعله بي بسبب هذا الأمر فليفعله ، المهم أن تقضى حاجتى "

واستطرد قائلا " ماذا سأدفع إذا فعلت لي هذا الأمر ؟ "

ضحك الساحر وقال " لن آخذ شيئا منك ، لأن كل ما ستفعله بنفسك ، هل تستطيع أن تصبر وأن تحضر لي ما سأطلبه منك ؟ "

قال " بقدرة الله سأستطيع "

قال الساحر " أريد أن تأتيني بصمغ شجرة الكجو . "

قال " أين سأجده ؟ لم أر أبدا من حصل عليه "

قال الساحر " ليس في هذه المدينة ، ولكنني سأقول لك أين تجده إذا ذهبت، أنت تعرف أنني لم أولد في هذه المدينة ، أنا من أهل يـالـى ، وتركت موطني منذ كنت صبياً بسبب رغبتني في الوصول إلى سر السحر ، وسمعت أن أبي مازال على قيد الحياة هناك ، وهو يتمنى دائماً رؤيتي ، لأنني أكبر أبنائه ، وسأبعث عليه وسيخبرك أين ستجده ، إنني أتذكر أنه كان يحكي لنا عن أخباره وأنا طفل "

قال أبو بكر " وكيف يحدث ذلك ، ربما لو ذهبت إليه لن يصدق أنني جئت من عندك لأنك قلت أنك فارقته منذ سنوات طويلة "

يقدم للشباب تميمة :

وضع الساحر يده في جعبته وأخرج تميمة وقال " قدمها إليه ، فسيعرف عند رؤيتها ، ومتى التقيت به بلغه كل أخباري ، وتحيتي وعرفه أنني مازالت حيا ، وأنى أريده أن يغفر لي كل ما فعلته في حقه من آثام .

وإذا عفى عني فليبعث إلى عندما تعود ، لأعود إلى موطنى ، وإذا نلت ما طلبته منك ، فستدفع ثمن هذه المساعدة التى قدمتها إليك "

لم يعرفه :

عندما طلع النهار سلك أبو بكر الطريق وتابع السير
بيت يوماً في هذه المدينة ويوماً في أخرى ، وفي مكان
يجد الطعام ، وفي مكان آخر لم يجد بدا من التسول
فيحصل على قوته بصعوبة ، وهكذا حتى وصل إلى
المدينة التي بعث إليها بعد شهرين .

وصل إلى مدينة يالى عند الظهر فظل يتجول في
طرقاتها يسأل عن بيت والد الساحر ، ذهب إلى كل مكان
فلم يسمع إلا قولهم " لم نسمع أبداً عن هذا الاسم ، ولم
نعرف والده " ولما أعياه السؤال جلس تحت شجرة ، وبعد
قليل إذا برجل عجوز يعبر الطريق ، فقام وقابله ، وركع
تحية له ، وقال لدى سؤال ، إنني غريب من بلدة تسمى "
عش مستعداً " هاجر إليها ساحر كبير منذ كان صغيراً
وهو الآن من الأثرياء ، بعثني إلى والده ، ومن غبائي
نسيت أن أسأله عن اسم والده قبل أن أغادر المدينة ، كما
نسى أن يخبرني باسمه أرجو من الله أن تعرفه ؟ "

وقف العجوز صامتاً ، ثم طأطأ رأسه ، ومكثت مدة لم يتكلم فقال أبو بكر " ماذا أصابك ؟ هل مجرد السؤال جعلك تحزن كل هذه الحزن ؟ "

قال العجوز " نعم ، هذا الكلام الذي قلتـه ، ذكرني بما أطويه في قلبي "

قال أبو بكر " سلامتك يا والدي ، لو أعلم أن هذا الكلام سيحزنك إلى هذا الحد ما سألتك "

قال العجوز " لا شيء ، الله هو مالك كل شيء "

فلما رأى أبو بكر أن نفس العجوز لم تهذاً قال " يا والدي ، بالله ، قل لي ما أحزنك "

قال العجوز " اسمع يا بني ، إن لي ابناً كما تقول هاجر منذ سنوات ، ولكنه مات ، وهذا ما أفكر فيه دائماً ، عندما تحدثت إلى أثرت ذكرياتي . "

قال أبو بكر " كيف تأكدت أنه مات ؟ "

قال العجوز " خرج من المدينة ، منذ هذه السنوات ، لم أر من رآه ، واسمع شيئاً من أخباره ، وهذا ما يؤكد لي وفاته . "

قال أبو بكر " ما هو شكل ابنك "

أخذ العجوز يصفه ، قائلاً ولكن هذا الوصف منذ كان صغيراً لا يعرفه أحد الآن . "

حينئذ قال أبو بكر " لا تحزن فربما بعثني الله لتعرف أخبار ابنك ، قال العجوز " ليس هذا محتملاً لقد مضت أعوام طويلة ، وماذا سيؤكد لي أنه مازال حياً ؟ "

يُخرج بالتميمة :

وهنا وضع أبو بكر يده في جيبه ، وأخرج التميمة وقال " انظر إلى هذا الشيء هل رأيته أو تعرفه ؟ "

أخذه العجوز ونظر إليه جيداً ، وقال " من أين حصلت على هذا ؟ "

قال " إن الرجل الذي أخبرتك عنه هو الذي أعطانيها لأوصلها لأبيه كدليل "

قال العجوز " الله اكبر ، فعال لما يريد ، ولا يعجزه شيء ، لاشك أن زكريا مازال حياً وهنا قال " تعال معي إلى بيتي ، لقد اشتقت لسماع أخباره "

ذهبا إلى المنزل ، وأنزله فيه ، وقدم إليه الطعام فأكل ، وارتاح ثم قص له كل أخبار ابنه .

قال العجوز " بإذن الله سوف أبعث إليه ليعود إلى وطنه . "

ثم استمر قائلاً " وأنت كيف التقيت به ، حتى يبعثك
لتقطع هذه المسافة الطويلة ، وتحمل هذه المشقات دون
علم بالمكان الذي تقصده ؟ "

صمغ شجر الكلحو :

قال أبو بكر " سبب لقائي بـأبـنـك أمر محزن أصابني في مدينتنا لم استطع تحمله ، فتركها غاضباً ، ابحت عن الثار لما أصابني ، وأثناء طوافي في الأرض ، شاء الله أن أصل إلى المدينة التي يعيش فيها ، وقيل لي أنه وحده الذي يستطيع تخفيف عني هذه الآلام ، وعندما ذهبت إليه وقلت له، قال أنه سيلبي طلبي على أن آتيه بصمغ شجرة الكلجو ، فلما قال لي ذلك ، قلت ، لا أعرف أين أجده ، وهذا هو السبب الذي جئت إليك من أجله ، قال أنه عندما كان صغيراً ، كان يسمعك تقص عليه أخباره والمكان الذي يوجد فيه "

إلا ما شاء الله :

قال العجوز " ما هو الأمر الذي أصابك بالضرر البالغ الذي جعلك تضحى بروحك ؟ لتحصل على هذا الشيء الذي لا يحصل عليه إلا من شاء الله."

قال " طلبت الزواج من فتاة فى مدينتنا ، فسلبها منى أحد الأثرياء بلا حياء ، وكان فى اعتقاده أن الرغبة فقط وحب المال ، ولكن عندما ذهبت إلى أبنيك وأخبرته ، أخرجني من جهلي ، وقال أنه قيل للثري أنك إذا تزوجتها بلغت المراد ، الذي هو أعلى شيء فى الحياة فى نظره ، لأنه لم يرزق ابناً ، لذلك ذهبت إلى ابنيك ، أطلب مساعدته ، بأن يعيد هذا الابن الذي يرجو البركة بوجوده ينقلب أفسد خلق الله على الأرض ، حتى يكون له مصدر كل مصيبة ، ويفضل الموت على هذا الابن المنتظر ، فقال سيعمل ما تريد ، بعد أن آتية بصمغ شجرة الكلجو "

قال العجوز " أيها الشاب ، الأفضل لك أن تصبر ، وتتركه لله ينتقم له ، لأن هذا المطلب الذي تتشده ليس أمراً طيباً ، لا ينبغي أن تواجه الشر بفعل الشر ، دع الله يحكم بينكم "

وأخذ العجوز يهدأ من روعه ، فلما عجز عن إقناعه ، قال " هذا الأمر الذي حدثني عنه لا أحب أن أفعله ، ولكن طالما أنني حصلت منك على أخبار ابني ، فإنني لن أرفض مساعدتك ، بالرغم من أن ما تحتاجه أمراً سيئاً ، وعليك أن تعرف أن أمامك مشاق كثيرة ، وأنت تقطع حتى الآن نصف رحلتك ، فستبتعد عن الأماكن المأهولة بالبشر بمسافات طويلة ، وتدخل في غابات رقيق ، حيث تجد مطلبك المنشود ، إذا كتب الله لك التوفيق ، وخفف عن متاعبك ، ولتعلم أن هذا الأمر لن يصل إليه إلا الرجل الشجاع حقاً ، وإذا استمعت إلى نصيحتي ، الأفضل أن تعود إلى مدينتكم وتصبر ، وتتركه الله .

قال أبو بكر " مهما كانت المشقات التي سأتحملها لن أعود ، وأفضل الموت في سبيل الوصول إلى هذا الهدف من العودة إلى مدينتي وأعيش لأشعر بالآلام في كل حين ، "

عندما رأى العجوز أنه يتحمل مشقات السفر قال " امكث هنا يومين لتستريح ، ثم أعطيك الزاد لترحل "

زينب تشعر بالحمل :

وبينما زينب في بيت زوجها تستمتع بالحياة معه ، لم يمض شهران أو ثلاثة حتى شعرت بالحمل ، وعندما حان وقت الوضع ولدت طفلاً جميلاً ، قيل للمعلم شيخو أن زوجته ولدت ، ففرح فرحاً لا حدود له ، لأن كل ما كان يرجوه من أكثر من أى شيء فى الحياة .

وفى الحال أخبر أمير المدينة أن زوجة المعلم شيخو ولدت ، فبعث الأمير بالهدايا الكثيرة ، وفرح كثيراً ، وأمر المعلم شيخو أن يذهب الرسل إلى كل مكان ليخبروا أصدقاءه ، وخدمه بأن زوجته قد ولدت ، وقد ملأ السرور قلب كل من سمع أن صديقهم رزق وريثاً .

وفى يوم تسمية المولود احتشد جمع كبير ، وذهبت الأبقار والخراف وأقيم حفل أعظم مما أقيم يوم زواجه بالفتاة ، وأطلق على الابن اسم عبدالله ، ولكن كان ينادى غالباً باسم هدية ، وعم المدينة هرج ومرج عدة أيام ، وأخذ يدعو له كبار العلماء والشيوخ ، بأن يديمه الله ويجعله ابناً صالحاً فى ظل الإسلام ، ويتولاهم كما يتولاهم أبوه .

ودارت الأيام وكبر المولود ، وسترت عورته ، وأدخل
المدرسة ليتعلم القراءة حتى كاد يحفظ القرآن ، وكان منذ
نشأته ولداً طيباً كريم الخلق ، محبوب لدى الجميع ،
وكان مصدر السرور لأبيه دائماً ، لم يترك شيئاً من متع
الحياة إلا وقدمها إليه ، وقد بنى له والده حجرة خاصة فى
مسكن أبيه الخاص كان ينام فيه رفاقه من الأطفال ،
حيثما يكون هدية يلتف حوله الأطفال ، لم يكن بينه وبين
أى إنسان فى المدينة إلا الأدب والاحترام فلا يحتقر أحداً،
حيثما يسير يباركه كل من يراه .

البحث عن غابة رققى :

أما أبو بكر ، فبعد أن قضى يومين فى مدينة يالى ليستريح ، أحضر له العجوز الحصان الذى سيركبه أثناء الرحلة ، وأمه ببعض المال ليشتري ما يريد من الطعام أثناء الطريق ، وقدم إليه بعض الثياب ليستعملها رداء وغطاء ، ودله على الطريق ، وقال له " إذا خرجت من هنا لا تعرج على أى مكان حتى تصل إلى مدينة تسمى سنجاً ، إذا وصلت إلى هذه المدينة استرح قليلاً ثم اتجه شمالاً وسر حوالى سبعة أيام ، ثم اسأل عن غابة رققى وإذا دخلتها تجول بين أشجارها كثيراً ، لعل الله يوفقك فما تطلبه شيء سحري ، لا يوجد إلا بصعوبة وأحياناً يتشكل للإنسان بشكل حشرة فيجن أو يموت "

وقال " لم أر مثله بعيني منذ جئت إلى هذه الحياة "

قال العجوز " إذا أظهره الله لك ، ستري مكانه يضيء كأنه الشمس ، مع أنه شيء صغير ، ولكن إذا وصلت إليه لتأخذه غالباً ما يختفى ، فإذا وصلت إلى مدينة سنجاً ابحت عن علبة صغيرة واطلها بالدهن ، وضعه بها إذا حصلت عليه .

وتبادلا التحية مع بعضهما ، وقال العجوز " وفقك الله ،
وخفف عنك المشاق "

قال " آمين "

أعد أبو بكر متاعه البسيط وربطه ، وركب حصانه ،
وأخذ يسير في الغابة الموحشة ، ولم يلتق منذ بدأ الرحلة
إلا برجل واحد بالقرب من مدينة يالى ، فقال له الرجل "
ويحك أيها الرجل ، إلى أين ستذهب في هذه الغابة
الموحشة ، وليس معك إلا هذا الحصان وهذا المتاع
اليسير ؟ في هذا الخلاء ألا تخشى الأخطار ؟ يبدو أنك
غريب ، ولا تعرف هذا الطريق . "

قال له أبو بكر " ذاهب إلى مدينة سنجا "

" سنجا أنك رجل لا تحترم رأى من هو أكبر منك ،
ولا أعرف مدى استعدادك ، اذهب حفظك الله "

قال " آمين "

يلتقى بقطاع الطرق :

أستأنف أبو بكر الرحلة حتى انتصف النهار ، واستمر في المسير حتى أعجز السير حصانه لشدة الجوع والظمأ ، وبعد مشقة بلغ نهرا مليئاً بالشلالات ، فنزل وجرد الحصان من سرجه ، وحمل متاعه البسيط ووضعته تحت ظل شجرة ، وسحب الحصان ونزل به إلى الماء فشرب ، وأخذ يتقلب في الرمال ، ثم صعد به إلى الشاطئ وقيدته ، حيث أخذ يرعى العشب النابت على شاطئ النهر ، وخلع أبو بكر ثيابه واستحم في مياه النهر ، ثم ارتدى ملابسه وشرب ، وصعد إلى الشاطئ وجلس بجوار متاعه ، وأخرج زاده وتناول قليلا من الطعام ، وفجأة نظر خلفه فرأى رجلين قادمين من بعيد يحمل كل منهما غمدا ممتلأ بالسهم وقوسا ، ركب السهم في وتره ، يقصدانه ، وهو يجلس في هذا الوقت ويكاد الخوف يقتله . عند قدومهما ألقى أحدهما التحية ، فرد عليه أبو بكر وجسمه يرتعد خوفاً .

قال اللص " أنت ، إلى أين ذاهب ؟ "

قال " سنجأ "

قال " هل أنت غريب ، لم تسلك هذا الطريق من قبل؟"

قلت " منذ أن خلقتني الله ، لم آت إلى هذا المكان "

فقال أحدهما لأخيه " يا له من رجل أبله ، هل جئنا
لنتحدث ؟ لنفعل ما جئنا من أجله ، ونذهب "

فقال لأبي بكر " أنت ، عليك أن تختار إما متاعك وإما
حياتك . "

قال أبو بكر " اختار حياتي "

قال " اخلع ثيابك وسروالك ، وضعهم على متاعك
هذا. "

فخلعها ووضعها ، ثم ذهب الأخر ليفك الحصان ، فلما
رأى الحصان شخصا غير صاحبه ، أخذ يرفسه ويعضه،
فنادى عليه اللص قائلاً " تعالى إن حصانك سيعضني ! "

فذهب أبو بكر مسرعاً ، وأمسك الحصان ، ووضع
اللجام في فمه ، والسرّج على ظهره ، فقالا له " اذهب
لشأنك ! " فأخذ طريقه عارٍ إلا من سائر العورة .

فلما رآه اللسان بدأ فسى المسير ناداه أحدهما قائلاً " انتظر !! "

وقف أبو بكر بلا حركة ، لم يرفع قدماً ، وجسده يرتعد ، فلما وصل اللسان إليه ، لطمه على وجهه ، وسحب سكيناً وقطع جزءاً من أذنه وتركه ، فرقد أبو بكر حيث هو يصرخ ، فالطم مؤلماً ، وأذنه مقطوعة ، الغيظ يملأ قلبه لسرق متاعه ، وبعد قليل أفاق ، ولم يلحق به أحد ، وبعد العصر سمع حديث بعض الناس قادمين خلفه فظنهم بعض اللصوص ، فدخل إلى حافة الغابة ، ولجأ إلى شجرة وتوارى بين أغصانها ، فلما اقتربوا منه علم أنهم بعض الحمارة ، فلما رأى ذلك خرج وجلس على الطريق .

ولما وصلوا إليه قالوا " ماذا أصابك ؟ "

قال " جئت من مدينة يالى قاصداً مدينة سنجنا ، فقابلني بعض قطاع الطرق ، فجردوني من كل ما أحمل ، وضربوني ، وقطعوا أذني كما ترون "

لما سمعوا كل ما قاله لهم قالوا " لقد رأينا آثار ذلك فى الطريق ، فمرضوه وقدم أحدهم قطعة من القماش ، وحملوه على ظهر الحمار وأوصلوه إلى إحدى المدن ، ومضوا فى سبيلهم ، وذات يوم لم يجد منزلاً ينام فيه فنام فى السوق وبطنه خاوية ، ولما طلع الصباح لم يجد ما

يفطر به ، فلم يجد بدا من التسول حيث يتصدق عليه كل من يراه ، ونام فى السوق أياماً طوال ، ذات يوم رآه أحد الناس فسأله عن المكان الذي جاء منه ، فقص عليه كل ما واجهه من أخطار ، فأشفق عليه واصطحبه إلى منزله ، حتى استراح واسترد صحته ، وبعد عدة أيام استراح فيها تماماً ، قدم إليه رب البيت بعض الزاد ، وتصافحا ، وواصل رحلته .

ينام فى السوق ويقبض عليه :

ومرت الأيام وهو يواصل الرحلة ، حتى وصل إلى مدينة تسمى ريمى عشاء ، فبحث عن مكان ينزل فيه ، ولكن كان يطرد حيث ذهب ، فلم يجد مكاناً ينام فيه ، فذهب إلى سوق المدينة ، فوجد كوخاً فدخله ونام فيه ، ونام على جنب واحد لم يتحرك إلا عندما سمع الناس يقولون " لص ! لص " وقصدوا إلى السوق ، ولغبائه الشديد خرج ووقف على باب الكوخ ، حيث لا يعرفه أحد ، فرآه الناس فقال " النجدة يا ناس !! ها هو اللص " وفي الحال التف حوله الناس وامسكوا به وانهالوا عليه ضرباً وهو يقول " انتظروا ، لست لصاً ! أنا غريب جئت اليوم ، بحثت فى كل المدينة عن مكان أنام فيه فلم أجد فعدت إلى السوق ونمت فيه ، وهاكم متاعي فى الكوخ " قال الناس " إنه كذاب ، لابد أنه هو اللص الذي يطاردونه الآن "

وقيده وحمله إلى منزل أمير المدينة ، ولما طلع النهار أخذ إلى منزل القاضي ، فسأله عن المدينة التى جاء منها فقال من مدينة جلما .

قالوا " لم نسمع أبدا عن مدينة بهذا الاسم ، إنه يكذب
وهو اللص "

حكم عليه القاضى بخمسين جلدة ، والحبس ثلاثة
أشهر .

صب عليه العذاب ألوانا ، وبعد انتهاء الأشهر الثلاثة ،
أطلق سراحه وطرده خارج المدينة ، واستمر فى رحلته ،
ولم ينته كل ما واجهه من صعاب عن مقصده ، ولم تزد
إلا تصميمًا ، وكانت فكرة الانتقام تشغل كل تفكيره ،
ودارت الأيام وطالت الرحلة حتى بلغ مدينة سنجا ، وكان
دائماً يقول فى نفسه " لن أعود إلى موطنى ، مهما كانت
الصعاب ، حتى أحصل على صمغ شجرة الكلجو ، بإذن
الله "

ولما تذكر المشاكل التى واجهته فى ريمى وهو قادم
إلى هذه المدينة قصد منزل الأمير مباشرة ، وقال أنه
غريب سيرحل ولكنه يريد منزلاً ، فسأله الأمير عن
المدينة التى جاء منها فقال له ، فأمر أن يؤخذ إلى مدخل
السوق ، حيث نزل فى منزل رجل طيب ثرى ، مكث فى
المنزل الذى أنزل فيه الأمير ، ولم يجد صعوبة فى
الحصول على الطعام .

و ذات يوم جلس يتحدث مع صاحب المنزل ، فقال له "
 لن أمكث طويلاً في هذا المكان ، إن ما جاء بي إلى هنا
 هو كذا وكذا ودلوني على غابة رققى إنني أجد مطلبي
 هناك "

يجمع الزاد :

قال الرجل " لابد أنه هناك ، حيث توجد غابة ، فيها كل شيء يبحث عنه الإنسان ، ولكن يجب أن تمكث هنا يومين لتستريح ، لأنك تعبت من السفر ، وبعد أن تستريح أزودك ببعض الزاد لتواصل الرحلة "

وافق أبو بكر على كلامه ، ومكث يعمل حمالاً ، مقابل قليل من المال يجمعه ليشتري به الزاد . "

وذات يوم قال لرب البيت ، أنه يريد الرحيل ، فأحضر زاداً كثيراً وقدمه إليه ، جمع أبو بكر متاعه ، واشترى العلة الصغيرة التي طلب منه الرجل العجوز أن يحصل عليها ، حيث يضع فيها صمغ الكلجو عندما يحصل عليه ، ثم واصل الرحيل ، ينام اليوم في مدينة وبعد أيام ينام في أخرى ، حتى وصل إلى مدينة نام فيها وأخبره أهلها أنه لا مدن بعد ذلك .

سأل عن غابة رققى ، ولكنه لم يجد رداً مؤكداً لأن كل من سأله يرد عليه قائلاً أنه لم يذهب إلى هناك أبداً ، ولكنهم لم يختلفوا على خطورة هذه الغابة ، فلم يسمعوا عن أحد ذهب إليها وعاد ، فمكث في المدينة لما سيواجهه من مشقات .

يصل إلى منزل صياد :

عندما استعد تماما قام وبدأ الرحلة ، حتى تجاوز الريف ، ومنذ أستأنف الرحلة أخذ يمر على القرى قرية قرية ، حتى أصبح لا يرى إلا المراعى ، وبعد أيام اختفت هى الأخرى عن النظر ، فلم يتوقف وواصل السير حتى وصل إلى منزل أحد الصيادين داخل الغابة الموحشة ، فخرج عليه وألقى عليه السلام فخرج صاحب المنزل وسأله عما جاء به إلى هذه المدينة ، فلما أخبره تملكته الدهشة ، وقال " لو سمعت نصيحتي ، عدت طالما أن فيك بقية من الحياة ، وإذا لم تأخذ بها ومضيت ، فإنك لن تعود ، لأن هذه ليست غابة صغيرة أننى لا أعرف مداها بالرغم من إقامتى بها ، فقد يمر ثلاثة أشهر لا أرى فيها مخلوقا واحدا "

قال أبو بكر " سمعا وطاعة ، ولكن طالما أننى قد عزمت على الوصول إلى مطلبى ، فلا شيء مما تقوله لى ممكن أن يثنينى عن عزمي ، هل اقطع هذه الرحلة الطويلة ، وأتحمل كل هذه الأخطار والمشقات ، ثم أعود صفر اليدين ؟ "

قال الصياد " كل الأخطار والمشقات التى واجهتها
تعتبر بسيطة لما ستلاقيه مستقبلا "

ثم بدأ يقص عليه ما يعرفه من أخباره هذه الغابة
المخيفة والسيئة وما يسكنها من جن ، فلما أدرك أن كل
ما قص عليه لم يخفه ، ولم تثته عن مقصده ، تركه وقال
" فى الغد سأصطحبك حتى هذا الجبل ، وهنا أدلك على
الطريق "

لما طلع النهار اصطحبه الصياد فى الطريق حتى
وصلا إلى المكان الذى حدثه عنه من قبل ، وصعدا
الجبل ، حيث نظر أبو بكر فلم ير شيئا على مدى بصره
إلا هذه الغابة الموحشة ، التى يخشاها الشجعان ، وهنا
قال الصياد هل ترى ذلك الجبل الذى لا تكاد العين تراه ،
ستذهب إليه ، فإذا وصلت إلى هناك وسرت مباشرة ،
اعتقد أنك بعد عدة أيام ستدخل الغابة التى ستجد فيها
مطلبك . "

شكره أبو بكر وتبادلا التحية وقالوا " نسأل الله اللقاء
مرة أخرى " وعاد الصياد وواصل أبو بكر الرحلة .

سار أبو بكر أياما طوال حتى وصل إلى الجبل ،
وواصل السير حتى ظن أنه وصل إلى المكان الذى يبحث
عنه ، فوجد كهفا فى باطن الجبل ، فوضع متاعه ، فلما

أقبل المغرب بدأ فى البحث ، ولم يعد حتى طلع النهار ، وهكذا ظل يبحث عدة أشهر ، حتى نفذ زاده ، فبدأ يأكل ثمار الأشجار وجزوع النباتات والحشرات ، ولم ير شيئاً خلال هذه الفترة ، حتى بدأ اليأس يسيطر عليه .

ظل يقضى الليالي فى البحث عما ينشده ، وفى النهار يبحث عن كهف فى باطن الجبل أو جزع شجرة فيدخله وينام فيه ، واستمر على هذا الحال حتى عجز عن عدد السنوات التى قضاها .

وذات يوم وهو على هذا الحال ، كان يتجول فى الغابة، فرأى شيئاً يتلألأ من بعيد كالشمس بين أغصان إحدى أشجار الكاجو ، فتملكه السرور وأخذ جسمه يهتز فرحاً ، وجرى مسرعاً ليلتقطه ، وأثناء الجرى اصطدمت رجله فى كتلة خشبية ضخمة ، فوقع على أسنانه فبرزت خارج فمه ، فلما قام لم ير شيئاً وأظلم المكان تماماً كما كان قبل ذلك ، فأخذ ينظر فى كل مكان حوله ، ويبحث حتى طلع النهار ، وبدأ يشعر بالألم الشديد فى أسنانه ، حتى فقدته لذة الحياة ، ومكث فى المكان ليلاً ونهاراً فلم ير شيئاً ، فحزن حزناً شديداً ، وترك المكان وأخذ يبحث فى مكان آخر ، حتى أضناه البحث ولم ير شيئاً .

و ذات يوم هبت عاصفة شديدة ، وهطلت السماء
بالأمطار ، ولكنه لم يعبأ بحرارة الشمس ولا غزارة
الأمطار مهما اشتدت ، وأخذ يتجول فى الغابة مواصلا
البحث ، وأثناء ذلك سمع صوت الرعد الشديد والبرق فى
وقت واحد ، حتى عجزت عيناه عن الرؤية ، ثم أعقب
ذلك ظلام دامس ، وتوقفت الحركة تماما ، وبعد قليل رفع
رأسه إلى أعلى فرأى من بعيد ضوءا شديدا ، فلم ينتظر
لحظة وجرى مسرعا وقصد مكانه ، فرأى شجرة الكلجو
الضخمة أمامه كاد يصطدم بها ، وبين أغصانها شيء
يلمع ، فتسلقها وهم بانتزاعه ، وفجأة هبطت صاعقة على
الشجرة فقسمتها نصفين ، فوقع على الأرض فاقد
الحركة ، ولم يشعر أبو بكر بمن ألقاه بعيدا حيث ظل راقدا
لا يشعر بما حدث له ، ولم يفق حتى طلع النهار ، فرأى
الشجرة قد احترقت ، ولا أثر لما رأى أثناء الليل ، فقام
يجر جسده الثقيل ، ومضت عدة أيام قبل أن يسترد
صحته ويستطيع مواصلة السير .

الرؤية الثالثة :

لم يمض وقت طويل حتى رأى هذا البرق للمرة الثالثة، فأخذ يتجول فى الغابة ، ثم عاد إلى مرقده ، وأوشك النهار على الطلوع ، وفجأة نظر أمامه فشهد الضوء كنور الفجر ، فظن أن النهار قد طلع ، وتلفت حوله فوجد مطلبه وقد فاق نوره هذه المرة المرات السابقة ، فنسى ما تكبده من نصب ، وجرى مسرعا خشية أن يختفى مرة أخرى قبل أن يصل إليه ، وما كاد يمد يده إليه ويلمسه حتى رأى شعبانا كبيرا أسودا قطر جسمه كفخذ الإنسان لا يرى نهاية له ، فتراجع للوراء ، ولما رفع الشعبان رأسه ونظر إليه ، رأى عينيه كجمرة النار ، ولسانه أحمر كالسنة الذهب ، فغطى أبو بكر وجهه بيديه وكاد يسلم نفسه للموت .

ماذا جاء بك ؟

ثم سمع صوتا كالرعد يقول له " أنت أيها الرجل ماذا جاء بك إلى هنا ؟ ألم تمنعك الأخطار التى واجهتها مرتين ؟ "

وفى خوف شديد قال " من أنت ؟ "

فرد عليه قائلا " أنا ملك الجن الذي امتلك كل صمغ الكلجو ، لا يوجد مخلوق يستطيع أن يأخذه من بين يدي ، إلا من أجده يستحق الحصول عليه ، كاد تطفلك اليوم يقضي عليك " .

قال أبو بكر " أطل الله حياتك ، والله لم أكن أعرف ، ليس التطفل هو الذي جاء بي " وحكى له كل الأسباب التي جاءت به .

فانفجر ضاحكا وقال له " أيها الشاب ، إننا لا نقصد لفعل الخير ولكن للشر دائما ، لولا أنك قادم إلى منذ البداية ، ما واجهتك كل هذه الصعاب ، كل ما تريده من شر ، أساعدك فيه ولا تطلب منى خيرا لأن الشر من طباعنا ، وكل من يسعى لفعله يكون من أصدقائنا "

وهنا أغمى عليه ، ولم يشعر بأى شىء ، ولما أفاق وفتح عينيه رأى النهار قد طلع ، وهو راقدا أسفل شجرة الكلجو تماما ، حيث وقع ، فنظر هنا وهناك ، فلم ير الثعبان ، فظن أنه كان فى حلم مخيف ، ثم نظر فوجد علبته الصغيرة ، حيث ألقاها عندما أغمى عليه ، فمد يده وأخذها ، فشعر بشىء يرتعش ، ففتحها فرأى ضوءا شديدا كأنه فى وضوح النهار ، فأسرع وأغلقها ، وحمد الله

ولفها في ثيابه ، وقام عائدا ، ولم يحاول أن يتفقد ما في
العلبة ، فقد أنساه الفرح والسرور كل شيء ، ثم أخذ
الطريق متجها حيث يعيش الناس ، واستمر في المسير
حتى خرج من الغابة ودخل الريف ، واستمر يطوى
الأرض سيرا حتى وصل إلى مدينة سنجنا .

يجد رفيق الطريق :

قضى أبو بكر عدة أيام فى مدينة سنجا حتى وجد رفيقا، فالتحق بإحدى القوافل ، وواصل السير حتى وصل إلى مدينة يالى ، فلما وصل لم يتوقف إلا فى منزل الرجل العجوز والد الساحر ، فلما رآه العجوز لم يعرفه ، فقال له أنه أبو بكر .

قال العجوز : " من أبو بكر ؟ "

قال " الذى جاء إليك من مدينة عش مستعدا "

قال العجوز " أنت كذاب ، لأنك علمت بأخبار ولد يسمى أبو بكر جاء فأكرمته ، جئت تدعى أنه أنت "

قال أبو بكر " والله أنا هو "

قال العجوز " أنا لا أصدق ، لأن أبو بكر الذى جاء إلى ، ولد جميل غير مشوه ، أما أنت فشكلك قبيح ، أسود ، ليس لك أسنان ، أشعث كقطاع الطرق . "

قال أبو بكر " أن ما جعل شكلي يتغير هكذا ، هو الجوع ، ومشقات الرحلة ، أترى أثر هذا الجرح الذى فى جسمي ، أنه خمسين جلده حكم على بها فى إحدى المدن ، وهذه الأذن التى تراها مقطوعة ، قطعها بعض قطاع الطرق ، والأسنان التى لا تراها اقتلعتها فى الغابة ، وإذا لم تكن تصدقنى حتى الآن ، فأليك دليلي " ثم قدم إليه العلبة الصغيرة .

فلما فتحها رأى الضوء الشديد يملأ الحجرة ، قال " صدقت ! لا شك أنك أبو بكر كيف حالك ؟ " .

ثم استطرد العجوز قائلاً : كل هذه الصعاب التى واجهتها لم تجعل قلبك يلين ، وتعفو عن عدوك ؟ "

الثأر :

قال " هل يواجه الإنسان كل هذه المشقات ثم يلين قلبه؟ كل هذه المشقات التي واجهتها سأثأر لها ممن دفعني إياها، علاوة على ما فعله قبل ذلك . "

استراح أبو بكر بعد مضي يومين ، وذات يوم قال للعجوز أنه يريد أن يعود إلى مدينته ، فأمدته العجوز بالزاد ، وبعث معه الشقيق الأصغر للساحر ليعرف مكان أخيه ، وتبادلا التحية ، واصطحبهما حتى وصلا إلى الطريق ، فواصل السير الطويل حتى وصلا إلى مدينة " عش مستعدا "

ولما وصل أبو بكر اتجه إلى منزل الساحر ، فلم يعرفه أحد من الخدم .

قال " جئت إلى رب البيت " فدخلوا واخبروا سيدهم أن ضيفا بالباب، ثم دخلوا بعد خروج سيدهم ، بعد أن تبادلوا التحية سألهم من أين جاءوا .

قال أبو بكر " يا سيدي هل نسيتني ؟ "

قال " نعم ، نسيتهك ، أخبرني من أنت "

قال " أنا أبو بكر ، من مدينة جلما الذي طلبت منه أن يذهب للبحث عن صمغ شجرة الكلجو "

قال لأبي بكر ! " والله لم أعرفك ، أرى شكاك تغير تماما ، لعلك كنت مريضا ؟ "

قال أبو بكر " يا سيدي ، لولا أن الله قد كتب لي الحياة، لمت ، كل ما في هذه الدنيا من مشاق واجهتها جميعا ، وأشكر الله الذي بلغني ما أريد ، إن الشيء الذي طلبته مني قد حصلت عليه ، هاهو الغلام الذي جاء معي شقيقك الأصغر ، أرسله معي والدك ليأتي لرؤيتك ، ويعرف أين تقيم "

فرح الساحر فرحا شديدا برؤية شقيقه الأصغر ، وأخبره أن والده مازال حيا ، وقال لأبي بكر " اذهب إلى حجرتك ، وغدا بعد أن تستريح نتحدث ، فقام أبو بكر ودخل حجرتة ، وقدم إليه الطعام فأكل ، وبدأ يستريح ، وتركه الساحر مع شقيقه الأصغر ، يسأل عن أخبار المدينة .

وعندما طلع النهار جاء أبو بكر وقال للساحر " ها أنا
قد حصلت على ما طلبته ، أريد أن تصنع لي ما أريد
لأعود إلى منزلي ، لأنني لم أراه منذ عشر سنوات تقريبا،
وأظن أنهم لا يعتقدون الآن أنني حي "

يعطيه الدواء السحري :

قال الساحر " وهو كذلك " وصنع له الدواء السحري وقدمه إليه " خذ هذا ، عندما تصل ، وتري الغلام اغسل يديك به ، ولا تمس شيئاً بهما غيره ، وعندما تراه حاول أن تقتلع شعرة من رأسه ، وضعها في هذا الدواء وأبحث عن قبر جديد وأحضره وضع الشعرة والدواء فيه ، تقضى كل حاجتك "

مد أبو بكر يده وأخذهما في فرح وسرور وشكره شكرا كثيرا ، ثم قال " ولكن هناك مشكلة كيف سأجد الفرصة لأمسح جسمه بالدواء ، وكيف أحصل على شعرة من رأسه ، ربما سيكون هذا أمرا عسيرا "

قال الساحر " ليس هذا أمرا عسيرا فمن يتحمل كل هذه المشقات ويستطيع الوصول إلى ما يريد ، هل يعجزه هذا الأمر ؟ ولكن خذ هذه التهمة لا تسمح لأى إنسان فى هذه الحياة أن يحرملك منها . " فكرر أبو بكر له الشكر .

لم يمكث هذا اليوم فى المدينة فقد قام واستأنف رحلته عائداً حتى وصل إلى بوابة مدينة جلما بعد أيام طوال ، لم يعرفه كل من التقى به حتى وصل إلى منزله .

لما وصل إلى المنزل لم يتوقف إلا فى داخله ، وكانت أمه تجلس عصراً خارج المنزل ، فرأت رجلاً يدخل عليها المنزل فقالت " من هذا الرجل الذى يقتحم المنزل دون أن يستأذن ؟ " فلم يقل أبو بكر شيئاً .

يُعود إلى منزله :

قالت " إذا لم تخرج سأستجد منك كاللص "

حينئذ قال " أمي "

ثم قامت مسرعة وعانقته وقالت أبو بكر ، من أين جئت ؟ "

قال " ها أنا ذا ، لقد شاء الله أن نلتقى مرة أخرى "

ثم انفجرت في البكاء ، فسمع الجيران ، فجاءوا مسرعين ، يقولون " ماذا حدث ، ماذا حدث ؟! "

قالت " ابني عاد " فامتأ البيت كله بالفرح والسرور .

قالت الأم " اشكرك يا ألهي ، لقد أرجعت لي ابني سالما " وفي الحال قامت وأحضرت له الطعام ، فأكل ، واستراح ، وذاع الخبر في كل مكان بأن أبو بكر قد عاد ، وكان أخوه الأصغر في السوق ، فلما سمع ذلك ترك

بضاعته ، وعاد إلى البيت مسرعا ، فلما وصل وجدته جالسا مع أمه ، قال " يا أمي ، أين أخى ؟ "

قالت " ألا تراه جالسا ؟ "

قال " أخى مرحبا بقدمك " فرد التحية .

حينئذ قال أخوه الصغير " والله لو تقابلت مع أخى فى الطريق قبل ذلك ، لمضى كل منا دون أن يعرف الآخر ، إلا إذا تكلم معى ، لأننى أرى شكله قد تغير تماما . "

وجلسوا يتحدثون ، وأخذ الناس يتوافدون عليه مهئين بسلامة الوصول .

وذات يوم وهم جالسين سأل أخاه الأصغر " ما أخبار زينب ؟ "

قال " لم يمض وقت طويل بعد رحيلك حتى انجبت زينب ابنها ، ولد جميل طيب ، محب للعمل ، يحترم كل إنسان فى المدينة ، هذا هو الطريق الذى يسلكه إلى المدرسة ، سادلك عليه ، لقد صار صبيا كبيرا .

وبينما هم جالسون ظهرا وإذ بهدية ، ينادى الأولاد ليذهبوا معه إلى سوق الجمعة ، فقال شقيقه الأصغر " ها هو هناك وسط الأولاد ، ذو الثوب الجميل . "

قال أبو بكر " حقا لقد كبر الولد ، أن من تتوفر له النعمة لا ينقصه النمو "

قال " ويحك يا أخى ، ألا تنتظر للسنوات الطوال التى قضيتها ! "

قال " صدقت "

ثم استطرد أبو بكر قائلا " والآن ألا ينام فى المنزل "

قال شقيقه الأصغر " ويحك هذا الولد أكبر من أن ينام فى المنزل ، لقد سمعت أن أباه قد بنى له طابقا كبيرا فى مسكنه الخاص ، وفرشه بأثاث رائع ، ينام فيه مع خدم أبيه . "

قال أبو بكر " وأى حجرة فى المنزل تنام أمه ؟ "

قال " سمعت من النساء أنه بنى لها منزلا كبيرا ذات حجرات ثلاث تقيم فيه "

يستعمل الدواء السحري :

وذات يوم بعد أن خلت الطرق من السالكين ليلا ، قام أبو بكر ، وغسل يديه بالدواء السحري الذى قدمه إليه الساحر ، وتوجه إلى منزل المعلم شيخو ، ودخل مسكنه الخاص ، ورأى الحجرة التى ينام فيها هدية ، فلما دخلها وجد الكل مستغرقا فى النوم ، فعزى جسد الغلام ومسحه بيده ، وأخذ المقص من سترته ، وقص شعر رأسه ، وخرج لسانه .

ودخل مكانا آخر فى المنزل ، وذهب إلى حجرة زينب فوجدتها مستغرقة فى نوم عميق ، فنادى عليها " زينب ! " فتلفتت وهى فى سكرة النوم ، وقالت " من ؟ "

قال " أنا أبو بكر ، الذى أذلتنيه على أعين الناس ، ألسنت تعرفين أنه بسببك هجرت المدينة ، وهمت على وجهى فى الدنيا ، وذقت كل العذاب ، ولكنى عدت لأقول لك ، لقد حان وقت الجزاء ، واسمعى ما سأقوله لك ، لتعلمى أنه كل من يذلنى لا يعيش سالما ، ابنك الذى ولدته ، سيصير فاسدا ، لقد طلبتموه بركة ولكنّه سيصير لكم لعنة ، وسيجلب لكم العار والهم ، حتى يكون يوما ما

سببا فى قتل أبيه " ثم التفت وعاد من حيث أتى ، وذهب إلى شأنه .

وفى الصباح استيقظت زينب ، تفكر فى نفسها ، وتقول " اليوم رأيت مناما مخيفا ، إنه صوت أبى بكر الذى سمعته فى المنام ، كأنه فى حجرتى يتكلم معى ، هذا الكلام أزعجنى ! " ثم قامت مذعورة ، وذهبت لترى ابنها ، فوصلت إلى حجرته الخاصة ، وأطلت لتراه مستغرقا فى النوم ، فعادت إلى حجرتها ، وقد هدأت نفسها قليلا " إنه مجرد منام فقط " واستقر هذا الأمر فى نفسها ، ولم تذكره لأى إنسان .

عندما خرج أبو بكر ، أعد الدواء السحري ، وخرج فى الليل إلى المقابر ، ووجد قبرا حديثا فحفره وألقى فيه الدواء ، وأهل عليه التراب ، وغطاه وعاد إلى المنزل واستسلم للنوم .

بدأ الولد ينحرف :

عندما طلع النهار ، استيقظ هدية ، وبعد أن غسل عينيه وصلى ، دخل لتحية أبيه وأمه ، فقدمت إليه طعام الإفطار ، وأخبرها أنه سيذهب إلى المدرسة ، وخرج إلى حجرة أبيه وأخذ شلنين وخرج لشأنه ، وبدلاً من أن يتوجه إلى المدرسة ، تخلف عن رفاقه وذهب إلى المدينة، وأنفق المال .

ولما دخل أبوه ، عد المال فوجد أنه ينقص شلنين ، فنادى ربة البيت وقال " من دخل هذه الحجرة ؟ "

قالت " منذ خروجك لم أر أحدا يدخل إلا هدية ، ماذا حدث ؟ "

قال " لا شيء "

وتعجب في نفسه ، وقال " إنني متأكد من أن ابني لا يسرق ، هذه حيلة النساء ، لأنهن يشعرن بحبي لهذا الولد. " لأنه يعرف أنهن يحققن عليه . " ولكن إذا كان هو ، سأسأله عندما يعود ، لأبذل أنه سيخبرني "

وانتظر وانتظر ، فلم يعد هدية ، فبعث أحد خدمه
ليذهب ليرى ماذا أصاب هدية حيث لم يعد إلى المنزل .

فأخبره معلمه أنه لم كان ينوى أن يذهب بنفسه إلى
منزله ليعرف ماذا أصابه لأنه لم يره اليوم فى المدرسة .

الأب يتعجب :

عندما عاد الخادم أخبره ، ازدادت دهشته لأنه لم ينقطع عن الذهاب إلى المدرسة من قبل ، ثم أرسل من يبحث عنه في كل مكان فلم يجده ، حتى عاد إلى المنزل عصرا .

فسأله أبوه " إلى أين ذهبت وتأخرت هكذا ؟ "

قال " ذهبت إلى المدرسة ، وانتظرت لأكتب الدرس ، ولم انته منه بسرعة "

سكت الأب وهو يشعر بالحزن ، لأنه يعرف أن الكذب لم يخرج من فم ابنه قبل الآن .

قال أبوه " هل رأيت مالا على الفروة ، عندما دخلت حجرتي في الصباح ؟ لأنني تركت بعض المال عليها فنقص شلنين ، لعلك تعرف من أخذهما ؟ "

قال هدية " وما شأني ، هل جعلتني عليها حارسا ؟ "

ثم ذهب المعلم شيخو إلى زينب ، وقال لها " ماذا أصاب هذا الولد اليوم ؟ لأننى لم أسمعته يتحدث إلى كما يتحدث الآن "

فأحسست بجسدها يتصبب عرقا ، وتذكرت المنام الذي رآته ، وقالت " ماذا قال لك ؟ " قال " سألته فقط ، هل رأى شيئا فقدته ، فقال لي قولا سخيفا وها هو أيضا يكذب على ويقول أنه ذهب إلى المدرسة مع أنه لم يذهب "

قالت " الأفضل أن تتركه ، وسأسأله أنا ، لابد أن هناك سببا "

ولما خرج الأب قامت ، وأعدت له طعاما شهيا وقالت " إذا دخل ليأكل أسأله ، لابد إنه سيخبرني بما يضايقه ، لأنه لا يخفى عنى شيئا "

وعندما أعدت الطعام ، بعثت من يناديه ليأكل ، فمكث مكانه ولم يعر أى اهتمام ، حتى برد الطعام ، فدخل وقال مخاطبا أمه " أين الطعام ؟ "

أحضرتة إليه ، فلما كشفه ، قال " هل أكل طعاما باردا هكذا ، كأنه طعام يقدم إلى الكلب ؟ " ثم رفسه بقدمه ، فانقلب الإناء ، وقام وخرج .

فقال " انتظر أريد أن أتحدث معك ، ماذا أصابك ؟ "

قال " لقد شبعنا من الأسئلة " وخرج لشأنه ، وتركها
تبكي حزنا وهما ، ولم ينام في البيت في هذا اليوم ، وذهب
إلى حانات اللهو والطرب حيث قضى الليل .

يسرق كالفار :

ودارت الأيام ولم يزد حال الولد إلا ضللا فقد كثرت مشاجراته مع الأولاد في المدينة ، وكثرت الشكاوى منه ، ورفض الذهاب إلى المدرسة وأخذ يتسكع في الشوارع ، ولا ينام في المنزل ، وإذا دخل المنزل سرق كل ما يراه من مال أبيه وأمه ، وعاداه كل إنسان في المدينة ، وأخذ الناس يتساءلون في دهشة " ماذا حدث ؟ لولد طيب كهذا ، لم يحدث أن حيا إنسانا واقفا ، ولم يسمع أنه تشاجر مع أحد ، يضل الآن ويسرق كما يسرق الفار "

أصبح المعلم شيخو وأم الولد لا ينعمان بالراحة أو السعادة ، وكلما جلست مع ضراتها أخذن يعيرنها قائلات " اذهبي هناك ، عندما تحملين تلدين ابنا ، يصير لصا كالفار " فلم تجد أمامها حلا إلا البكاء المتواصل ، وتضرب الأبن ، والأب يضربه ، والأسفاه ! جفت الأقلام وطويت الصحف .

وأخذت زينب تفكر كثيرا فيما سمعت وهي في سكرة النوم ، وقالت أحقا هذا ، حسبنا الله فمن عمل هذا العمل ،

ولكن أغلب ظن أهل المدينة أن ضراتها هن اللاتي فعلن هذا بالولد ، لشدة غيرتهن منه .

وذات يوم نادى المعلم شيخو أم الولد ، وقال لها " ناديتك لأنى أريد أن استشيرك فى أمر هذا الولد الذى حيرني ، ها أنذا بعد أن كنت فى مركز كبار رجال هذه المدينة صرت كالفار ، لما سببه هذا الولد لى من خجل ، وها هو يرفض الذهاب إلى المدرسة ، ويتسكع فى المدينة دون جدوى ، وأحيانا تمضى سبعة أيام دون أن يقع بصري عليه ، حتى أبعث إليه من يستدعيه ، وإذا استمر على هذا الحال ، فلا أعلم ما سيجلبه لى مستقبلا من العار ، فما رأيك ؟ "

قالت " يا سيدي أي أمر تراه المرأة ؟ إن هذا الأمر أخطر من أن أتكلم فيه ، ماذا سأقول ؟ ولكن اصبر ، سنجتاز هذه المرحلة بقسرة الله .

قال " لن نستطيع الحياة معه على هذا الحال ، سأبعث به إلى معلمه ليقيده بالسلاسل ، ويمنعه من الخروج حتى يحفظ القرآن " فانفجرت باكية .

وبينما يستعد لبيع من يستدعى المعلم سمبو عندما يطلع النهار فإذا بهدية يهرب من المنزل فى الصباح الباكر ، ويخرج يتسكع كعادته ، ولما شعر أنه إذا بقي فى

المدينة سيبحث والده من يستدعيه ، تذكر أنه يوجد سوق على بعد خمسة أميال من مدينة جلما ، حيث يجتمع فيه كثير من المتسوقين ، فقصده وهو يعلم أن أحد خدم أبيه في هذا السوق يبيع بعض السلع .

عندما ذهب قال لخدام أبيه ، إن المدرسة قد تعطلت الآن لأن العيد قد اقترب ، فطلب من والده أن يأتي إليه في السوق ، قال الخادم " يا هدية لعلك تكذب فلم يسبق لك الحضور إلى هنا ، أو لعلك هربت من المدرسة؟"

لم أهرب :

قال " والله لم أهرب ، وإذا كنت تظننني أكذب ، ابعث من يسأله "

قال " لا بأس ، أجلس "

وكان الحانوت مملوء بالعملاء الذين جاءوا لشراء حاجيات العيد ، وكان من بين هؤلاء من يحمل ماله في حقيبته ، فوضعها في متاعه الذي اشتراه وربطه . وكان هدية يراه عندما ترك المتاع وأخرج المال ودفع ثمن الخمار الذي اشتراه . وأرجعه مكانه . وبعد قليل قام العميل وذهب ليتبول . ثم أخذ متاعه الذي اشتراه ليربطه مع المال ثم يذهب إلى شأنه . بعد أن انتهى من التبول ، رأى ثوبا فوقف يساوم في ثمنه وكان هدية قد غافل عيون الناس وغادر الحانوت ، وسرق المال وذهب لشأنه ، ولم يستأذن أحدا ، وبعد أن انتهى العميل من شراء الثوب تبعه التاجر إلى الحانوت ليقبض الثمن ، فلما عاد ورفع طرف متاعه ليأخذ المال ، لم يجد شيئا .

وفى الحال أخذ يستغيث ، وهب واقفا فى الحانوت
فوقف الجميع وأخذوا يبحثون فى متاعه فلم يجدوا شيئا ،
فبحثوا عن هدية فلم يجدوه وذهب الجميع بضوضائهم إلى
القاضي ، وذكروا أمامه الوقائع ، فأمر بالعودة إلى
الhanout والبحث فيه مرة أخرى ، فلم يعثروا على المال
حينئذ أحد الذين كانوا يجلسون فى الحانوت " غفر الله لك
يا سيدي ، لقد جاء ولد إلى الحانوت ، وعند رؤيتي له لم
أطمئن إليه ، ولما خرج سرق هذا المال الذى نبحث عنه
ولم نجده "

القاضي يعرفه :

سأل القاضي صاحب الحانوت " أى ولد "

قال " مغفرة يا سيدى ، هدية بن سيدى المعلم شيخو ؟ "

قال القاضي " هذا الولد لص ! لا شك هو الذي سرق المال . " وأمر بالبحث عنه فلم يجدوه إلا بعد مشقة .

ولما أحضر أمام القاضي سأله " أنت دخلت ذلك الحانوت اليوم ؟ "

قال " لم أدخل حانوته ، لقد جئت إلى السوق الآن فقط "

قال القاضي " قل لي الحقيقة ، لم أطلبك إلى أى أمر " وبعد مماطلة وإنكار اعترف بأنه دخل .

قال القاضي " قل لي الحقيقة ، عندما دخلت الحانو ، لم تر هذا الرجل هناك ومعه المال ؟ "

قال " غفر الله لك يا سيدي ، لم ألاحظه ، الذي يذهب
لشراء أى شىء هل ينتبه إلى مال الناس ؟ "

قال القاضي " هل رأيته عندما قمت من الحانوت ؟ "

قال " رأيته "

" لماذا خرجت أنت أيضا من الحانوت عندما خرج ،
ولم تستأذن من أى إنسان ؟ " فسكت

قال القاضي " أين المال الذي سرقتَه منه ؟ إذا قلت لي
الحقيقة سأخفف عنك الحكم ، ولن أسجنك "

حينئذ قال هدية " لقد أخذت المال "

سأل القاضي العميل " كم ماله ؟ "

قال " ثلاثة جنيهات وثلاث شلنات "

قال القاضي " هل سمعت يا هدية ؟ "

قال " هو كذلك "

" أين هي "

" صرفت ثلاثين شلنا وبقي جنيهان "

" أعطنى الجنيهين "

" حفرت حفرة ودفنتهما هنالك "

بعث القاضي معه أحد الخدم فذهبا معا ، وحفر
وأحضرهما

وأمر القاضي باستدعاء أبيه بسرعة ، وفى الحال
ذهبوا واستدعوا المعلم شيخو .

ولما حضر ذكر له القاضي جميع الوقائع ، وقال " ها
هو ابنك ، لم يبلغ السن الشرعى لسجنه ، فعليك أن ترد
المال وتذهب بابنك وترى ماذا ستفعل معه ، فعندما يبلغ
السن الشرعى سيسجن إذا فعل ذلك مرة أخرى."

أخرج المعلم شيخو المال ، ودفعه ، وشكر القاضي ،
وخرج بهدية .

يقيّد الولد :

عندما عاد إلى المنزل كان العصر قد حان ، وكادت الشمس تغرب ، فدخل بهدية المنزل وقيده ، وفي هذه الليلة منع عنه كل شيء حتى الطعام .

وفي الصباح أمر خادمه بالذهاب إلى المعلم سمبو واستدعاه ، فلما جاء دخل المنزل ، وساق هدية أمامه وأحضره لدى معلمه ، وقال له " ها هو ، لقد أعيتني معه الحيل ، فإذا تركته عندي ، ربما قتلتّه يوماً ما من شدة الغضب اذهب به ، وقيده بالسلاسل ، ولا تفك قيده حتى يحفظ القرآن، بل لا تتركه حتى لو حفظ ، إلا إذا رأيت حاله قد تغير ، ولا تخفف عنه شيئاً كل ما يفعله الأولاد مرة به، بغض النظر عن كونه ابني "

قال المعلم " أمر عجيب ، ولد لم تكن العيون تحب أن ترى غيره ، محب للقراءة يحترم الجميع ، يفسد في ساعة واحدة ، نسأل الله العون " وذهب بهدية ليقيده .

وأخذ يضايق كل التلاميذ والمعلمين أثناء وجوده في المدرسة " ولا يكادون يضعون شيئاً من متاعهم إلا ويبادر

بسرقة ، واستمر على ذلك مدة عام ، حتى كاد أن يحفظ القرآن ، وذات يوم طلب المعلم سمبو أن يذهبوا ويقطعوا العشب من الغابة ، ولما ذهبوا أخذ كل منهم يقطع ما أمر به ، إلا هدية استطاع أن يبتعد عن باقي الأولاد ، وأخذ منجله وبعض الحجارة وظل يضرب بها القيد حتى انفتح ، فسوى مساحة من الأرض وكتب عليها بيده يقول " يا سيدي هاك حديدتك ، ولتبحث عن تقيده بها غيري " وأخذ القيد والمنجل ووضعهما على الأرض وولى هاربا .

انتهى الأولاد من جمع العشب ، وربط كل منهم ما قطعه ، وبحثوا عن هدية فلم يجدوه حتى عثر أحد الأولاد على القيد والمنجل فأخذهما وقرأ ما كتب ، فأعادهما إلى مكانهما ونادى الأولاد ليروا ، فلما عادوا أخبروا المعلم سمبو .

الولد يهرب مرة أخرى :

وفى الحال ذهب إلى المعلم شيخو وقال له وهو آسف " جئت لأخبرك أنني بعثت الولد ليجمع العشيب مع رفاقه ، فهرب "

قال المعلم شيخو " صه ، فقد وقع ما كنت أخشاه ، لقد فارقتى الولد الآن ، وأنى على يقين أن الله لن يجمعني به مرة أخرى إلا على الحزن والعار ، فما العمل ؟ "

أما هدية فقد هام على وجهه كشانه ، وبحث عنه أبوه كثيراً ، فلم يسمع عنه خبراً واحداً ، فلم يجد بداً من الصبر ، وأخذ يحدث نفسه قائلاً " لا شك أن الأخبار ستأتيني فى أى وقت بأنه ارتكب جريمة فى مكان ما ، إلا إذا توفاه الله "

أخذ هدية يتسكع فى البلاد حتى شاء الله أن يصل إلى مدينة كبيرة مثل جلما ، بينهما وبين قطار السكة الحديد مسافة ليست بعيدة ، وعندما وصل إلى هذه المدينة ، بحث عن قرعة صغيرة ، ليتلقى فيها المال الذي يجمعه من التسول إذا أقبل المساء ، أو يعمل خادماً لأجد التجار

وكان أحيانا لا يرد المال لصاحبه فينهال عليه ضربا
ويطرده .

وذات يوم ذهب إلى موظف يعمل فى حانوت تجارى،
وأبدى له رغبته فى أن يعيش معه ليحضر إلى زوجته
الماء ، ويخدم فى المنزل ، فلما شعر الرجل أنه ولد
ذكى، وحسن المنظر ، قال له ساستشير زوجتى، إذا
رضيت فساخذك .

وأخذ يمر عليه كل يوم ، وذات يوم قال له الكاتب "
اذهب إلى بيتي وامكث فيه . " سأله الكاتب " أين
مدينتكم؟"

قال " مدينتنا بعيدة ، لا أعرفها ، لأن والدى مات منذ
كنت طفلا صغيرا ، فتركت لجدتى ترعانى ، فماتت هى
الأخرى فى مدينة ما ، هو ما جعلنى أطوف فى البلاد . "

ومكث فى منزل الكاتب ، وقد وضعت فيه الزوجة
وزوجها ثقتهما ، حتى أخذ يدخل الحانوت فى أى وقت
يشاء . إذا ذهب الرجل إلى منزله لتناول الطعام تركه
يحرس له الحانوت . وتخلّى هدية عن طبعه السيء ،
ولكن ذلك كان تخطيطا ماهرا خبيث .

يعد لارتكاب جريمة :

وذات يوم قال للكاتب " سمعت أن البطاطين والملابس الأوربية تربح كثيرا في مدينة سامبو ، وأرى أن تزودنى بسلع لأذهب إلى هناك ، وربما حصلت على ربح أكثر ، وإذا بعث السلعة أشتري بعض الفول السوداني "

قال الكاتب " حسنا ، عندما يأتى القطار غدا سأعد لك بعض السلع لتذهب بها ، وسأعطيك بعض المال " ففرح كثيرا .

وفي المساء أعد له بعض السلع بمبلغ عشرين جنيها ، وفي الصباح أحضر عشر جنيهاات وقدمها إليه ، وطلب منه أن يشتري بها بعض الفول السوداني قبل أن يبيع السلعة . ووضع له البضاعة فى القطار .

وما كاد هدية يخرج بهذا المال حتى بدده مع ما بدد من ثمن السلعة ، ولم يشتر شيئا ، ومضت الأيام ولم يسمع عنه الكاتب خيرا واحدا ، فبعث إليه أحد خدمه ليذهب إليه ليعرف ماذا أصابه . وكشأن الناس فى هذه الحياة ، لا يعدم الثرى من يلتفون حوله ، فأسرع أحد

الأولاد وسبق خادم الكاتب وأخبر هدية بأن الكاتب قد بعث خدمه ليبحثوا عنه ، فلما علم بذلك جمع ما تبقى لديه من بضاعة وأخفاها ، ثم أشعل النار في الحجرة التي يقيم فيها ، ثم عاد وجلس حائرا .

ولما جاء خادم الكاتب ووجد أن هدية لا يملك شيئا حتى الثياب فيما عدا خرقة بالية ، سأله أين البضاعة ؟ "

قال " البضاعة أتت عليها النيران ، وسرق منى المال " .

لم يقل له خادم الكاتب شيئا ، ثم عاد وأخبر سيده ، وفي الحال بعث من يتجسس عليه ، فعلم أنه بدد المال ، وهو الذي أشعل النار في الحجرة بيديه .

وعنما عاد الخادم مرة ثانية طلب من سيده أن يشكو هدية إلى الأمير ، فبعث بمن جاء به مسرعا ، واستمع الأمير إلى كل الوقائع ، واستدعى هدية وتأكد من سوء سلوكه ، وسأله عن مدينتهم ، فقال أنه من جلما ابن المعلم شيخو من جلما

قال الأمير " لعنك الله ، لقد صرت ولدا فاسدا ، طالما سمعت أخبارك " وفي الحال كتب رسالة وبعثها إلى جلما ليخبر أباه أن ابنه قد قبض عليه مذنباً .

استدعى أبوه :

عندما وصلت الرسالة إلى المعلم شيخو قرأها ، فوقع في المنزل من شدة الحزن والغضب ، وقال " لقد عرفت أنني لن ألقى هذا الولد مرة أخرى إلا لأمر محزن "

وفي أحد الأيام استعد وأخذ بعض المال ليدفعه كتعويض ، وبعض الثياب والمال ليستميله ليعود معه إلى المنزل ، وبعد عدة أيام وصل إلى المدينة التي حبس فيها ، فأمر الأمير باستضافته ، وعندما طلع النهار جاءوا بهدية من السجن ، وذهب المعلم شيخو وذكر الوقائع أمامه ، فقال الأمير " كم عمر ابنك يا معلم شيخو ؟ "

قال " أطل الله عمر الأمير ، عمره اليوم أربعة عشر عاما وثلاثة أشهر "

قال الأمير " لم يبلغ الرشد ، طبقا للشريعة الإسلامية ، والقانون لا يعاقبه بالحبس ، ولكنك أنت الضامن له ، فعليك أن ترد المال الذي سلبه من الكاتب ، وبعد أن تدفعه ، سنعطيك ابنك ، لتذهب به إلى منزلك لترعاه ، وإذا لم تستطع رعايته ، لن تنهى مشاكلك معه . " فدفع

المعلم شيخو المال ، وشكر الأمير ، واستلم هدية وعاد إلى منزلهما .

قضى المعلم شيخو الليل يسترضيه ليتخلى عن طباعه، ولم يترك شيئا إلا ووعد أن يقدمه إليه ، إذا عاد إلى المدينة وغير سلوكه ، وفي هذه الليلة اشترى له قميصا يصنعه النوبيون وسرولا مزركشا وعمامة وقدمها إليه فوعده هدية بأن يكون ولدا طيبا إذا عاد إلى المدينة ولن ينحرف مرة أخرى .

ولما طلع النهار ذهب المعلم شيخو إلى الأمير واستأذنه في الرحيل ، وبدأ رحلة العودة هو وخدمته وابنه. ومرت الأيام ولم تبق إلا استراحة واحدة في الطريق يصلون بعدها إلى مدينة جلما ، فلما أقبل الليل ، وخلي الطريق من السالكين ، بعد أن نام الجميع ، دخل هدية الحجرة التي ينام فيها أبوه ، وأخذ ماله وثيابه وولى هاربا .

الولد يهرب مرة أخرى :

ولما طلع النهار لم يجد المعلم شيخو هدية ، فبحث عن الثياب والمال فلم يجد لها أثرا ، ونادى خادمه وقال له " لقد سرقت ، أين الولد؟"

قال " عندما فارقتة ليلا قال لي أنه سيذهب ليتجول في المدينة ، وذهبنا معا ، ولكنى عدت قبله . "

قال المعلم لا حول ولا قوة إلا بالله ، وسلم أمره إلى الله ولم يجد ما يقوله للناس ، فبحث عن الولد في كل مكان في المدينة فلم يعثر له على أثر ، فركب وعاد إلى المدينة حزينا حائرا وقد أعيته الحيل . وبعث بخدمه في كل البلاد ليجثوا عن هدية ، فعادوا إليه بعد عدة أشهر ولم يسمعوا عنه خبرا .

لقد هرب هدية ولم يتوقف إلا في مدينة كانوا ، وباع ما سرق من أبيه بثمان بخس ، السروالين اللذين قدمهما إليه أبوه ، وأخذ يبدد المال ويحيا حياة المفسدين ، وأخذ يسرق كل ما يقع تحت يديه .

و ذات يوم منعت الحكومة التجول ليلا ، فخرج بعد أن نام الناس ، ودخلا منزلا ، فراه الحراس ، فتغافلوا عنه ، ثم ذهبوا واستجدوا برجلين وجاء الخمسة واختبأ كل منهم في أحد أركان المنزل ، ودخل أحدهم المنزل وأيقظ الخادم وقال له " رأينا الآن لصا يدخل هذا المنزل ، أدخل وأيقظ سيدك . "

فدخل الخادم وأحاطوا بهدية وأمسكوا بما سرق من الأقمشة وثياب النساء ، وقيده بالثياب التي سرقها ، وأمسكه الخادم وأخذ يصيح " لص لص " فألقى هدية ما استطاع من مسروقات ولكن الحراس سرعان ما دخلوا وقبضوا عليه ، وذهبوا به إلى رئيس الحراس ليلا حيث قضى الليل .

وفي الصباح قادوه إلى منزل القاضى ، فحكم عليه بالسجن سنتين .

شخص يأتي بأخبار الولد :

ومرت الأيام وذات يوم جاء رجل من كانوا بسلعة ونزل في منزل المعلم شيخو ، وأثناء الحديث قال " لقد كثر اللصوص في مدينة كانوا ، منذ أكثر من ستة أشهر قبض على ولد شكله كذا وكذا ، دخل منزلا وسرق متاع النساء ، فحكم عليه بسنتين "

عندما سمع المعلم الوصف الذي ذكره الكنوى ، حدث نفسه قائلا " لابد أن هذا الولد هو ابني " ثم نادى من يثق فيه من خدمه ، وقال له " أنت ترى الآن ما بيني وبين أهل المدينة ، لا أرى منهم إلا الأكاذيب ، لقد صرت سخرية لدى الجميع بسبب هذا الولد ، أريد أن تذهب لمدينة كانوا ، سأعطيك بعض السلع لتبيعها ، اذهب وعش هناك ، وأسأل سرا عن الولد ، وانتبه جيدا ، لعل الله يهديك إليه في السجن ، وإذا رأيته ابعت لي برسالة . "

قال الخادم " وهو كذلك ، أسأل الله أن أراه " وزوده المعلم شيخو بالبضائع واشترى له ثلاثين جوالا من الأيام وجهزها للنقل بالقطار ، وذهب الخادم وعاش في المدينة

يبيع البضاعة ، ويتسمع الأخبار ، وباع اليام وبعث إليه بأنه لم يعثر عليه حتى الآن ، وطلب منه مزيدا من اليام ، فبعث له بخمسين جوالا أخرى ، وذات يوم خرج ليتسلم اليام من محطة القطار فقابل هدية مع المساجين الذين خرجوا للعمل .

عندما رآه هدية شاح بوجهه ، فأخذ الخادم يتحدث مع السائق بعد أن بادلته التحية ، وقال له " أنه رأى ابن سيده المقيم في مدينة جلما ، ضمن هؤلاء المساجين ، وقد فر من منزل أبيه منذ عدة سنوات ، فنادى السائق هدية وقال له " ها خادم أبيك " فجاء وتبادلا التحية وسأله عن أمه وأخبار المنزل ؟

قال له الخادم " كم شهرا بقي لك ؟ "

قال " بقي ستة أشهر " والواقع أنه سيخرج بعد شهر واحد فقط وأخرج الخادم بعض المال وقدمه إلى كل من السائق وهدية وذهب المسجونون إلى مكان عملهم ، وذهب الخادم إلى المحطة ليتسلم اليام .

وكلما أراد الخادم أن يرى هدية ، جاء ووقف في الطريق ، فيحيه إذا التقى به في الطريق ، ثم كتب رسالة وبعثها إلى المعلم شيخو بأنه رأى هدية وجهها لوجه ، وتحدث معه ، وبقي له ستة أشهر ثم يفرج عنه ، ولم يعرف الخادم أن هدية غادر السجن ، وذات يوم ذهب

وجلس فى المكان الذى تعود أن يراه فيه ، فلما رأى السائق قال له " أين هدية اليوم؟ هل غير فرقته اليوم؟ "

قال السائق " لقد أفرج عنه أمس ، لقد ظننت أنه بحث عنك وذهب إليك .

قال والله لم أراه

وفى الحال عاد إلى منزله ، وأعد متاعه ليعود إلى مدينة جلما ، وقال لسيدة كيف اختفى أثر هدية ، وكيف علم أنه أفرج عنه وأن أحدا لم يعرف وجهته "

يتبع الولد الطويل :

عندما خرج هدية من السجن ، التقى بلص اسمه الولد الطويل ، قال أنه سيركب القطار إلى مدينة ليجوس ، لأنه يقيم هناك ، فطلب منه هدية أن يقوده ليذهبا معا إلى هناك ، لأنه لم يذهب إلى هناك أبدا ، ولا يعرف عنها إلا ما يسمع من الأخبار ، عاشا معا فى مدينة ليجوس ، إذا ما شاء الله وسرقا معا ، كل ما يسرقه يعطيه لهدية ليبيعه فى السوق ، ويأته بثمانه وعلى هذا عاشا معا ، حتى صار هدية لصا خطيرا ، وصار الناس يلجأون إليه لاسترداد مسروقاتهم ، وبذلك جمع مالا كثيرا ، وصارا لصان مشهوران فى مدينة ليجوس والمدن المجاورة .

وذات يوم سرقا من أنكرا سرقة كبيرة وهربا فبحثوا عنهما فلم يجدوا لهما أثرا فقد قصدا المرتفعات واختفيا بها وظلا يبددان ما سرقوا بحثوا عنهما فى كل مكان فلم يسمعوا خبرا عنهما ، فلم يكمننا فى أية مدينة فى المرتفعات ولكنهما قصدا الغابات الموحشة ومكثا فيها ، ولم يغادراها إلا إذا نزلوا إلى المدينة للسرقة ، ثم يعودان مسرعين ، وبذلك لم يستطع أحد الوصول إليهما .

والده وأمه يتشاوران :

ضايق أمر الولد المعلم شيخو ، وعجز عما يفعله حتى يرتاح قلبه وضميره بعد أن ظل يعيش فى حزن وألم وترقب لما تأتى به الأيام من أخبار مؤسفة بسبب ابنه ، فقد أصبح لا يستطيع أن يواجه أهل المدينة من شدة الخجل ، إذا رأى بعض سكان المدينة مجتمعين ظن أنهم لا يتحدثون إلا عن ابنه ، وإذا خرج إلى مكان ما ووجد جمعا من الأولاد ، ظن أنهم يسخرون منه ويقولون " ها أبو اللص قادم " وإذا التقى بمن يعرف أخبار ابنه فى الطريق شاح بوجهه حتى لا يقع عليه بصره ، حتى أصبح لا يخرج من منزله خجلا ، فجلس فى بيته فريسة للأفكار والظنون .

أما زينب فقد مكثت فى منزلها فى هم وقلق ، لأنها إذا اجتمعت مع ضراتها ودار بينهن أى حديث سواء كان حادا أو غير حاد ، أخذن يسخرن منها قائلات " ما أسوء هذا الزوج ، يذهب الرجل فيتزوج من تتجب له ابنا أمهر من الفار فى السرقة " . فتتفجر فى البكاء ، حتى حرمت من متعة الحياة ، وذبل جسمها ، وفى أحد الأيام ذهبت إلى زوجها وقالت له " لقد رفضت كثيرا الزواج

منك ولكنك أرغمتني ، وهذا ما جلب لي هذا الزواج ،
والله لو كنت أعلم قبل أن أتزوجك ما سيصير من أمرى
ما قبلته لو كان مزاحا ، وكان الأفضل منه أن ألقى
بنفسي فى البحر أو أموت ، ماذا يسرنى فى هذه الحياة ؟
والله بيني وبينك فيما بقى من حياتي "

لقد ملأ هذا الكلام قلب المعلم شيخو حزنا وغضبا ،
حتى أصبح كل أمله أن يهجر مدينته ومنزله وكل ما
يملك ، ويذهب إلى أية مدينة لا يعرفه أحد فيها ، ويعيش
فيها هاديء النفس .

وذات يوم استدعى زينب وانفرد بها وقال لها " السبب
الذي ناديتك من أجله ، هو الكلام الذي سمعته منك وملا
قلبي حزنا وهما ، هل تظنين أن ما يقوله الناس عنا لا
يضايقني ؟ سأخبرك أنني فكرت فى نفسي فى أن أهجر
المدينة ، وأترك كل شيء ، وأذهب لأعيش فى مدينة
أخرى فى سلام ، حيث لا يعرفنى أحد ، هل تأتين معي ؟"
قالت " لن أترك والدى ، لأذهب إلى مكان لا أعرفه
وأعيش فيه ، إذا كنت ستذهب فإذهب وإلى أن نلتقى . "

قال " هل الحياة فى هذه المدينة تسعدك حتى لا تريدين
هجرها ؟ ألا تعرفين أنني إذا هاجرت من المدينة ،
فستتصب على رأسك وحدك كل السنة الناس ، حتى

يسمونك بأم الولد الفاسد ، ومن أجلك هجر زوجك ماله
ومنزله ؟ "

قالت " كل ما يريدون قوله فأنت أنت السيب "

واتبع كل السبل لاقتناعها ، وبصعوبة استطاع التغلب
عليها ، ولكنه اتفق معها أنه سيخبر الناس أنه سيتوجه إلى
حج بيت الله الحرام ، حتى لا يعرفوا مقصده .

يهجران المدينة :

و ذات يوم جمع كل زوجاته وقال لهن " لقد نويت الذهاب لأداء فريضة الحج ، ولكن سأذهب مع زينب فقط. وعليكن أن تصبرن ، حتى يجمعنا الله مرة أخرى .

وأحضر مالا كثيرا وطعاما وتركه لهم ، واستدعى كبير خدمه وولاه كل شئون المنزل واستأذن من الأمير ، ولم يذهب مع أحد من خدمه ، وأحضر زاده ووضعته على ظهر الحمار ، وأحضر جملا وركبته زينب ، وخرج واصطحبه أهل المدينة مودعين ، وهم فى دهشة من هذه الرحلة التى يقوم بها .

وواصل السير ومرت الأيام ، وبعد شهرين تقريبا ، عندما أدرك أنه بعد تماما عن المنطقة التى عرف فيها ، نزل فى مدينة كبيرة تسمى جروجى وهى مدينة بها سوق كبير . فذهب إلى منزل الأمير وأخبره أنه ضيف ، يريد أن يهبه الأمير مكانا يعيش فيه ، لأنه يرى المدينة منطقة تجارية .

فرح الأمير فرحا شديدا وسأله " ما اسمك ؟ "

قال " المعلم عثمان "

" من أى مدينة جئت "

فاختار مدينة لم يسبق للأمير سماعه من قبل وذكره .

أعد له الأمير منزلا وأنزله فيه ، واستأنف حرفة التجارة ، حتى جمع بعض المال ، فأصلح منزله جيدا ، ونمت ثروة المعلم عثمان شيئا فشيئا ، وصارت تشد إليه الرحال ويمتلأ منزله بالخدم .

ينتقلان إلى مكان جديد :

و ذات يوم كان هدية ورفيقه يتجولان ، فأنتهى بهم المطاف في قرية بالقرب من مدينة جروجي فنزلا فيها ، وذات يوم خرجا يتجولان في المدينة ، فالتقى برجل ، وأخذا يتحدثان معه ، قائلين " هذه المدينة بها الكثير من الأثرياء ، ليست كمدينتنا "

قال " فعلا هذه المدينة ، الحمد لله يعمها الرخاء "

قالوا له " لقد مررنا على بوابة ذلك المنزل ، ورأينا منزلا ذا حائط مرتفع ، وتحيط به الأشجار ، كأنه منزل السلطان ، هل هو منزل الحاكم؟ "

قال " من أي ناحية ؟ " فأشارا إليه

قال " لا ، ليس منزل الحاكم ، منزل رجل ثري غريب ، اسمه المعلم عثمان ، نزل هذه المدينة منذ عدة سنوات قليلة ، والآن تشد إليه الرحال "

قالوا " لماذا حصن منزله هكذا ، وأحاطه بهذا السور
من الأخشاب لا ترى هذا السور فى مدينتنا حول منزل
الأمير ، هل يخشى اللصوص؟ "

قال " نعم ، إنكم تعلمون أنه رجل ثرى ، لقد سمعت
أن من يتحدث عن اللصوص ، أمامه من خدمه أو
زواره ، لا يرحب بهم بعد ذلك "

قالوا " ربما سرق مرة ، سنذهب لنشتري بعض
الأشياء "

وسارا فى طريقهما ، ولما حول منزل المعلم عثمان ،
وأخذا يحومان حوله ، ويتفقدانه جيدا ، وعندما انتهيا سلكا
طريقهما وعادا إلى الغابة وكل منهما يقول للآخر " إذا
وفقنا الله سنجمع ما فى هذا المنزل من ثروة ، إذا كان
يتهرب من اللصوص بتحسين منزله هكذا ، فسيعرف
كيف يقهرونه " .

وعندما أقبل الليل وخلت الطرق من السالكين قصدا
هذا المنزل الذى طافا حوله نهارا ، وأخذا يسترقان
الخطى ويتواريان فى ظل الحائط فلما اقتربا منه طافا
حوله يبحثان عن مدخل لهما ، ولمسا البوابة فسمعا لها
صوتا مرتفعا ، فقالا لنتجول فى المكان لعلنا نجد سلما
خشبيا ، فسارا فى الطريق حتى رأيا رأس سلم من بعيد

فى منزل ما ، فذهبأ إليه ، وحنى هدية ظهره ، وصعد رفيقه فوقه وأمسك الحائط وتسلق عليه ، ونزل وأخذ السلم وسنده على الحائط ، وصعد وسحبه وأعطاه لهدية ، وأخذه وذهبأ به وأسنداه على حائط منزل المعلم عثمان وصعدا عليه وسحباه وأنزلاه داخل المنزل ، ونزلا عليه ، وأخذا يدوران فى المنزل ليعرفا مسالكه ، ثم قصدا حجرة صاحب المنزل الخاصة ، وأخذا يسترقان السمع ، فسمعاه يغط فى نوم عميق ، وطلب هدية من رفيقه أن ينتظر على البوابة حتى يدخل فإذا سمع حركة بالداخل أنذره وإذا لم يسمع شيئاً ، سيمده بكل ما يجد من متاع .

ودفع هدية الباب ببطية ودخل ، ووقف صامتاً ، فلم تصدر أية حركة من صاحب المنزل ، فدخل متسللاً ، فاصطدم بإناء من معدن فوقه ، فاستيقظ صاحب المنزل وقال " أنت أنت من من ؟ " فاختبأ هدية .

الولد يقتل أباه

إلا أن صاحب المنزل رأى ظلّه على الباب فدفعه ،
فقام هدية مسرعا وأمسكه بشدة وأوقعه على الأرض ،
فهب رفيقه مسرعا ودخل المنزل ، وسد فمه ، فحاول أن
يتخلص منه ، فاستل هدية سكيناً وطعن به أباه فى قلبه ،
وجذبه حتى شعر بجسده يتهاوى ، حينئذ سمع أصواتاً
ينطلق من الخارج . فشعرا بالخوف ، وهما بالفرار ،
وعند ذلك سمعا امرأة تقول " ماذا يحدث فى هذا البيت ؟ "

فرد عليها هدية قائلاً " لا شىء أنا أطوف حول
المنزل "

قالت " وى ، عندما تكلم تذكرنى بابني عبدالله " ثم
أشعلت الكبريت فرأت أبنها ، ورأى أمه التى فارقها منذ
عدة سنوات .

يتحدث إلى والدته :

قالت " عبدالله هل عدت ؟ " إلا أنه عجز عن الكلام ،
فوقفا ينظران لبعضهما ، والولد الآخر مختبئ ، حتى
مل الانتظار فقال " أنت ، ألا تعرف أننا فى خطر مما
فعلنا ، ثم نقف ونتحدث مع النساء ؟ " ولكنه لم يعره
اهتماما ، حتى غضب رفيقه وقال " انتظر لشأنك وسافر
أنا "

قالت زينب " ماذا جاء بك إلى هذا المنزل فى هذا
الوقت من الليل؟"

قال " هل نسيتي حرفتي ؟ "

قالت " هل عجزتم عن السرقة حتى تأتى لتسرق
منزل أبيك ؟ "

قال " أبي ، متى جئتم من جلما وأقمتم هنا ؟ "

قال " والله تالله ، لم أعرف ، ولا فى المنام أن هذا منزل أبى " وهنا أخذ جسمه يرتعش وشعرت أمه بالخوف فقالت " ماذا حدث ؟ "

قال " دخلنا حجرة هنا لنسرق ، فهاجمنا رجل فطعنناه "

قالت زينب " طعنتم رجلا ، الله أكبر ، والآن أين يرقد ، هيا بسرعة لنراه "

فذهبا ودخلا الحجرة ، أشعلت زينب الكبريت ، فرأت الرجل منكبا على وجهه فى الدم ، فخفق قلبها وقالت " حركة "

فحركة هدية فأدرك أنه أبوه فاقتربت منه وهزته فأدركت أنه لا يتحرك ، فانفجرت فى البكاء ، وتذكرت كلام أبى بكر ، عندما قال لها أن ابنها سيقتل أباه .

عندما رأى هدية ما فعل ، طار عقله ، وصار كالمجنون واستل سكينه وكاد يقتل نفسه ، فأمسكت زينب بيده وقالت " انتظر لا تقضى على نفسك ، لى معك حديث طويل " وقصت عليه كل ما كان بينها وبين أبى بكر ، وكيف كان السبب فيما أصابه من لعنة وفساد فى الحياة ، حتى وصل الأمر إلى قتل أبيه . وقالت " رأييت كل ما

فعلت منذ البداية ، لا ذنب لك فيه ، هذا ما قدره الله ، ولكن علينا الآن أن ننتظر لنعرف الجزاء الذى سينالنا من الله " .

وكتمت سرها ، ثم سمعت صياحا واستغاثة خارج المنزل " لص لص : فنظروا لبعضهما وقالت " أسمعنا لقد أمسكوا برفيقك ، بسرعة أخرج حتى لا يجدونك هنا " ثم أمسكت يده وجذبتة وطافت به فى ممرات المنزل ، حتى وصلا الباب ففتحه له وخرج منه ، وعادت وأغلقت حجرتها ، وبعد قليل سمعت أصوات الناس قادمين ، حتى وصلوا إلى باب المنزل ، فقرعوا الباب ، ففتح الخادم فنظر فوجد كثيرا من الناس فقال " ماذا حدث "

قالوا " أمسكنا اللص ، رأيناه على حائط المنزل ، فتبعناه وقبضنا عليه ، اذهب وأيقظ سيدك "

فأسرع الخادم إلى حجرة سيده ، فرأى الباب مفتوحا ، فوقف على الباب وأخذ يناديه " يا سيدي ، يا سيدي " فلم يرد أحد ، فرفع صوته فلم يرد أحد ، فدخل الحجرة فتعثرت رجله فى جثة رجل ، فصرخ وقال " اقبلوا ها هو اللص " فقصدوا الباب مسرعين يصيحون ، واندفع الناس إلى داخل المنزل ، واختلفوا فيمن سيدخل ، فأشعلوا مصباحا فرأوا رجلا ممددا غارقا فى دمائه فدخلوا فعلموا أنه صاحب المنزل .

هو ، هو :

فقال الجميع لا حول ولا قوة إلا بالله " لابد أن اللص هو الذى فعل هذا ثم انهالوا عليه ضربا ، فأخذ يصيح ويقول اتركونى ، لم أقتله رفيقى هو الذى قتله ؟

قالوا : " كذاب ، أين هو رفيقك ؟ "

قال " مازال حتى الآن داخل المنزل ، لم يخرج ، لأنى عندما خرجت تركته بالداخل . "

قالوا " كذاب ، كيف يفعل الإنسان هذا العمل ، ثم تخرج وتتركه فى الداخل ، هل تظننا مجانين ؟ "

قال " والله تالله هذا حقيقى ، ابحثوا عنه ، لابد أنه فى الداخل لم يخرج "

ثم انتشروا فى المنزل ، ولم يتركوا مكانا إلا وبحثوا فيه ، فقد اتبعوا كل المسالك والطرق ، فلم يروا أحدا ، فسألوا النساء نساء المنزل هل خرجت إحداهن ، فقالوا جميعا لم يخرج أحد ، إلا عندما سمعن الصياح ، فقال الناس " لقد عرفنا منذ البداية أنه كذاب "

ثم ذهبوا به إلى منزل الأمير ، فأمر بارساله إلى السجن في نفس الليلة ، ثم عادوا وكفنوا المعلم عثمان ، وعاد الكل إلى منزله .

وعندما طلع النهار أخذ الولد الطويل من السجن ، وسأله عن اسم الولد الذي يدعى أنه معه ، فقال " أظن أن اسمه أبو بكر "

" أنت لا تعرف اسمه أيضا "

" أظن أن اسمه هكذا "

" من أية مدينة ؟ "

" لا أعرف اسم مدينته "

" وأنت ما اسمك ؟ "

" الولد الطويل "

" من أية مدينة "

" إيبو "

" كذب ، هل توجد مدينة فى هذه الدنيا اسمها ايبو ؟
وارجعوا به حتى نتحقق من كلامه . "

وقضى فترة فى السجن أثناء التحقيق ، وكان فى
السجن بئر عميق جدا مملوء بالماء ، وذات يوم خرج
عصرا ليحضر الماء منه فوقع فى البئر ، فلما جاءوا
لإنقاذه وجدوه قد مات .

أخرجوه وذهبوا إلى الأمير وأخبروه أن اللص قد
مات، فقال الأمير " لقد نال جزاءه " أما هدية فلم يتوقف
فى أى مكان بعد أن خرج من المنزل ، وبعد أن تجاوز
المدينة توجه إلى مدينة جلما مباشرة ، وبعد خروجه من
المدينة هبت عاصفة شديدة ، وسقط المطر غزيرا ، فلم
يأبه لكل هذا ، فقد كان كل همه هو الوصول إلى مدينة
جلما ، لم يتوقف ، ولم يلتفت حوله كأنه كلب مجنون
حزين لما ارتكب من آثام ، ويفكر فيما قالت له أمه ،
وأصبح لا هدف له فى الحياة إلا أن يلتقى بأبى بكر ،
وينتقم لما أصابه .

يذهب لأخذ الثأر :

طلع عليه النهار فى الطريق ، واشتدت حرارة الشمس ، وأقبل الظهر ثم المغرب ، واستمر على ذلك يومين لا يأكل ولا يشرب ، حتى إذا وجد شيئا فشيئا قليلا من الطعام اشتراه ، يأكله وهو يسير فى الطريق وإذا شعر بالحاجة إلى النوم ، ينام قليلا ، ثم يقوم ويستأنف الرحلة ، وهكذا حتى وصل إلى مدينة جلمسا ، ولم يتوقف فى أى مكان فى المدينة إلا فى منزل عدوه أبى بكر ، فدخل المنزل دون استئذان ، فوجد امرأة فلما رآته كالمجنون أشعث أغبر والسيف مسلولا فى يده أصابها الرعب .

زجرها قائلا " أنت ، أين أبو بكر ؟ "

تحيرت ، ولم تستطع الكلام رعبا ، فأمسك عنقها وهزها قلثا

" لآلم تسمعينى أسألك ؟ "

فأشارت له بيدها في إحدى الحجرات ، وقد أعجزها
الخوف عن الكلام ، فألقاها على الأرض ، ودخل
الحجرة ، فقامت ، وقبل أن يصل أسرعت وتصدرت
الباب ، وقالت " لا تدخل ! إن صاحب البيت يعاني من
آلام الاحتضار "

قال " افسح لأسبق القدر إليه ، فاليوم حانت نهايته "

ثم دفعها ودخل الحجرة ، وقال " أين أنت ؟ " فلم يسمع
إلا حشرة المحتضر وبعد برهة استطاع أن يرى ما في
الحجرة ، فرأى رجلا راقدا على السرير ، وعيناه
شاخصتان إلى السماء ، فتقدم إليه ، وأمسك كتفه وأداره
وقال " أبو بكر ؟ "

ففتح فمه بصعوبة وقال " من ؟ "

قال " أنا هدية ابن المعلم شيخو ، اليوم حانت لحظة
الجزاء "

عندما سمع أبو بكر هذا الكلام حاول أن ينهض ،
ولكنه وقع على ظهره وجسده يرتعش ، وتذكر كل ما قاله
لزينب قبل سنوات عديدة ، فاستغرق في تفكير عميق ،
وأخذ يحدث نفسه قائلا " أعرف ذلك طالما قيل لي أن من

يعمل مثقال ذرة خيرا يـره " ثم نظر إلى هدية وقال
" جئت تنتقم منى ؟ ولكن القدر سبقك إلى ، لقد فعلت كل
ما أريد أن أفعله فيك وانتهى الأمر "

لقد تأخرت :

ثم تما لك قوته واستطاع أن يجلس ، ومد يده مشيراً إليه ، وقال بصوت مرتفع : لقد تأخرت ، الشار يوم القيامة ، ثم وقع على الأرض وأسلم الروح "

خرج هدية ، ولم يره أحد ، وأخذ يقول فى نفسه وهو سائر " الله اكبر ، الله القاهر يفعل ما يشاء بعباده ! "

بعد أن خرج جاءت المرأة مع جيرانها وهم يتسألون أين الرجل ؟! "

قالت " فى حجرة رب البيت " فدخلوا فوجدوه ميتا ، وحيدا ، فبحثوا فى كل المنزل فلم يجدوا أحدا "

قالوا " ما شكل هذا الرجل ؟ "

قالت " لن استطيع وصفه "

لأننى حينما رأيته عجزت عن الكلام

فقالوا " لابد أنها رأت عزرائيل "

وامتلأ المنزل كله بصراخ النساء

ذهب هدية وجلس تحت شجرة خارج المنزل بالقرب
من النهر ، بعد أن هدأت نفسه ، أخذ يندم على كل ما
فعله منذ كان طفلا صغيرا حتى قتل أباه ، ومرت عليه
كل الأحداث كأنها حلم مخيف ، فقال " الله أنت المالك ،
اعف عني "

يعود إلى منزل أبيه :

ثم قام إلى النهر واستحم ، ودخل المدينة وقص شعره ، واشترى ثوبا وارتداه وقصد منزل أبيه ، والتقى بالخدام الذي ولاه أبوه أمر المنزل في السنوات الماضية ووجد النساء قد تفرقن جميعا فأخبره أنه هدية ابن المعلم شيخو ، وأن أباه قد مات فتعجب الخادم لأنه يأس من سماع أخباره وأخبار ابنه .

أخذ الخادم وذهب معه إلى منزل الأمير ، وبعد أن تبادلوا التحية ، سأله الأمير من أين جاء .

قال " من عند أبي "

قال الأمير " هل هو حي ، منذ أن فارقنا لم نسمع شيئا من أخباره؟ "

قال هدية " عندما هاجر من هنا ذهب إلى مدينة تسمى جروجي ، حيث عاش هذه السنوات ولكنه مات الآن لذلك جئت لأرى حال المنزل قبل أن أعود لأحضر والدتي "

قال الأمير " هل اهتديت ؟"

قال " أطل الله حياتك " لا أحب أن أسمع شيئاً عن هذا الأمر ، ما مضى لا رجعة له "

الأمير يباركه :

عندما سمع الأمير ذلك فرح كثيرا ، وباركه ، وقال " إذا كان ما تقوله حقا ، أريد أن تعود وتقيم هنا من أجل المحبة التي تجمعني بنابيك

قال هدية " أطال الله حياتك ، شكرا ، عندما أعود لن أنال شيئا من ميراث أبي حتى أرد الحقوق إلى من لهم على "

ثم استأذن وخرج ، ولم يأخذ شيئا من منزل أبيه ، حتى الزاد ، وواصل رحلة العودة إلى جروجي فوصلها بعد عدة أيام

ذهب إلى أمه وأخبرها بكل ما حدث وقال " الآن ينبغي أن نعود إلى مدينتنا وتعيشين هناك فى منزلك "

قالت " وهو كذلك أنت تعرف أننى لم أهرها إلا مكرهة لأعيش هنا "

ذهبت وأخبرت الأمير أن ابنها قد جاء فقال الأمير " هل المعلم عثمان له ابن ؟ " أحضره لأراه " فذهبت إليه .

عندما دخل نظر إليه الأمير وقال " لا شك أنه ابنه ثم التفت إلى زينب وقال له " وهو كذلك وهل له أخ ؟ "

قالت زينب هو الوحيد "

سألها الأمير " هل تأتي لتعيشي في سنكا ؟ "

قال " لا ، جئت لأعود بوالدتي "

فأمر الأمير أن يذهبوا به ليدلوه على كل ممتلكات أبيه ويقدرونها ويخصموا منها العشر فلما تم ذلك سلموه كل شيء .

فطالب أن يجمع له كل فقهاء المدينة ليدعوا لأبيه فاجتمع عدد كبير أمام منزل أبيه فخرج بكثير من الأشياء وأخذ يوزعها عليهم جميعا ، حتى انتهت فدعوا الله أن يرحم المعلم عثمان ثم تفرقوا .

وفي اليوم التالي طلب أن يجمع له كل المساكين فلما اجتمعوا خرج إليهم بما تبقى لديهم في منزل أبيه ، ووزعه عليهم ، ولما نفذ المال أخذ يوزع عليهم الثياب

والدواب ولكثرة ما كان لديه من ثروة لم يبق أحد في المدينة إلا ونال من خيره ووزع كل ما ورث تماما ولم يترك لنفسه الأبرة .

وعندما انتهى من توزيع الميراث ذهب إلى الأمير واستأذنه فتعجب كل سكان المدينة الذين لم يروا صنيعا مثل هذا من قبل ، وترك المدينة وسارت أمه وهو خلفها حتى وصلا إلى مدينة جلما ، فأنزلها في منزل أبيه وأخبر الأمير وانتهوا من أمور الميراث وسلم كل شيء ليد أمه وقال لها " افعلي كل ما ترينسه مناسبا أما أنا فساذهب وأبحث عما يخفف عني ما ارتكبت من أثم ، لعل الله يرحمني "

ثم خرج وهو لا يملك إلا عصاه ، وحقيبة كتبه وإناء للوضوء .

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنموية ثقافية بالدرجة الأولى، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل ، معتمدا المبادئ التالية :

١. الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
٢. التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
٣. الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
٤. ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة ، جنبا إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
٥. العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
٦. الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومي للترجمة

١- اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريكتكوف	ت : أحمد الحضري
٥- ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
٨- مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندروس، جودي	ت : محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١- مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣- ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسي للأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥- الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفي
١٦- أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : ياشراف: أحمد عثمان
١٧- مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوي
١٨- الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمنى طريف الخولي / بدوي عبد الفتاح
٢١- خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجي	ت : ماجدة العناني
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد علي الناصري
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
٢٥- مثنوى	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨- رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجي / عبد الوهاب علوب
٣٢- الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣- التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤- الرواية العربية	روجر آلن	ت : حمزة إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداثة	بول ب. ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧- واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨- نقد الحداثة	ألن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩- الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠- قصائد حب	أن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١- ما بعد المركزية الأدبية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ملحد
٤٢- عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣- اللهب المزوج	أوكتايفو پاث	ت : المهدي أخريف
٤٤- بعد عدة أصياف	ألوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥- التراث المخور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦- عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد علي
٤٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨- حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩- الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد يرانة وعثمانى الميود ويوسف الأنطكى
٥١- مسار الرواية الإسبانية الأمريكية	داريو بيانويبا وخ . م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢- العلاج النفسى التدعى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣- الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤- المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحي
٥٥- ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨- مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩- المحبرة	كاراوس مونيث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠- التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١- موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢- لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣- تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥- فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧- مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩- العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد هشاد
٧١- السيدة لا تصلح إلا للرعى	داريو فو	ت : حسين محمود

- ٧٢- السياسى العجوز ت . س . إليوت
٧٣- نقد استجابة القارئ جين . ب . تومكينز
٧٤- صلاح الدين والمالكة فى مصر ل . ا . سيمينوفا
٧٥- فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
٧٦- جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى مجموعة من الكتاب
٧٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢ رينيه ويليك
٧٨- العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد روبرتسون
٧٩- شعرية التأليف بورييس أوسبونسكى
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع» ألكسندر بوشكين
٨١- الجماعات المتخيلة بندكت أندرسن
٨٢- مسرح ميغيل ميغيل دى أونامونو
٨٣- مختارات غوتفريد بن
٨٤- موسوعة الأدب والنقد مجموعة من الكتاب
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية) صلاح زكى أقطاي
٨٦- طول الليل جمال مير صادقى
٨٧- نون والقلم جلال آل أحمد
٨٨- الابتلاء بالغرب جلال آل أحمد
٨٩- الطريق الثالث أنتونى جيدنز
٩٠- وسم السيف ميغل دى ترباقس
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوستكا
٩٢- أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميغل
٩٣- محدثات العولة مايك فيلرستون وسكوت لاش
٩٤- الحب الأول والمحببة سمبول بيكيت
٩٥- مختارات من المسرح الإسباني أنطونيو بويرو بايخو
٩٦- ثلاث زبقات وردة قصص مختارة
٩٧- هوية فرنسا مع ١ فرنان برودل
٩٨- الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى نماذج ومقالات
٩٩- تاريخ السينما العالمية ديفيد روبنسون
١٠٠- مساملة العولة بول هيرست وجراهام تومبسون
١٠١- النص الروائى (تقنيات ومناهج) بيرنار فاليط
١٠٢- السياسة والتسامح عبد الكريم الخطيبى
١٠٣- قبر ابن عربى يليه آباء عبد الوهاب المردب
١٠٤- أبرز ما هو جليل بروتوت بريتشت
١٠٥- تدخل إلى الشعر الجاهلى جيرانچينيت
١٠٦- الأدب الأندلسى د . ماريا تيسوس روبييرامتى
١٠٧- هنريه القلائى فى الشعر الأندلسى المفاخر نخبة
- ت : فؤاد مجلى
ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ت : حسن بيومى
ت : أحمد درويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
ت : مكارم الغمري
ت : محمد طارق الشرقاوى
ت : محمود السيد على
ت : خالد المعالى
ت : عبد الحميد شبيحة
ت : عبد الرازق بركات
ت : أحمد فتحى يوسف شتا
ت : ماجدة العنانى
ت : إبراهيم الدسوقي شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محبى الدين
ت : محمد إبراهيم مبروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح
ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب علوب
ت : فوزية العشماوى
ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
ت : إنوار الخراط
ت : بشير السباعى
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحى
ت : رشيد بنحو
ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
ت : محمد بنيس
ت : عبد القادر مكارم
ت : عبد القادر شبيب
ت : أشرف على زهران
ت : محمد عبد الله الحميدى

١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكي
١٠٩- حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١- المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادي	أرلين علوي ماكلويد	ت : إكرام يوسف
١١٣- راية التمرد	سادى پلائت	ت : أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت : سميرة رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبه من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيتل الكسندر وفناناينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب	جون جراى	ت : أحمد قواد بايج
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى	ت : سمحه الخولى
١٢٦- فعل القرامة	فولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرماب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندز فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١- مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كوني	ت : سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيفلين تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- باريسغال	ريشارد فاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت : سلامة محمد سليمان

- ١٤٥- موت أرتيميو كروث
١٤٦- الورقة الحمراء
١٤٧- خطبة الإدانة الطويلة
١٤٨- القصة القصيرة (النظرية والتقنية)
١٤٩- النظرية الشعرية عند إيليت وأدونيس
١٥٠- التجربة الإغريقية
١٥١- هوية فرنسا مج ٢ ، ج ١
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى
١٥٣- غرام القراءة
١٥٤- مدرسة فرانكفورت
١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى
١٥٧- خسرو وشيرين
١٥٨- هوية فرنسا مج ٢ ، ج ٢
١٥٩- الإيديولوجية
١٦٠- آلة الطبيعة
١٦١- من المسرح الإسباني
١٦٢- تاريخ الكنيسة
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)
١٦٥- حكايات الثعلب
١٦٦- العلاقات بين المتدينين واللعانين في إسرائيل
١٦٧- في عالم طاغور
١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة
١٦٩- إبداعات أدبية
١٧٠- الطريق
١٧١- وضع حد
١٧٢- حجر الشمس
١٧٣- معنى الجمال
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء
١٧٥- التليفزيون في الحياة اليومية
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية
١٧٧- أنطون تشيخوف
١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث
١٧٩- حكايات أيسوب
١٨٠- قصة جاويد
١٨١- النقد الأدبي الأمريكي
١٨٢- العنف والنبوة
١٨٣- جان كوكتو على شاشة السينما
- كارلوس فوينتس
ميجيل دي ليبس
تاتكريد نورست
إنريكي أندرسون إمبرت
عاطف فضول
روبرت ج. ليتمان
فرنان برودل
نخبة من الكتاب
فيولين فاتويك
فيل سليتر
نخبة من الشعراء
جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو
النظامى الكنوجى
فرنان برودل
ديفيد هوكس
بول إيرليش
اليفاندرو كاسونا وأنطونيو جالا
يوحنا الآسيوى
جوردن مارشال
جان لاكوتير
أ. ن أفانا سيفا
يشعياهو ليفمان
رايندرا نات طاغور
مجموعة من المؤلفين
مجموعة من المبدعين
ميغيل ديليبس
فرانك بيجو
مختارات
وانتر ت. ستيس
ايليس كاشمور
لورينزو فيلشس
توم تيتنبرج
هنرى تروايا
نخبة من الشعراء
أيسوب
إسماعيل فصيح
فنسنت ب. ليتش
و.ب. بيتس
رينيه جيلسون
- ت : أحمد حسان
ت : على عبدالرؤوف البمبى
ت : عبدالغفار مكاوى
ت : على إبراهيم على منوفى
ت : أسامة إسبر
ت : منيرة كروان
ت : بشير السباعى
ت : محمد محمد الخطايبى
ت : فاطمة عبدالله محمود
ت : خليل كلفت
ت : أحمد مرسى
ت : مى التلمساتى
ت : عبدالعزيز بقوش
ت : بشير السباعى
ت : إبراهيم فتحى
ت : حسين بيومى
ت : زيدان عبدالحليم زيدان
ت : صلاح عبدالعزيز محجوب
ت : بإشراف: محمد الجوهري
ت : نبيل سعد
ت : سهير المصارفة
ت : محمد محمود أبو غدير
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت : بسام ياسين رشيد
ت : هدى حسين
ت : محمد محمد الخطايبى
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : أحمد محمود
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : جلال البنا
ت : حصه إبراهيم المنيف
ت : محمد حمدى إبراهيم
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : سليم عبد الأمير حمدان
ت : محمد يحيى
ت : ياسين طه حافظ
ت : فتحى العشرى

١٨٤- القاهرة... حالة لا تنام	هانز إبنودورفر	ت: دسوقي سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت: عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنود	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة	بُنْدُجْ علوى	ت: محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	الفين كرنان	ت: بدر الديب
١٨٩- العمى والبصيرة	بول دى مان	ت: سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت: محسن سيد فرجاني
١٩١- الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت: مصطفى حجازى السيد
١٩٢- رحلة إبراهيم بك ج١	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
١٩٣- عامل النجم	بيتر أبراهامز	ت: محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت: ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت: محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	ت: أشرف الصباغ
١٩٧- الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت: جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	انوين إمرى وآخرون	ت: إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لاندائى	ت: جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد الطيف حار
٢٠٠- ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت: فخزى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٤	رينيه وليك	ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	الطاف حسين حالى	ت: جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت: أحمد محمود هويدي
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوتكا كافاللى- سفورزا	ت: أحمد مستجير
٢٠٦- الهيلولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت: على يوسف على
٢٠٧- ليل إفريقيا	رامون خوتاسنديز	ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت: محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فرديناند دوسوسير	جوناثان كلر	ت: محمود حمدي عبد الفنى
٢١٢- قصص الأمير مرزيان	مرزيان بن رستم بن شروين	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلودر	ت: سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتوانى جيدنز	ت: محمد محمود محي الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك ج٢	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	ه. بيكيت	ت: نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة المحلة (رايولا)	خوليو كورتازان	ت: على إبراهيم على منولى
٢١٩- بقايا اليوم	كانزو ايشجورو	ت: طلعت الشايب
٢٢٠- الهيلولية فى الكون	بارى باركر	ت: على يوسف على
٢٢١- شعرية كنانى	جريجورى جوزدانس	ت: رفعت سلام

٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جرأى	ت: نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت: السيد محمد نفاذى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت: منى عبدالظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥- حكاية غريق	جابريل جارتيا ماركث	ت: السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هريت لورانس	ت: طاهر محمد على اليربرى
٢٢٧- المسرح الإسباني فى القرن السابع عشر	موسى مارديا ديف بوركى	ت: السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت: ماري تيريز عبدالمنيع وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيچان	ت: أمير إبراهيم العمري
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت: جمال أحمد عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستينر	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال	أرثر هومان	ت: طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمجهام	ت: غزاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى ج ١	جلال الدين مولوى روى	ت: إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل تود	ت: أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبن فيرين	ت: هنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولة والتحرير	الانكتاد	ت: ياسر محمد جادالله وعيسى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الادب الإسرائيلى	جيلرافر - رايوخ	ت: نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت: صلاح عبدالعزيز محبوب
٢٤١- فى انتظار البرابرة	ج. م كويتز	ت: ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢- سبعة أنماط من الفوضى	وليام إميسون	ت: صبرى محمد حسن عبدالنبي
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ١	ليفى بروفنسال	ت: على عبدالرؤوف البعبي
٢٤٤- الفليان	لاورا إسكيبيل	ت: نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت: توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابريل جارتيا ماركث	ت: على إبراهيم على منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والمداثة فى مصر	والتر إرمبريست	ت: محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت: عبداللطيف عبدالحليم عبدالله
٢٤٩- لغة التمزق	دراجو شتامبيوك	ت: رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينيك	ت: ماجدة محسن أباطة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (ج ٢)	جوردن مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهري
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت: على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيميلونا	ت: حسن بيومي
٢٥٤- الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- ديكرات	ديف روبنسون ، كريس جرات	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كللى رايت	ت: محمود سيد أحمد
٢٥٨- الشهر	سير أنجوس فريزر	ت: ميادة كحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	اقلام مختلفة	ت: فاروق كازانچيان

٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردن مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهري
٢٦١- رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات	إيوارد مندوتا	ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	ت: علي يوسف علي
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس/ شلي	ت: لويس عوض
٢٦٥- روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت: لويس عوض
٢٦٦- مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت: عادل عبد المنعم سوريم
٢٦٧- فن الرواية	ديفيد لودج	ت: ماهر البطوطي
٢٦٨- ديوان شمس تبريزي ج٢	جلال الدين الرومي	ت: إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم جيفور بالجريف	ت: صبري محمد حسن
٢٧٠- وسط الجزير العربية وشرقها ج٢	وليم جيفور بالجريف	ت: صبري محمد حسن
٢٧١- الحضارة الغربية	توماس سي. باترسون	ت: شوقي جلال
٢٧٢- الأديرة الأثرية في مصر	س. س والترز	ت: إبراهيم سلامة
٢٧٣- الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	ت: عنان الشهاوي
٢٧٤- السيدة باربارا	رومولو جلاجوس	ت: محمود مكي
٢٧٥- ت. س إليوت شاعرا وناقدا وكاتب مسرحيا	أقلام مختلفة	ت: ماهر شفيق فريد
٢٧٦- فنون السينما	فرائك جوتيران	ت: عبد القادر التلمساني
٢٧٧- الجينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت: أحمد فوزي
٢٧٨- البدايات	إسحق عظيموف	ت: ظريف عبدالله
٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	ت: طلعت الشايب
٢٨٠- من الأدب الهندي الحديث والمعاصر	بريم شند وأخرون	ت: سمير عبد الحميد
٢٨١- الفربوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوي	ت: جلال الحفناوي
٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وليبرت	ت: سمير حنا صادق
٢٨٣- السهل يحترق	خوان رولفو	ت: علي البمبي
٢٨٤- هرقل مجنون	يوربيدس	ت: أحمد عثمان
٢٨٥- رحلة الخواجة حسن نظامي	حسن نظامي	ت: سمير عبد الحميد
٢٨٦- رحلة إبراهيم بك ج٢	زين العابدين المراغي	ت: محمود سلامة علاوي
٢٨٧- الثقافة والعولة والنظام العالمي	انتوني كننج	ت: محمد يحيى وأخرون
٢٨٨- الفن الروائي	ديفيد لودج	ت: ماهر البطوطي
٢٨٩- ديوان منجوهري الدامغاني	أبو نجم أحمد بن قوص	ت: محمد نور الدين عبد المنعم
٢٩٠- علم اللغة والترجمة	جودج موان	ت: أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١- المسرح الإسباني في القرن العشرين ج١	فرانشيسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٢- المسرح الإسباني في القرن العشرين ج٢	فرانشيسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٣- مقدمة للأدب العربي	روجر آلان	ت: نخبة من المترجمين
٢٩٤- فن الشعر	بوالو	ت: رجاء ياقوت صالح
٢٩٥- سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت: بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦- مكبث	وليم شكسبير	ت: محمد مصطفى بنوي
٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس- يوسف الأمان	ت: ماجدة محمد أنور

٢٩٨- مأساة العبيد	أبو بكر تقاوالبويه	ت: مصطفى حجازي السيد
٢٩٩- ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت: هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠- أسطورة برومئسيوس في الأدبين	لويس عوض	ت: جمال الجزيري وبهاء چاهين
الإنجليزي والفرنسي مع ١		وإيزابيل كمال
٣٠١- أسطورة برومئسيوس في الأدبين	لويس عوض	ت: جمال الجزيري و محمد الجندي
الإنجليزي والفرنسي مع ٢		
٣٠٢- فنجنشتين	جون هيتون وجودي جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣- بوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- ماركس	ريوس	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد	كروزيو مالابارته	ت: صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة - النقد الكانطي للتاريخ	چان - فرانسوا ليوتار	ت: نبيل سعد
٣٠٧- الشعور	ديفيد بابينو	ت: محمود محمد أحمد
٣٠٨- علم الوراثة	ستيف جونز	ت: ممنوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩- الذهن والمخ	أنجوس چيالاتي	ت: جمال الجزيري
٣١٠- يونج	ناجي هيد	ت: محيي الدين محمد حسن
٣١١- مقال في المنهج الفلسفي	كوانجوود	ت: فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم دي بورز	ت: أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية	خاير بيان	ت: عبدالله الجعدي
٣١٤- الفن كعدم	جينس مينيك	ت: هويدا السباعي
٣١٥- جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروندينو	ت: كاميليا صبحي
٣١٦- محاكمة سقراط	أ.ف. ستون	ت: نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	ت: أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت: أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايتري ياسينفياك وكريستوفر نوريس	ت: حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج في حضرة التاج	مؤلف مجهول	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ٢	ليفى برو فنسال	ت: نخبة من المترجمين
٣٢٢- وجهات غربية حديثة في تاريخ الفن	دبليو يوجين كليشاور	ت: خالد مفلح حمزه
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يوناني قديم	ت: هانم سليمان
٣٢٤- اللعب بالنار	أشرف أسدي	ت: محمود سلامة علاوي
٣٢٥- عالم الآثار	فيليب بوسان	ت: كريستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت: حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت: توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت: محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت: سامي صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين	ستيفن جراي	ت: سامية دياب
٣٣٢- القصة القصيرة في إسبانيا	نخبة	ت: علي إبراهيم علي متوفي
٣٣٣- الإسلام في بريطانيا	نبيل مطر	ت: بكر عباس

رقم الإيداع ٤٠٠٤/١١٦٥٥
المعهد القومي للدراسات والبحوث
٧٧٩٥٦:٧



مأساة العبيد وقصص أخرى

كانت لغة الهوسا تكتب بالخط العربى منذ عهد الشيخ عثمان بن فوديو حتى وصل الاستعمار الأوروبى إلى هذه البلاد ، وعمل على إضعاف العلاقة بين المسلمين فى غرب أفريقيا وإخوانهم فى بقية أجزاء العالم الإسلامى ؛ فعمل على كتابة لغة الهوسا بالخط اللاتينى ، ورصد مكافأة سخية لمن يكتب الهوسا بهذا الخط ، وبناء عليه قام بعض الكتاب بكتابة هذه المجموعة القصصية ، فكانت باكورة الإنتاج الأدبى بلغة الهوسا .

فكتب أبو كرتافوا قصة " الشيخ عمر " التى تعبر عن " مأساة العبيد " فى عهد الاستعمار ، وتصور تجارة الرقيق التى كانت تقوم على خطف الأحرار وبيعهم فى سوق الرقيق ، وما يلاقونه بسبب ذلك من سخرة وعذاب .

وكتب محمدو بللو قصة " المغامر " ، وهى تعبر عن شاب مغامر عجز عن مقاومة المستعمرين الغزاة ، فخرج إلى الخلاء فاختطفته العفاريت ؛ فأخذ يحاربها ويحارب فى صفوفها ويحرز انتصارات متتالية ، واستمر معهم فترة من أبلاده فوجدها قد تغيرت فى ظل الاستعمار الإنجليزى .